جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية: الآداب والعلوم الاجتماعية
كلية :قسم اللغة العربية وآدابها

الرقم التسلسلي:.......

الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري

دراسة موضوعاتية فنية

مذكـــــــــرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير

تخصص: أدب عربي — فرع: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
حيـــاة بوعافية

إشراف الدكتور:
مصطفى البشير قط

تاريخ المناقشة: ....

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

-د.فتحي بوخالفة	أستاذ محاضر	من جامعة: المسيلة	رئيسا
-د.مصطفى البشير قط	أستاذ محاضر	من جامعة: المسيلة	مشرفا ومقررا
-د.محمد زهار	أستاذ محاضر	من جامعة: المسيلة	ممتحنا
-د.خيرالدين دعيش	أستاذ محاضر	من جامعة: سطيف	ممتحنا

الموسم الجامعي: 2009/2008

مقدمـــة:

لقد مرّ الأدب العربي بعدّة مراحل عبر مختلف العصور ابتداءً بالعصر الجاهلي، إلى غاية العـــصر العباسي الذي شهد تحولا مميزا وتطورا ملحوظا في كل المجالات، لاسيما المجال الأدبي، الذي يـــنير لنـــا الطريق، ويساعدنا على الكشف عن وجه من أوجه الحضارة ، وما هذا البحث سوى محاولـــة لإماطـــة اللثام وإظهار بعض الجوانب الخفية، ومحاولة لتسليط الضوء على مظهر من المظاهر المتواجدة والمشاهدة في تلك الفترة من العصر العباسي ألا وهو الاغتراب ، وذلك من خلال شعر أبي العلاء المعري الذي يعدّ ظاهرة فريدة من نوعها ، خاصة وأنّ هذا الموضوع؛ أي موضوع الاغتراب في شعر المعري —حـــسب علمي- لم يتناول بالدّراسة من قبل ، ، رغم كثرة الدراسات حول هذا الشاعروشعره ، هذا من جهـــة، ومن جهة أخرى، فقد جاء هذا البحث وفي مجال الشعر بالذات دون النثر وهذا ما يعكس حبي الكـــبير للشعر وشغفي دائما به ومحاولة الاستماع والاستمتاع به.

لهذه الأسباب إتجهت إلى دراسة موضوع الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، وقد طرحت جملة من التساؤلات تشكل جوهر إشكاليته وهي:

-ما معنى الاغتراب؟ وهل هو؛أي- الاغتراب- في العصر العباسي جديد أم قديم؟وما هي أهـــم الدوافع التي ساعدت على ظهور الاغتراب في هذا العصر؟ ما هي أهم أنواع الاغتراب في الشعر العربي القديم؟ ما هي أهم الدواعي التي حملت المعري على الاغتراب زمانيا، واجتماعيـــا، وسياســـيا، وكـــذا مكانيا؟ وكيف تجلى كل نوع في شعره ؟ وما مدى تأثير هذه الأنواع فيه، وما موقفه منها ؟ كيـــف تجلى الشوق والحنين في شعره ؟ وما هي أقسامه ؟ وما هي بواعثه ؟.

-كيف تعامل مع غربته بأنواعها، وما هي الطرق والوسائل التي لجأ إليها للتخلص من هـــذا الأخير أو التخفيف من حدته ؟كيف سخرّ لغته لهذا الموضوع ؟ وكيف عبّر عنه ؟

والإجابة عن هذه الأسئلة شكلت بدورها هذا البحث الذي سار وفق خطة تمثلت في:

تمهيد ضم المنهج الموضوعاتي باعتباره المنهج المتبع في الدراسة، وجاءت فصول البحث كالآتي:

الفصل الأوّل تحت عنوان مفهوم الاغتراب وأنواعه وجذوره في الشّعر العربي القديم، فهو بذلك يحمل ثلاثة عناصر كل عنصر منها يشرح ويفسر نقطة معينة من العنوان لهذا الفصل.

ففي العنصر الأوّل تناولت مفهوم الاغتراب في المجال اللغوي والاصطلاحي الذي ظهـــر عنـــد طوائف من العلماء متمثلين في أهل الدّين والأدباء وعلماء النفس والفلاسفة .

أما الجزء أو العنصر الثاني فقد خص أنواع الاغتراب التي عانى منها الإنسان عموما مـــن مثـــل الاغتراب الزماني والمكاني والاجتماعي والسياسي وغيرها.

وبالنسبة للعنصر الثالث ضم جذور الاغتراب في الشعر العربي ومنذ العصر الجـــاهلي إلى غايـــة العصر العباسي، هذا العصر الذي توقفت عنده لأنّه المعني بالدّراسة ففيه ظهر شاعرنا وعانى من الاغتراب بأنواعه المختلفة.

هذا عن الفصل الأوّل، أمّا الفصل الثاني فقد ضمّ الاغتراب الزماني في شعر المعري، حاولت فيه تسليط الضوء على هذا النوع وإن كان مختصرا معرجة إلى لفظة الزمان أو موضوع الـــزمن أو الـــدّهر ونظرة الناس إليه وما موقفهم منه ؟.

هذا كلّه في توطئة كانت قبل التحدث عن عنصرين مهمين في هذا الفصل كانا أساس الاغتراب الزماني عند شاعر المعرة أبي العلاء ألا وهما الشاعر وأحداث الزمان الذي يعدّ موضـــوعا كغـــيره مـــن الموضوعات التي عالجها المعري وأبدى رأيه فيها وهذا ما كنا دائما نستشفه في أشعاره إذ أبدى لنا موقفه من الزمان الذي كواه بحوادثه ونوازله حتى ملّ العيش متمنيا بذلك الموت والخلاص من هذه الحياة الـــتي هي كلها في نظره تعب وهم وحزن .

أما العنصر الثاني فهو الشاعر والموت فقد كانت هذه النقطة بارزة في شعره، لقد آمن المعـــري بهذه الحقيقة بعد إيمانه باللّه.

وفضّل الموت على العيش في هذه الدنيا التي تحمل الكثير من الهموم والآلام والأحـــزان وكـــان تفضيله للموت لأسباب عديدة حاولت شرحها وتفسيرها أكثر في طيّات البحث.

وأمّا في الفصل الثالث، فقد أدرجت نوعين آخرين من الاغتراب ألا وهما الاغتراب الاجتمـــاعي وكذا السياسي في شعر المعري، وكانت البداية في هذا الفصل بوضع توطئة، ثم تلك العناصر المتمثلة في الاغتراب عن الناس المتمثلين في النساء وأهل الدين والدجالين والأدباء .

أما العنصر الآخر فيتناول الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة، إضافة إلى الاغتراب السياسي في شعر الشاعر، وفي الفصل الرابع تحدثت عن الاغتراب المكاني، وقد تضمن الاغتراب عـــن الوطن ودواعيه عند المعري ، وكذا تجليات الشوق والحنين إلى وطنه والى بغداد، كما لم أنس عنـــصرا آخر في غاية الأهمية، وهو طرق قهر الاغتراب عند المعري وقد تمثلت في العزلة والزّهد.

أمّا في الفصل الخامس وهو الأخير الذي كان تحت عنوان العناصر الفنّية في شعر الاغتراب عنـــد المعري، والذي شمل المعجم الشّعري والصورة الفنية إضافة إلى البنية الإيقاعية.

ثم جاءت الخاتمة التّي كانت عبارة عن خلاصة وحوصلة لأهم النّتائج المتحصل عليها في البحث، وكذا قائمة المصادر والمراجع المعتمدة .

وعلى اعتبار أنّ موضوع الاغتراب هو موضوع قابل للتفرع والتجزؤ إلى موضوعات أخرى فإنّه تراءى لي أن أتّبع المنهج الموضوعاتي؛ في دراستي، فهو الأنسب لمثل هذه الدّراسة، لأنّه يستوعب مواضيع فرعية تنتمي إليه وتنحدر منه، ، مع اللجوء إلى الإحصاء عند الحاجة والضرورة.

وقد اعتمدت لإنجاز هذا البحث على دراسات متعددة ساعدتني في تجميع هذا الكم الهائل من المعلومات في هذا المجال، ومن بينها كتاب سميرة سلامي " **الاغتراب في العصر العباسي القرن الرابع الهجري**"، وأشرف علي دعدور في كتابه " **الغربة في الشّعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة**" ، ويحي العبد اللّه في كتابه" **الاغتراب**"، وصالح زامل في كتابه" **تحوّل المثال**"، وفاطمة حميد السويدي في كتابها " **الاغتراب في الشعر الأموي**" ، وريتشارد شاخت في كتابه "**مستقبل الاغتراب**"، ومي يوسف خليف في كتابها "**ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات**"، إضافة إلى سناء خضر في كتابها "**النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين**" أما مصدري الأساسي في الدراسة فقد كانا ديوانا المعري **سقط الزند** و**اللزوميات** ، إضافة إلى كتب أخرى ومعاجم ومصادر استقيت منها معلومات حول كل ما يخص المعري واغترابه.

وأنا لا أنكر في أنّه واجهتني صعوبات جمة ومنذ البداية سواء كانت في اختيار هذا الموضوع، أو في المعلومات المحصلة ممّا اضطرني إلى السفر إلى ولايات وجامعات ومكتبات أخرى للبحث وجمع قدر من الكتب التي تحوي هذا الموضوع.

كما أنّ المنهج الموضوعاتي الذي اخترته لمعالجة هذا الموضوع عند المعري كان في البداية يشكل لي غموضا وإبهاما خاصة وأنه لم يدرج على مسامعي فيما مضى،وهو يعدّ من المناهج النّقدية المعاصرة التي ما زالت لم تتبلور بعد.

ولكن وبفضل اللّه وتوفيقه استطعت أن أتغلب على الكثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض طريقي،كما لا أنسى دور الأستاذ المشرف عليّ الدكتور قط مصطفى البشير الذي لم يبخل علي بالنصائح القيّمة وهو الذي أرشدني إلى هذا الموضوع بعد حيرتي الكبيرة في اختيار موضوع محدد كما لا أنسى كل من قدّم إليّ يد العون سواء من قريب أو بعيد فإلى كل هؤلاء شكر وتقدير ومحبة وعرفان مني إليهم جميعا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1- مفهوم الاغتراب:

يعدّ مفهوم الاغتراب من أكثر المفاهيم التصاقا بالإنسان، « فهو من طبيعته، بل يمكن القول أنه دافع من دوافعه الأساسية، يختلف من إنسان إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، ذلك لأنه يتلوّن بطبيعة صاحبه وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم وأعراف ومعارف »[1].

وقد استخدم بطرق مختلفة ومعاني عديدة حتى أصبح يعاني من الغموض الشديد [2]، نادرا ما يتّفق الباحثون على تحديد مفهومه، « فهم يذهبون مذاهب مختلفة في تعريفه فلا يستطيعون تحديد أنواعه ومصادره ونتائجه السّلوكية على الأفراد والمجتمع، فيقعون في الخلط ممّا يزيد من غموض هذا المصطلح وضبابيته »[3].

وبالرّغم من هذا الغموض الحاصل إلاّ أنّنا سوف نورد قدر الإمكان معنى الاغتراب لغة واصطلاحا، ومن وجهة عربية وغير عربية، لتبيينه وتحديد مفاهيمه ودلائله عند طوائف من العلماء.

ففي مجال اللّغة ورد « لفظ (الاغتراب) في المعاجم العربية بمعنى الغربة عن الوطن »[4] ، فقد جاء مثلا في "لسان العرب" لابن منظور في مادة غرب: «غربت الشمس تغرب غروبا ومُغَيْرِبَانًا: غابت في المغرب، والغرب: الذهاب والتنّحي عن النّاس، وقد غرب عنا، يغرب، غربًا، وغرّب وأغرب وغربه وأغربه: أي نحّاه، والغربة والغرب النّزوح عن الوطن والاغتراب، واغترب الرجل نكح في الغرائب وتزوج في غير أقاربه وأغرب الرّجل: جاء بشيء غريب، وأغرب عليه، وأغرب به، صنع به صنعا قبيحا »[5].

ونجد المعاني نفسها في "مختار الصّحاح" في مادة غرب تقول: « (تغرّب) و(اغترب) بمعنى فهو (غريب) و (غُرُبٌ) بضّمتين والجمع (الغُرُباء) والغُرُباء أيضا الأباعد و(اغترب) فلان إذا تزوّج إلى غير أقاربه، وفي الحديث: (اغتربوا لا تضووا) وتفسيره مذكور في ض و ي.

و(التّغريب) النّفي عن البلد و (أغْرَب) جاء بشيء غريب، وأغرب أيضا صار غريبا .

---

(1)- عمر بوقرورة : الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945- 1962)، منشورات جامعة باتنة ، (د، ط ، د ، ت)، ص: 13.

(2)- ينظر سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع، دمشق، ط1، 200 0، ص :13.

(3)- صبار نورالدين: الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي ، ع 355،دمشق، إتحاد كتاب العرب، سبتمبر 2003، www.awu.dam.org

(4)- صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص :11.

(5)- ابن منظور، لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، الجمهورية التونسية ، ط1، 2005، مادة (غرب).

وأسود (غِرْبِيبُ) بوزن قنديل أي؛ شديد السّواد، فإذا قلت: (غرابيب) سودٌ كان السّود بدلا من غرابيب لأنّ توكيد الألوان لا يتقدم و(الغرْبُ) و (المغرب) واحد، و(غَرَب) بَعُدَ .

يقال (أُغْرُبْ) عنّي أي تباعد، و (غربت) الشمس وبابهما دخل، و(الغَرْبُ) بوزن الضّرب الدّلو العظيمة، و(غرْبُ) كل شيء أيضا حده، و (الغاربُ) ما بين السنام إلى العنق ومنه قولهم، حبلك على غاربك: أي اذهب حيث شئت »[1].

ويشير "الأزهري" في معجمه "تهذيب اللّغة" إلى هذا المفهوم (أي البعد عن الوطن) « يقال الغرب الذهاب والتنحي، ويقال أغربته و غربته إذا نحيته ، والغرب هو التنحي عن حد الوطن، ويقال غرب الأمير فلانا إذا نفاه إلى بلده »[2].

وفي "أساس البلاغة" للزمخشري: « غ ر ب كففت من غربه أي من حدته واقطع عني غَرْب لسانه، وإني أخاف عليك غرْب الشباب....

ورمى فأغرب: أي أبعد المرمى، وتكلم فأغرب: إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره...

وقد غَرُبَتْ هذه الكلمة أي: غمُضت فهي غريبة.

وأغرب الفرس في جريه، والرجل في ضحكه، إذا أكثر منه، ونهي عن الاستغراب في الضحك، وهو أقصاه ...» [3].

فهذه إذن بعض المعاني التي وردت عن مفهوم الاغتراب في بعض المعاجم العربية أما إذا نظرنا إلى مفهوم هذا الأخير في المجال اللغوي وعند غير العرب أي؛ من وجهة عالمية سوف نجده يتعدد ويتلون بتلون المفاهيم واللغات والاتجاهات .

« فكلمة اغتراب (Alienation) في اللغة الإنكليزية، و (Aliénation) في اللغة الفرنسية،لهما أصل لاتيني واحد هو (Alienation) والمتتبع لاستخدامات هذا الاصطلاح في اللغتين سيجد تماثلا كبيرا بينهما؛ لأن كافة الاستخدامات مستمدة من الأصل اللاتيني المشترك، ولذا يمكننا الحديث عن معاني هذا المصطلح في اللغتين معاً »[4].

وقد وجدت ثلاث نقاط تتعلق بمعنى الاغتراب وهي:

«**1** – قد يرتبط أحد استخدامات كلمة اغتراب (Alienation) بما يتعلق بالملكية .

---

(1)- الرازي: مختار الصحاح، تحقيق وشرح وضبط سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، (د، ط)، 2002، مادة (غرب).

(2)- أشرف علي الدعدور:الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة ، ط1، 2002، ص: 17-18.

(3)- الزمخشري :أساس البلاغة،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1 ،1998 ،مادة (غرب).

(4)- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 32.

2- لفظ الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر ففعل (Alienare) يفيد معنى فتور علاقة ودية مع شخص آخر.

3- ترتبط كلمة الاغتراب بالغربة (Enttremung) وهذا الاصطلاح يعني التغريب.

ولكن الاغتراب في نفس الوقت مقولة غير محدودة المعالم، يختلف معناها باختلاف استعمالاتها، فهناك الاغتراب بالمعنى الحقوقي »[1]،الذّي يعد من بين أنواع الاغتراب التي ظهرت بين الناس وقد قصد به «تحويل أو نقل ملكية شيء ما، من شخص إلى آخر، أو جعل شيء ما منتميا إلى شخص آخر »[2]. وخلال عملية الانتقال التي تتم يصبح الشيء مغتربًا عن مالكه الأول، إذ يدخل في حيازة المالك الجديد [3] .

فإذن الاغتراب بالمعنى الحقوقي يجعل الإنسان مغتربا إذا ما حصل الانتقال من مالكه الأصلي إلى مالك جديد .

«كما تعني في الطب الاضطراب العقلي الذي يجعل الإنسان غريبا عن ذاته ومجتمعه، أما في الفلسفة فتشير إلى غربة الإنسان عن جوهره »[4].

وانطلاقا من هذه الأقوال نلاحظ أنّ استعمالات الاغتراب تعدد لذلك نجده معناه يختلف في القانون والطب والأدب.

« هذا عن الاغتراب في اللغة الفرنسية والإنجليزية، أما فيما يخص اللغة الألمانية فقد استخدم مصطلح (verroussenug) للتعبير عن النقل القانوني للملكية من شخص إلى آخر، ولكن هذا النقل أو التّغريب للملكية لم يكن نقلا قانونيا وإنما عن طريق السلب والسطو. واستعمل أيضا بمعنى الاختلال العقلي ولكنه اقتصر على حالات غياب الوعي وشلل الحواس »[5] .

كما نجد مفاهيم ودلالات مختلفة للفظة اغتراب تعبر عنها مختلف القواميس الإسبانية « وهي في مجملها مرتبطة بالانتقال المكاني والبعد عن الوطن، وكذا المرتبطة بعدم التوافق أو الانسجام مع اللّحظة الآنية أو قيم المجتمع ففي قاموس الأكاديمية الملكية (Diccionario de la real academia) يذكر أنّ

---

[1]- سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، (د، ت)، ص: 98.

[2]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 32 .

[3]- يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 2005،ص : 22.

[4]- سناء خضر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ، ص: 98.

[5]-سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ، ص: 33- 34.

الغربة (exilio) هي البعد عن الوطن وأنّ الغريب (exiliodo) هو المبعد عن وطنه لأسباب سياسية بشكل عام وكذلك من معانيها النّفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التّي يعيش فيها الإنسان» [1].

إنّ جميع المعاني التي تعبر عن مصطلح الاغتراب تشترك في معنى واحد هو الانفصال والانسلاخ، لكن هذا الانفصال قد يكون عن شيء ما كالملكية، وقد يكون عن الآخرين وعن المجتمع، وقد يكون عن اللّه [2].

أمّا اصطلاحا فنجد مفهوم الاغتراب يحظى باهتمام كبير من طرف طوائف من العلماء متمثلة في الفقهاء المسلمين والشعراء والعلماء العرب منهم والأعاجم إذ عمدوا إلى شرحه وتحليله وتبيينه على أكمل وجه وذلك انطلاقا من نظرة كل واحد منهم له، هذا ما يجعلنا نقف عند الكثير منهم لكي نلتمس تعريفاتهم وآراءهم وأول محطة نقف عندها للتعريف بهذا المصطلح هم علماء الدين.

وفي هذا الصدد نلحظ اهتمام فقهاء الإسلام به والحديث عنه وتوضيحه من وجهة نظر الدين الإسلامي، وقد شغل حيزا كبيرا من تفكيرهم، فقسموه إلى أنواع ودرجات هي الاغتراب عن الأوطان « وهو مشترك بين النّاس جميعا، فالناس كلهم في الدّار الدنيا غرباء، لأنّها ليست لهم بدار مقام وليست الدار التّي خلقوا لها، ولهذا وصف أحد شيوخ الإسلام هذا النوع من الاغتراب بأنه لا يحمد ولا يذم وله فيه هذه الأبيات:

وحي على جنّات عـــدن فإنّهـــا منازلك الأولى وفيـــها المخيـــمّ
ولكننا سبي العدو، فهل تـــرى نعود إلى أوطاننـــا ونسلـــم ؟
وأي اغتراب فوق غربتنـــا التّي لها أضحت الأعـــداء فينا تحكـــم ؟
وقد زعموا أنّ الغريب إذا نـــأى وشطت به أوطانـــه ليس ينعـــم
فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعـــة من العمـــر إلا بعـــدما يتـــألم

وقد حضّ الدين الإسلامي النّاس على أن يتخذوا الدّنيا ممراً ولا يجعلوها مقرا ووطنا فهي دار فناء، أو دار انتقال إلى دار البقاء »[3].

قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [4] ،فهذه الآية أكبر دليل على أنّ الدّنيا ومن فيها فانون.

(1)- أشرف علي دعدور:الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، ص :19- 20.
(2)- ينظرسميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 34.
(3)-سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 23- 24.
(4)- سورة غافر/ 39.

«وقال النبيّ (ص) لعبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنه: [كن في الدّنيا كأّنك غريب أو عابر سبيل] وقال علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه: " وأحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة، وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها، وغرت بزينتها".

لكن الإمام الفقيه ابن رجب الحنبلي، يرى أنّ الناس في الدّار الدنيا قسمان قسم وقف مع الدنيا وزينتها واغتر بها وجهل معرفة اللّه وعظمته وإجلاله وهؤلاء لا يشعرون بالاغتراب في الدنيا بل يستوحشون من ترك الدنيا وملذاتها والقسم الثاني آمن باللّه حق الإيمان فاستأنس به وبذكره ومحبته وهؤلاء يستوحشون من الدّنيا وشهواتها ويعيشون مشاعر الاغتراب عن الوطن الأم»[1] .

وهكذا فإن هذا الصنف من المسلمين وأهل الدّين نظروا إلى أنّ الدنيا دار بلاء وزوال لا يحق للإنسان الوقوف عندها لأنها لا محالة سوف تزول وتنأى عنه، « واغتراب الحال وهو بالمعنى الإسلامي الابتعاد أو الانفصال عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، وعن الكثرة التّي غرقت فيها ومفارقة شهوات الدّنيا وملذاتها وزخارفها وهوى النّفس ومطامعها والتمسك بتعاليم الدِّين الصّحيح ومحاربة البدع والشّبهات التّي دخلت الإسلام وليست منه في شيء »[2] .

« وقد وصف الرسول الكريم غربة أهل الإسلام في أحد أحاديثه: [بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء] ، وينطوي هذا القول على شيء من امتداح الغربة»[3] ، وهو الأمر الذي جعل من قول الرسول مصدراً انطلق منه الكثير من علماء الدّين ورجالاته[4]،إضافة إلى اغتراب الهمة وهو« اغتراب العارفين، وقد عدّ أعلى درجات الاغتراب عند المسلمين، لأنّ الاغتراب الأول، اغتراب بالأبدان، والثاني اغتراب بالأفعال والأحوال وهذا اغتراب بالهمم، فالعارفون غرباء بين الخلق كلهم وهم المتصوفة، أصحاب المعرفة الذوقية الذين يعملون للاتصال باللّه عن طريق معرفته ومحبته، ومما تجدر ملاحظته أن هذا المغترب عن كل شيء سوى اللّه، لا يشعر باغترابه هذا ولا يستوحش منه بل على العكس من ذلك ينعم فيه بمتعة ما بعدها متعة وهذا ما يبينه قول "ابراهبم بن أدهم": " لو علم الملوك وأبناء الملوك، ما نحن فيه من السرور والنعيم ومن لذة العيش وقلة التعب، إذا لحاربونا على ما نحن فيه بأسيافهم.

---

(1)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :24.

(2)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 30.

(3)- صالح زامل : تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي ، ص :16.

(4)- ينظر عمر بوقرورة : الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص: 15.

وأنشد في ذلك يقول:

هجرت الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكـــا

فلو قطعتني في الحب إربــاً لما حنّ الفؤاد إلى سواكــــا »[1] .

كما نجد هذا المفهوم -إضافة إلى علماء الدِّين والمتصوفة - متجسّدا عند أحد الأدباء والمفكرين العرب القدماء وهو أبو حيان التّوحيدي الذي لاشك أنّه استمد آراءه عن الاغتراب من تجربته الشخصية ومعاناته في الحياة.

ويمكننا أن نقرأ المفهوم الشّامل للغربة عند أبي حيّان التّوحيدي في كتابه "الإشارات الإلهية"، حيث نجد هذا المفهوم المادي والمعنوي لهذه الكلمة في قوله : « "فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟!وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان ؟!".

ويقول أيضا في موضوع آخر يحاول أن يعطينا صورة صادقة عن الغريب، فهو يمسك ريشته ويحاول رسم هذا الغريب لكي يعطي لنا صورة صادقة عن ملامحه ومسلكه في الحياة فهو يقول: الغريب من لبسته خرقة، وأكلته سلقة، وهجعته خفقة والغريب من غربت شمس جماله، واغترب عن حبيبه وعذاله وأغرب في أقواله وأفعاله وغرب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمره وسرباله، يا هذا **!** الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة... الغريب من إن حضر كان غائبا، وإن غاب كان حاضرا، الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه »[2] .

ويصل اكتمال المفهوم عند التوحيدي في قوله: « وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه »[3].

وإضافة إلى علماء الدين والأدباء نجد علماء النفس يستعملون كغيرهم مصطلح الاغتراب محاولين بذلك تبيين معانيه وذكر أسبابه وهذا ما نجده ماثلا عند "**أريك فروم**" مثلا ، فهو يعرفه بأنه: « نمط من التّجربة يعيش الإنسان فبها نفسه (بوصفه) شيئا غريبا ويمكن القول أنه قد أصبح غريبا عن نفسه، أنّه لا يعود يعيش نفسه باعتباره مركزًا للعالم ومحركا لأفعاله، لكن أفعاله ونتائجها قد أصبحت سادته الذين يطيعهم أو الذين يعبدهم .

---

(1)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 30- 31.

(2)- حسن محمد حسن حمّاد:الاغتراب عند أبي حيان التّوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة فصول، القاهرة،العدد الثالث، خريف 1995، ص: 72.

(3)- صالح زامل: تحوّل المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص: 19.

وهو يستخدم هذا الاصطلاح أوّلا وقبل كل شيء لإيضاح الأنماط المختلفة من الانفصال أو الانقسام »[1].

ومن بين علماء النّفس الذين طرقوا هذا الباب وتناولوه بالتّحليل والدراسة عالم النّفس "كينيستون" « حيث يرى أنّ هناك أسبابا ذاتية وأسبابا موضوعية تؤدي إلى الاغتراب، ويرد الأسباب الذاتية إلى عوامل نفسية ديناميكية تحدث في نمو الفرد، أما الأسباب الموضوعية فهي الظروف المحيطة بالفرد، وما يكوّنها من عوامل حضارية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نشير إلى أن اغتراب المبدعين وهم نخبة مميزة في المجتمع ذات تكوين نفسي مميز أشد أثرا في حفر مسارب الاغتراب حتى تصل إلى ذروتها المنشودة وتنجح في تكوين التيارات الفعالة التي تقود عمليات التغيير »[2]، والمقصود من هذا القول أنّ الاغتراب له أسباب ذاتية وأخرى موضوعية ،والمبدعون أو المبتكرون في المجتمع تدفعهم العوامل الذاتية أكثر من عوامل أخرى.

وقد بات الاغتراب قضية تناولها الفلاسفة والمفكرون بالتحليل وتعقبوها بالبحث والاستقصاء [3]، لذلك نجده يشغل حيزا كبيرا في كتبهم ودراساتهم.

« فقد استخدم مصطلح الاغتراب بشكل واسع في نظرية العقد الاجتماعي ويرى "جان جاك روسو" في كتابه "العقد الاجتماعي" أن قيام الفرد بتغريب سيادته على ذاته، وتسليم هذه السِّيادة إلى الجماعة هو شرط ضروري لوجود الجماعة وأنّ بنود العقد الاجتماعي يمكن اختصارها في بند واحد هو التغريب الكامل من قبل كل عضو مشارك في الجماعة، لكافة حقوقه والتنازل عن حريته الطبيعية، وبموجب هذه النظرية تغترب الحقوق الطبيعية للفرد عن هذا الفرد وتنتقل إلى الدولة ويغدو الإنسان الذّي كان حرا مستقلا تابعا للدّولة بل وعبدا لها » [4].

أما الفيلسوف الألماني "هيغل" فقد ناقش مصطلح الاغتراب ، فوصل به إلى ازدواجية دلالة المصطلح فهو يرى فيه معنيين ،معنى ايجائي ومعنى سلبي [5].

هذا عن الاغتراب عند هيغل،أمّا"ماركس" «فقد عد الاغتراب ظاهرة اجتماعية تظهر في سياق العلاقات الاجتماعية في النسق الاجتماعي المحدد، وهو يميز ثلاثة أنواع من الاغتراب :

---

(1)- صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص:26.

(2)- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997،ص:(ت) من المدخل.

(3)- ينظر محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي، دراسة من منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999، www.awu-dan.org

(4) - سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ،ص:35..

(5)-ينظر صبار نورالدين :الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية،مجلة الموقف الأدبي، www.awu-dan.org

اغتراب العمل: ويرى ماركس أن هذا النوع من الاغتراب هو الأرضية المشتركة لكل أشكال الاغتراب الأخرى.

واغتراب الناتج: إن اغتراب العمل يقود إلى اغتراب النّاتج الذي يصبح غريبا عن منتجه حينما يقع تحت طائلة قوة غريبة ومعادية إنسانية أو غير إنسانية.

واغتراب الذات هذا النّوع هو تحصيل حاصل من الاغترابين السابقين لأن عمل المرء وإنتاجه هما في حياته شكل متموضع، فإذا اغترب عنه العمل والناتج اغتربت ذاته.

إنّ الاغتراب لدى "ماركس" لصيق بالحياة ومن هنا كان اكتشاف جذور هذه الظاهرة عنده يرجع إلى بؤرة الوجود الاجتماعي الطبقي وهو الذي حوّل مصطلح الاغتراب إلى مصطلح علمي له دلالات (سوسيولوجية) وأبعاد واقعية وأنزله من عالم المثل إلى عالم الواقع الاجتماعي الحي»[1]،هذا عند الفلاسفة .

« أما عند الوجوديين فيمكن أن نجمل حديثنا عن الاغتراب عندهم في أنماط ثلاثة هي:

أوّلا: الاغتراب عن العالم وعن الآخرين .

ثانيا: الاغتراب عن الذات .

ثالثا: الاغتراب عن اللّه عند الوجودية المؤمنة، علما أنّ أنواع الاغتراب هذه متداخلة فيما بينها في كتابات الوجوديين ومثبوتة في مجمل مؤلفاتهم »[2]،فالوجوديون كغيرهم من الفلاسفة والمفكرين يؤمنون بالاغتراب ويجعلونه وفق ثلاثة أنواع، اغتراب عن النّاس واغتراب عن النّفس واغتراب عن اللّه.

« ويختصر "تيليش" الوجود بأن يقول: " الوجود الإنساني انفصال " وليس الوجود انفصالا للفرد عن ذاته فحسب بل وعن الآخرين »[3] .

إذن بعد هذه الرحلة العاجلة في عالم الاغتراب والتي استوقفتنا عند حدوده ومعانيه من ناحية اللغة والاصطلاح ومن وجهات نظر مختلفة عربية وغير عربية .

نقول بأن: « الاغتراب كفكرة يقوم على أساس التّمييز بين وجود الانسان وجوهره وعلى أن وجود الانسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع لا يتفق مع جوهره أو ما هو من حقيقته وإنما هو يختلف عنها بل ويتعارض معها، فما هو كائن لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون، والإنسان المغترب (alientedà)هو الإنسان الذي لا يحس بفاعليته ولا أهميته ولا وزنه في الحياة وإنما يشعر بأن (aliented)

---

(1)- صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص: 25-26 .

(2)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :50 .

(3)- صالح زامل: تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص: 26 .

العالم (الطبيعة والحزن بل والذات) على عكس ذلك، غريب عنه »[1]، من خلال هذا نستطيع أن نقول أنّ الإنسان المغترب يفقد قيمته ووزنه في المجتمع لذلك يحسّ بالغربة والانفصال والبعد « وهذا كله ناتج عن الظروف المادية والأسباب الشخصية والعامة المؤدية إلى الغربة والمعاناة الدائمة »[2]،فمن دون شك الظروف المحيطة بالإنسان سواء كانت المادية أو المعنوية تؤثر فيه وتجعل معاناته بارزة وكذا تعمّق إحساسه بشتى أنواعها.

2- أنواع الاغتراب:

إذا اعتبر مفهوم الاغتراب إشكالية كبيرة واجهت الدّارسين في تحديد مفاهيمه وضبط زواياه وذلك بالنظر إلى الغموض الذي كان يكتنفه فإن أشكاله وأنواعه كانت أكثر منه غموضا وتعقيدا « لأنه ليس هناك شيء يسمى بالاغتراب الشامل الذي يجمع سائر الأنواع معًا، وليس هناك شيء يسمى بالاغتراب (س) والاغتراب (و)، غير أن هناك أنواعا من الاغتراب لا تعد ولا تحصى كانت موجودة ولا تزال موجودة وسوف تأتي إلى الوجود (بدون شك) مع استمرار المغامرة الإنسانية في السير في دروب الوجود المتعددة والمتباينة، ولعل علماء الاجتماع والفلاسفة الاجتماعيين يحسنون صنعا إذا وجهوا اهتمامهم إلى هذه الأنواع، وذلك لأنها تشتمل على العديد من أهم الامكانات التي يمكن أن تظهر على طريق الدراما المستمرة للحياة والتجربة الإنسانيتين »[3].

وأنا هنا سوف أحاول قدر الإمكان التعرض إلى أهم الأنواع وأكثرها انتشارا لدى الشعراء لتبيين مداها وخصوصياتها وأوّل نوع أتطرق إليه هو:

الاغتراب الاجتماعي: « الذي يعني باختصار شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة، إضافة إلى ما يصحب ذلك من إحساس بالألم والحسرة، أو بالتشاؤم واليأس وما يرافقه أحيانا من سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة ...» [4]،فهذا النّوع من الاغتراب منتشر بكثرة بين النّاس فهناك من يغترب وينفصل عن النّاس، وهناك من ينفصل عن العادات المكتسبة،كما نجد من يشعر بالغربة من الحكام وسياساتهم.

---

[1] -عزّت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1985، ع6، ص: 72 .

[2] -عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضى، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص :11 .

[3] - ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب مع دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت أبو العلا ، منشأة المعارف، (د، ط، د، ت)، ص :59 .

[4] -سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 151 .

فها هو« شاخت يعزو انعزال الفرد اجتماعيا إلى كونه شخصا خلاقا، فربما بحكم كنهه كذلك شخص غير متوافق،يضع التقاليد موضع التساؤل أو يخرج عنها، وكلما كانت أصالته أكثر عمقا، ازداد عمق اظطراره للاغتراب عن مجتمعه»[1]

وثاني نوع هو: « الاغتراب الروحي ويرتبط ظهور هذا النوع من الغربة بوجود الدين في أي مكان وزمان، في المشرق كما في المغرب، فشعراء الزهد والتصوف يتأثرون ببعض المفاهيم الدِّينية التّي هوّن كثيرا من شأن الدّنيا ومتعها الفانية، ومرور الانسان بها كأنه غريب أو عابر سبيل فكثيرا ما عبروا عن زهدهم في هذه الدنيا وعن متاعها الزائل واجتنابهم للنّاس واعتزالهم الحياة وكل ما يتصل بها متوجهين ــ في الوقت نفسه ــ إلى اللّه وإلى العالم الآخر، ساعين دوما إلى خلاص الروح من هذا العالم الأرضي لتصل إلى عالمها العلوي، ولا شك أن الوصول إلى هذا الفهم أو التصور مر بمراحل وصل فيها مفهوم الزهد بصورته البسيطة إلى هذا المعنى الخاص لدى الصوفية عن غربة الروح في الجسد بل في هذا العالم»[2]، فالاغتراب الروحي يعتبر كغيره من الأنواع الأخرى للاغتراب التي عانى منها الانسان،والمغترب في ظلّه يشعر بالانفصال عن الدنيا ومتاعها، فهو كعابر السبيل بها لا يتوقف عندها وإنّما يمر عنها ليصل الى مكانه وعالمه الأصلي.

أمّا الاغتراب الاقتصادي، فمفهومه ظهر « منذ أن بدأ الرومان القدماء في استعمال الكلمة اللاتينية (alienatio) للدلالة على فعل تحويل ملكية شيء إلى شخص آخر أو إلى هيئة أخرى، كما

كان متداولا أيضا في اللغات الإنجليزية والألمانية والرومانية منذ العصور الوسطى، كما يكشف عن ذلك أي قاموس يتعلق بتاريخ أي لغة من هذه اللغات .

أمّا بالنسبة لظاهرة الاغتراب الاقتصادي فيمكن القول إننا فسرناها في ضوء التعريف الذي جرى عليه العرف، فلابد أن نقرّ أنها قديمة قدم المؤسسات الإنسانية الخاصة بالملكية والتبادل الاقتصادي »[3].

وعلى اعتبار أنّ "ماركس" يعدّ المنظّر الأكثر شمولية في حديثه عن الاغتراب الاقتصادي فإننا سوف ندرج رأيه حول هذا النوع من الاغتراب .

إذ « ينظر "ماركس" للاغتراب باعتباره العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التّعبير عن ذاته التّي تحولت وصارت تبدوا متمثلة في استغلال إنتاج العمال بواسطة الرأسمالي، فعند الأخذ بتقسيم العمل كما يقول "ماركس" يغدو لكل امرئ مجال محدد ومغلق لتقييم العمل مفروض عليه ولا منجاة له منه

---

[1]- يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص:25 .

[2]-أشرف علي الدعدور: الغربة في الشعر الأندلسي، ص: 45 .

[3]-ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت، أبو العلا، ص: 61 .

فيصبح صائدا للحيوانات أو للأسماك أو راعيا ويتعين أن يظل كذلك إذا لم يشأ أن يفقد وسائل كسب معيشته» [1]، وبالنسبة إلى الاغتراب الذاتي: « فإن الموطن الأصلي له يكمن في تراث الفكر الحديث الذي اتخذ من نوعيه الحياة الإنسانية موضوعه الأساسي، ولقد كان"هيغل"و"ماركس" و "نيتشه" من بين الذين قدموا إسهامات رئيسية للمناقشات التي دارت حول هذا الموضوع والتي شاعت في القرن الماضي وامتدت إلى هذا القرن على غرار ما نجد من التطورات التي جاءت بها الفلسفة الوجودية والنظرية الاجتماعية النقدية لمدرسة فرانكفورت »[2] .

فاغتراب الذات إذن «ينشأ عن التناقض بين الإنسان وبين العالم الخارجي، بين الواقع والخيال، بين ما هو عليه وبين ما يحلم به، بين ما يملكه وبين ما يطمح إليه، بين نظام العالم ونظام تفكيره، بين عالم الآخرين وعالمه الخاص، فينفصل المرء عن ذاته الإنسانية الحقة أو عن طبيعته الجوهرية، وبهذا المعنى يحمل ذلك التعبير فكرة الفقد الكلي لإنسانية الإنسان »[3] .

كما نجد الاغتراب الزماني « (temporal alienation) الذي يعد من الأمور الغامضة، لأن الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت نسبيا، أما الزمان فمتغير وبالتالي فتأثيره النفسي على الانسان أكثر غموضا أيضا، فالإنسان قد يشاهد شيئا معينا أو يحس بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة، بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية »[4].

إذن كانت هذه هي جل الأنواع والأشكال التي عرفها الاغتراب على ممر العصور إضافة إلى أنواع أخرى لم تدرج في البحث نظرا لقلة أهميتها أو لعدم تداولها وتناولها من طرف الباحثين في كتبهم من مثل الاغتراب الجسدي، والجنسي، والاغتراب الوجودي، واللغوي وغيرهم من الأنواع .

فهاته الأنواع المذكورة وغيرها سوف نحاول قدر الإمكان تبيينها وتفصيلها بالدراسة والتحليل ــ إن وجدت كلّها ــ عند علم من أعلام ا لأدب العربي عانى من أنواع شتى من الاغتراب -كما سوف نذكرها استنادا إلى أهميتها وشيوعها في شعره-ألا وهو أبو العلاء المعري الشاعر الفذ الذي سحر الناس بملكته وعلمه، ولكن قبل أن نتطرق إلى هذه الأنواع عنده يجب علينا أن نعرج إلى جذور الاغتراب في الشعر العربي .

(1)- يحي العبد الله: الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص: 25- 26 .

(2)-ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب، دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت أبو العلا، ص: 239،237 .

(3)- غسّان السيد:الاغتراب في أدب زكريا تامر، مجلة الموقف الأدبي ،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع 352 ،سبتمبر 2003، www.awu. Dam.org

(4)- يحيى العبد اللّه: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلوّن الروائية، ص: 28 .

3- جذور الاغتراب في الشعر العربي القديم:

يتبادر الى ذهن الإنسان منذ البداية بعد سماعه لمصطلح الاغتراب أنه مصطلح حديث مرتبط بالعصور الحديثة و الحقيقة أنّه قديم « قدم الإنسان في هذا الوجود، فمنذ أن تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها وفي ظلها الأزمات التي كانت تتمخض بشكل أو بآخر عن أنواع من الاغتراب عانى منها الفرد وواجهها على وفق حجم طاقاته العادية والروحية، فقد تقوده إلى التمرد والعصيان، مثلما قد تفضي به إلى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذّات »[1] .

وإذا رجعنا إلى الشعر العربي القديم يمكننا أن نعثر على بدايات وبواكير للاغتراب وذلك منذ العصر الجاهلي،« ولو رجعنا إلى حياة الإنسان الجاهلي لوجدنا أنها رحلة لا تهدأ وراء الكلأ وانتقال من ماء إلى ماء، وتتبع لمساقط الغيث حيث كان، فالهجرة والتنقل تأتي وفقا لضرورة عصية على إرادة الإنسان الجاهلي وهو لا يملك له دفعًا »[2]،فالهجرة والتنقل من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ والماء جعل الإنسان يحسّ بالغربة وهو ينأى عن مكانه الأصلي إلى مكان آخر غريب عنه ،« ويظل الاغتراب احدى وسائل الكشف عن دقائق حياة الجاهلي وتفاصيلها واحدى صور الغوص وراء معطيات عالمه الخاص، وقد حدا به إلى ضرب من الانطواء بالمعنى النفسي أو عكس ذلك من الرغبة الجامحة في تجاوز القيم والانفتاح على مادة الواقع، وإن تعددت صور هذا التجاوز، أو غير ذلك من مواقف تحكيها لحظات الإحساس بالفقد والحرمان،أو معايشة عالم الضياع، أو الوقوف عند منطقة الاستسلام والانهزام البشري إلى غير ذلك من أبعاد تحكيها قصة شاعر المعلقة عبر صراعه الطويل، مع عالمه الواقعي والشعري بصفة خاصة » [3].

على نحو ما تحكيه لنا لوحة الطلل مثلا في كثير من معلقات الشعراء "كزهير بن أبي سلمى" و"لبيد بن ربيعة" وغيرهما من شعراء المعلقات.

مثلا هذا الأخير "لبيد" يتوقف في معلقته عند مشاهد الذكرى الطللية، فيقول:

عفت الدّيار محلُّها فمقامهـــا   بمنى تأبّد غولهـــا فرجامهـــــا

فمدافع الريّان عُرِّيَّ رسمهـــا   خَلَقًا كما ضمن الوُحَيَّ سِلامها

دِمَنٌ تجرّم بعد عهد أنيسهـــا   حِجَجٌ خَلَوْن حلالها وحرامهـــا

---

[1]- محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر www.awn.dam.org

[2]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 69 .

[3]- مي يوسف خليف: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د، ط، د، ت)، ص: 15- 16.

رُزقت مرا بيع النجوم، وصابها   وذْق الرّواعد جودها فرها مها[1].

إلى آخر المعلقة، فهو هنا في حديثه عن الأطلال يذكر أماكنها وما أصابها بعد رحيل الأحبة، وما مر بها من الأحداث بتنسيق جميل وتسلسل لا يعرف التفكك والضعف .

« فالاغتراب في شعر الأطلال كامن في ظاهرة الغياب والفقدان، فقدان الوطن، منازل القبيلة، فقدان الأهل و الحبيبة، فقدان الماضي السعيد والحياة الخصبة الممتعة .

و"لامرئ القيس" تجربة خاصة في الاغتراب عن الدّيار والوطن فقد أمضى شطرا كبيرا من حياته، شريدا هائما على وجهه بعدما أنكر عليه أبوه قول الشّعر وخرج مغضوبًا عليه يقول:

تذكّرت أهلي الصّالحين وقد أتت   على حَمَلي خُوصُ الركاب وأوجرا
فلما بدت حوران في الآل دونـــها   نظرت فلم تنظر بعينيــك منظـــرا
تقطع أسبـــاب اللبّانة والهـــوى   عشية جاوزنا حمـــاة وشيـــــرزا[2]

فهو هنا يبحث عمن يعينه للأخذ بثأر أبيه لاسترجاع ملكه الضّائع، فذهب إلى ملك الرّوم لتحقيق غايته، لكن إحساسه بالغربة كان مؤلما منذ بدأ رحلته وفارق أهله وبلاده .

« ويمثّل لنا" عنترة العبسي" لونًا آخر من ألوان الاغتراب في العصر الجاهلي وهو الاغتراب العنصري أو العرقي، فقد تنكرت له قبيلته بما في ذلك أبوه وعمه وأذاقوه صنوف العذاب والإهانة بسبب سواد لونه وعبوديته، فما أشد إحساسه بالهوان والضيّاع وما أقسى شعوره بالمرارة في قوله:

المال مالكم والعبد عبدكـــم   فهل عذابك عني اليوم مصـــروف»[3]

ونلمح ألوانا أخرى من الاغتراب في الشعر الجاهلي، كالاغتراب عن المجتمع وقيمه فهو واضح عند الكثير من الشعراء أمثال "طرفة بن العبد" مثلا الذي عاش ظروفا قاسية في حياته وهذا ما أدى به إلى الشعور بالاغتراب وهذا ما نستشفه في قوله:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   عليّ المرء من وقع الحسام المهنّـــد[4].

فقلقه مع عزة نفسه دفعاه إلى التمرد والثورة على هذا المجتمع .

---

(1)- حسن جعفر نور الدّين: لبيد بن ربيعة العامري ــ حياته وشعره ــ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990، ص :115 .

(2)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 80-81، وامرؤ القيس: الديوان ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (د، ط، د، ت)، ص:62.

(3)- محمد راضي جعفر:الاغتراب في الشعر العراقي ، www.awn.dam.org

(4)- الزوزني: شرح المعلقات العشر، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط1، 2005، ص: 23.

«وظهر الاغتراب عن المجتمع جليا عند فئة من شعراء الجاهلية هي فئة الشعراء الصعاليك الذين يمكن أن نميز فيهم مجموعتين: مجموعة فرض عليها هذا الاغتراب وتتألف من الشعراء الخلعاء الذين نبذتهم قبائلهم وطردتهم من حماها، وقطعت كل صلة بينهم وبينها بسبب تصرفاتهم التي تخالف منطق القبيلة وقوانينها.

ومما لاشك فيه أن اغتراب هذه الطائفة كان نتيجة دوافع اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية.

ولكن ومهما كانت الأسباب المؤدية إلى اغتراب الصعاليك وسواء كان اغترابهم مفروضا أم اختياريا فقد جمع بينهم على اختلاف قبائلهم الفقر والجوع والتشرد»[1]، فعن الفقر الذي عاني منه الكثير من الناس قال أحدهم: «

ذريني للغنى أسعـــــي،فإنـــــي رأيت الناس شرهــم الفقيــــر
فسر في بلاد الله والتمس الغنــى تعش ذا يسار أو تموت فتعــذرا
ومن يك مثلي ذا عيال ومقتــرا من المال يطرح نفسه كل مطــرح

وهذا الفقر الذي استبد بحياة الصعاليك حمل لهم في ركابه الجوع،نتيجة طبيعية له،ولعل الجوع أقسى ما يحمله الفقر إلى جسد الفقير.فقد كثر الحديث عنه في أخبار الصعاليك وشعرهم،فهاهو السليك بن سلكه يحدثنا عن بعض شعره كيف كان يغمي عليه من الجوع في شهور الصيف حتى يشرف عليه الموت والهلاك:

وما نلتها حتى تصعلكت حقبـــة وكدت لأسباب المنية أعـــرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضربي إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف» [2]

هناك بالإضافة إلى هاته الفئة من الصعاليك التي هجرت المجتمع القبلي فئة أخرى اغتربت عن العالم الإنساني كله فهجرت مجتمع الإنسان إلى الصحراء البعيدة حيث الوحوش والحيوانات المختلفة فصاحت هذه الوحوش وأنست بها يقول "تأبط شرا "واصفا نفسه لامرأة يريد خطبتها :

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمى لها مرتعـــــا
رأين فتى لا صيد وحش يهمه فلو صافحت إنسا لصافحنه معا[3]

فهو قد عايش الوحوش طويلا وسالمها ولهذا اطمأنت له وألفته، حتى لتوشك أن تصافحه.

---

(1)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :84، 89.

(2)- يوسف خليف:شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط3، (د، ت)، ص: 29- 30.

(3)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :84، 89 .

«وهو يفتخر في قافيته المشهورة بكرمه وتشرده، ويتوعد عاذليه إن لم يكفوا عن عذله بترك دياره والمضي متشردا هائما إلى حيث لم يعرف مكانه مهما كان:

إني زعيم لئن لم تتركــوا عــذلي أن يسأل الحي عني أهل آفــاق

أن يسأل القوم عني أهل معرفة فلا يخبرهــم عن ثابـــت لاق» [1].

أما "الشنفري" فنجده يقول عن وحوش الفلاة:

« هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

ومعناه هؤلاء هم الأهل الذين يؤتمنون علي السر ويدافعون عن جرائم المذنب. فالشنفري تحمل إهانة أهابت بنفسه العزيزة أن تترك الأهل وتضرب في الصحراء مع الوحوش وأن تنفث همها في قصيدة عرفت بلامية العرب أعربت فيها عن عتاب أليم تضمن فخرا ووصفا للبراري»[2].

فبالإضافة إلى هذه الصور هناك صور أخرى كثيرة موجودة في الشعر الجاهلي لا يتسع لنا المجال لذكرها كلها جملة واحدة، فقد اقتصرنا فقط على الأهم والشائع منها وعند أهم وأبرز شعرائها، ثمّ جاء بعد العصر الجاهلي عصر صدر الإسلام ،فدلت كلمة هذا الأخير؛أي الإسلام على معنى الخضوع والانقياد والاستسلام، وقد تردد هذا المعنى في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:﴿وَأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون﴾[3]، فهو دين جاء ليكمل الديانات السماوية السابقة.

وقد أطلقت كلمة الإسلام على الرسالة التي جاء بها محمد رسول الله الكريم لنشر تعاليمها حتى يبين لهم طريق الهداية وسبيل الرشاد والصلاح وقد أرسى الإسلام القواعد الإجتماعية للعرب فجعلهم يعيشون في أمة بعد ما كانوا يتوزعون في قبائل تعتمد على العصبية، فأصبحت القبائل ترتبط بعضها البعض بروابط دينية، واختفت العادات التي كانت سائدة في الجاهلية شيئا فشيئا كالأخذ بالثأر والانتقام وكذا الفوارق القبلية والطبقية والجنسية في المجتمع، فأصبح الناس سواسية في ظل الإسلام، وأصبح الفرد لا يعيش لنفسه بل للجماعة التي يفديها بروحه وماله، ويحس كل واحد منهم بمشاعر أخيه كشعور الغني

(1)- يوسف خليف : شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص: 241.

(2)- حنا الفاخوري :منتخبات الأدب العربي ، ص: 09- 10.

(3)- سورة الزمر/ 54.

بحالة الفقير، حيث يقدم له المساعدة عن طريق الزكاة التي تعتبر فرضا، وبذلك تشكلت العدالة الإجتماعية في المجتمع المسلم.

فإذن الإسلام هو دين سلام وطمأنينة للبشرية، وعلى هذا الاعتبار، حاول الفاتحون نشر تعاليمه للبشرية جمعاء حتى يستفيد منه العربي وغير العربي.

فعدّت بذلك الجيوش الإسلامية ونظمت لتبعث إلى مختلف الاتجاهات لنشر الدين الجديد، « فقد أقام الجنود في تلك البلدان البعيدة، تجمعوا في معسكرات فرأوا مناطق تختلف في جوها وطبيعتها، ومظاهر حياتها اختلافا بينا عما عهدوا في جزيرتهم ولم يستطع العرب في بادئ الأمر الاندماج في تلك الحياة فعاشوا هناك بأجسامهم، أما أرواحهم ومشاعرهم فبقيت في وطنهم ومع أهليهم الذين قضي عليهم أن يبتعدوا عنهم ويفارقوهم، وقد عبر الشعراء الذين شاركوا في الفتوحات عن تلك الأحاسيس بأشعار تعد من أصدق ألوان الشعر وأشدها تأثيرا في النفس »[(1)].

وبذلك كان « الفتح الإسلامي بداية التغرب الحقيقي عن أرض الجزيرة العربية بشكل كبير ومنظم »[(2)] فنتجت عن هذا التغرب تلك الأشعار التي تعبر عن أحاسيس وأشواق الفاتحين إلى أهليهم وأوطانهم وهذا ما يظهر في قول أحدهم يشكو غربته إلى قمرية حزينة مثله:

أقُمرية الوادي التي خان إلفها   من الدهر أحداث أتت وخطوب

تعالي أطارحك البكاء فإننـــا   كلانا بمرو الشاهجان غريـــب [(3)].

فهذا الشاعر الغريب وجد نفسه في موقف مقارب من موقفها ؛أي أن هذه القمرية هي بمترلة معادل موضوعي لهذا الشاعر المغترب، فقد ذكرته في وحدتها ونواحها وبما يشعر به .

وكان إحساس الشاعر بالاغتراب والوحشة يزداد حين يستشعر خطرا يهدد حياته أو يشعر بخطر الموت، وهذا ما نتبينه في شعر "مالك بن الريب" حين حضرته الموت وهو مغترب عن بلده بخراسان:

ألا ليت شعـــــري هـــل أبيتن ليلـــة   بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا

فليت الغضى لم يقطع الركب عرضـــه   وليت الغضـــى ماشى الركاب لياليا

لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى   مزار ولكن الغضـــى ليس دانـــــيا

ألم تـــرني بعت الضـــلالة بالهــــدى   وأصبحت في جـــيش ابن عفان غازيا

وأصبحت في أرض الأعادي بعيـــدما   أراني عـــن أرض الأعـــادي قاصيـــا

---

(1)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 81- 82.

(2)- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي ، ص: 21.

(3)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 81- 82.

دعاني الهوى من أهل أود وصحبتي   بذي الطبسين فالتفت ورائيا
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة   تقنعت منها أنّ ألام ردائيا
أقول وقد حالت قرى الكرد دوننا   جزى الله عمرا خير ما كان جازيا
إن الله يرجعني من الغزو لا أرى   وإن قل مالي طالبا ما ورائيا
تقول ابنتي لما رأت طول رحلتي   سفارك هذا تاركي لا أباليا

....

أقول لأصحابي ارفعوني فإنه   يقر بعيني أن سهيل بداليا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا   برابية أني مقيم لياليا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي   ورُدّا على عيني فضل ردائيا

....

ولا تحسداني بارك الله فيكما   من الأرض ذات القرض أن توسعاليا
خذاني فجراني بثوبي إليكما   فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
بعيد غريب الدار ثاو بقفرة   يد الدهر معروفا بأن لا تدانيا
أقبل طرفي حول رحلي فلا أرى   به من عيون المؤنسات مراعيا[1]

إلى آخر القصيدة، فالقصيدة طويلة تحوي حوالي ثمانية وخمسين بيتا يحكي فيها الشاعر عن غربته عن بلاده وإحساسه بمجيء ساعة الوفاة وهو بعيد عن وطنه مما أثار فيه مشاعر الوحشة والاغتراب.

والجدير بالذكر أن الاغتراب في الفتوحات لا يعكس البعد عن القبيلة ومضاربها بل هو بعد عن الجزيرة العربية ككل،وعن ناسها وطبيعتها ومناخها ونمط العيش فيها، فلنسمع إلى أحد الفاتحين يستبد به الشوق إلى أرض الحجاز وبالضبط إلى (نجد)فتنحدر دموعه بتذكرها فهو يقول:

أكرر طرفي نحو نجد وإنّني   إليه وإن لم يدرك الطرف أنظر[2]
حنينا إلى أرض كأنّ ترابها   إذا مُطرت عود ومسك وعنبر
أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي   خيام بنجد دونها الطرف يقصر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة   بعينيك مجرى مائها يتحدر
متى يستريح القلب إمّا مجاو   بحرب وإمّا نازح يتذكر

---

[1]-البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الميرية ببولاق ، ط1، (د، ت) ، ج1، ص :317، 319.

[2]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري،ص: 83-84.

وفي نفس السياق نجد ذلك الشاعر الذي كان يتمنى رؤية نجد فيقول :

فليت عيني ترى إذا نظرت   نجدا وقد أينعت حدائقها[1]

فشوقه وحنينه لـــ(نجد)جعله يتمنى رؤيتها والمناظر الموجودة فيها.

« ويضيق شاعر آخر بغربته في أرض تختلف في طبيعتها ومناخها عن (نجد) وبين أناس غرباء لا يتكلمون لغته، فيتشوق إلى تراب (نجد) وإلى برودة رياحها، وكل شيء فيها، ولكنه شوق فيه كآبة غريبة وحسرة ويأس

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي   ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا

وهيّجتني من أذرعات وما رأى   بنجد على ذي حاجة طربا بعـــدا

ألم ترى أنّ الليل يقصر طولـــه   بنجد وتزداد الريــــاح به بردا» [2]

وهكذا فإن الفتوحات الإسلامية التي ظهرت في عصر صدر الإسلام كان لها الأثرالكبير على شعر هؤلاء الشعراء الذين عانوا مرارة الفرقة والحزن على أهليهم وأوطانهم، فكان لهم هذا الشعر الوجداني الرقيق الذي تنسكب فيه أعمق المشاعر العاطفية وأصدقها وأشدها حرارة.

لقد رأيت فيما سبق، كيف أنّ الاغتراب ظهر لدى الإنسان منذ العصر الجاهلي مرورا إلى عصر صدر الإسلام، الذي كان بمثابة أرضية خصبة لما آل إليه الاغتراب بعد، وبالذات في العصر الأموي والذي سوف نشرع في تبيين جل محاولات الاغتراب فيه، وتبيين الظروف المحيطة به وأهم العوامل المساعدة عليه لدى أغلب الشعراء.

« فقد تغير الوضع في العصر الأموي، حيث نشأ في مناطق الفتوحات الإسلامية كالشام ومصر والعراق وبلاد الري وخراسان وغيرها، جيل جديد من العرب لم يعد يرى نفسه غريبا بل اعتبر تلك البلاد بلاده فتأثر بحضارتها واستطاع أن يندمج مع سكانها الأصليين وأن يتلاءم مع نمط الحياة فيها، وبذلك تبدلت حياة العرب هناك سواء منهم الجند أم الولاة وأسيرهم وأتباعهم من حياة بدوية بسيطة إلى حياة مليئة بالترف، تقلصت فيها تدريجيا القيم البدوية لتحل مكانها القيم الحضارية، أمّا البادية فقد ظلت محافظة على أسلوبها في الحياة ولهذا بقي أهلها يشعرون بالضيق والغربة، إذا ما اضطرتهم الظروف إلى الابتعاد عنها ومهما بلغ بهم التنقل والترحال ومهما أصابوا في غربتهم من تكريم ومنزلة رفيعة، فقد عرفوا بالحنين الدائم إليها وإلى نمط الحياة فيها، فهم يرون أن في الغربة كربة ومذلة »[3].

---

(1)- ياقوت الحموي:معجم البلدان،ص:www.al-mostafa.com,854

(2)- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 83- 84،وياقوت الحموي :معجم البلدان ،ص :123.

(3)-سميرة سلامي:لاغتراب في الشعر العباسي العباسي القرن الرابع الهجري، ص :84- 85.

ومن أصدق الأشعار التي تعبر وتوضح ما ذهبنا إليه تلك الأبيات التي قالتها"أم حسام " لّما تزوجت "بعبد الله بن إسحاق الجعفري" فنقلت من البادية إلى المدينة، فظلت بذلك تقارن بين المكانين وتشتاق للمكان الأول – البادية – فهي تقول :

أقول لأدنى صاحبـي أُسـرّهُ ... وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه
لعمري لنهي باللوى نازح القذى ... نقي النواحي غير طرف مشاربه
بأجراع ممراع كـأن رياحـه ... سحاب من الكافور والمسك شائبه
أحبّ إلينا من صهاريج ملئت ... للّعب فلم تملح لـدّي ملاعبه
فيا حبّذا نجـد وطيب ترابـه ... إذًا هضبتـه بالعيش هواضبـه[1]

ومما لا شك فيه أنها وجدت عوامل عديدة ساهمت في خلق الاغتراب في ذلك العصر [2] « كالعامل الاقتصادي – مثلا– ، حيث انطلق الشعراء للتعبير عن اغترابهم الناتج عن الأسباب الاقتصادية ولكن بطريقة إيجابية، فإذا كان المغترب سلبيا يعاني من العجز وانعدام القوة وفقدان المعايير والعزلة فإنّ بعض الشعراء في هذا العصر استطاعوا مواجهة الواقع عن طريق الرحلة إلى الخليفة وأولي الأمر برسم صورة حقيقية للواقع السيئ ، الذي يعاني منه رعيتهم يقول "**جرير**":

ألا هل للخليفة في نـزار ... فقد أمسوا وأكثرهم كلـول
وتدعوك الأرامل واليتامـى ... ومن أمسى وليس به خويـل
وتشكو الماشيات إليك جهدا ... ولا صعب لهـن ولا ذلـول
وأكثر زادهـن وهنّ سُفـعٌ ... حطام الجلد والعصـب المليـل

وعلى الرغم من أنّ الشاعر كان من شعراء البلاط الأموي إلاأنه اكتوى بنار التجربة وعانى من الاغتراب الاقتصادي الذي دفع به دفعا شديدا إلى اتخاذ الرحلة وسيلة ونمطا يعالج به اغترابه وكان أن قصد الخليفة "سليمان بن عبد الملك" ليصف له تجربته الخاصة والمعاناة العامة التي اجتاحت المسلمين :

أشكو إليك فأشكني ذريـة ... لا يشبعون وأمهم لا تشبـع
كثروا عليّ فما يموت كبيرهم ... حتى الحساب ولا الصغير المرضع
وإذا نظرت يريبني من أمهم ... عين مهججّـة وخـدٌّ أسفـعُ
وإذا تقسمت العيال غبوقها ... كثر الأنين وفاض منها المدمـع[3]

---

[1]- ينظرفاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 17.

[2]- ينظر:سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص : 84- 85.

[3]- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي،ص: 05- 06.

ونجد "الفرزدق" أيضا يكتوي بنفس التجربة، حيث تدفعه الظروف الاقتصادية القاهرة إلى الرحيل يقول :

وساقنا من قسا يُزجي ركائبنـــــا إليك منتجع الحاجات والقـــــــدر
وجائحات ثلاث مــا تركن لنــا مالا به بعدهن الغيث يُنتظـــــــــر
ثنتان لم تتركا لحما، وحاطمــــة بالعظم حمراء حتى اجتيحت الغُــرر
فقلت: كيف بأهلي حين عضّ بهم عام له كل مال معنـــــق جُــــــزر
عام أتى قبله عامــان ما تركـــا مالا ولا بل عودا فيهمــا مطــــــر
تقــول لّما رأتني، وهــــي طيّبــة على الفراش وفيها الدل والخفأــــر
كأنّني طالب قـــوما بجائحــــة كضربة الفتك لا تبقــي ولا تَــــذر
أصدر همومك لا يقتلك واردهــا فكـــــل واردة لهـــا صــــــدر
لّما تفرق همّـــــي جمعــت لــــه صريمة لم يكن في عزمــــها خـــوَرُ[(1)]

« وإذا كانت الظروف الاقتصادية القاسية دافعا ملحا لاتخاذ الرحلة وسيلة لتبديد الشعور بالاغتراب الناتج عن القهر الاقتصادي، فإن النمط الاغترابي يختلف عند بعض الشعراء الذين اتخذوا من الرحلة وسيلة للكسب المادي وتحقيق المكانة الاجتماعية المتميزة، غير أن المقام يطول بهم والشوق يزداد في النفس والقلب، وتظهر ألفاظ البكاء والحنين والاشتياق كبديل يحل محل العلاقة المفتقدة وتظهر صيغ الاستفهام لتوحي بمدى الإلحاح في العودة إلى الأهل والوطن:

متى راكب من أهل مصر وأهله بمكة من مصر العشية راجع

إلى جانب العامل الاقتصادي هناك العوامل الاجتماعية، والتي من أهم أسباب ظهور الاغتراب فيها هو النبذ والرفض» [(2)]ويكون النّبذ والرفض للنّاس في المجتمع وكذا لمختلف العادات المتوارثة والمكتسبة فيه؛فالاغتراب على إثره هو « شعور عام يشعر به الأقليات في المجتمعات العنصرية أو العرقية، ويكون الاغتراب من أنواع النفي أو الطرد من عالم الأهداف والدفء العاطفي والمغزى الاجتماعي» [(3)].

(1)- علي فاعور:ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (د، ط، د، ت)، ص: 164-165.
(2)- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص: 08.
(3)- قيس النوري:الاغتراب اصطلاحا ومفهوما ، مجلة عالم الفكر، الكويت ، ع الأول،1979، ص: 33.

وإذا كان الاغتراب هو وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به ، بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء لهذا الواقع وتزايد القلق فإن ذلك يتحقق في قول "طريح بن اسماعيل الثقفي" وتجربته مع "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" فيقول :

مالي أحلا عن حياضك مفردا　　　يرد الظّماء فيشربون وأُقْدع[1]

وتتعمق تجربته في القصيدة التي يوجهها إلى "الوليد بن يزيد" مصورا فيها مشاعره المفعمة بالحزن والألم الناتج عن الرفض المستمر لذاته يقول:

يابن الخلائف مالي بعد تقربـــة　　　إليك أُقْصى وفي حاليك لي عجـــب
مالي أُزاد وأُقْصى حين أقصدكم　　　كما تُوُقِّيَ من ذي العُرَّة الجــــرب
كأنّني لم يكـــن بيني وبينكـــــم　　　إِلٌّ ولا خُلَّة ترعى ولا نســـــــب
لو كان بالود يُدْنِي منك أزلفـــني　　　بقربك الود والإشفاق والحَـــــدَبُ
وكنت دون رجال قد جعلتهـــم　　　دوني، إذا ما رأوني مقبلا قطبــــوا[2]

لقد تحولت رحلته التي كانت رحلة اختيارية إلى بؤرة تتجمع فيها كل مشاعر الانفصال والاغتراب عن مجتمعه الجديد يقول:

فلا أراني بإخلاصـــي وتنقيتـــــي　　　لك الثناء وقربي منك أقتـــرب
قد كنت أحسبني غير الغريب فقد　　　أصبحت أعلن أنّي اليوم مغترب[3]

« وعلى الرغم من أننا نعلم أن الإنسان العربي يحيا في كنف قبيلته التي ينتمي إليها، ويُعرف من خلالها فإن ذلك لم يقف حائلا دون ظهور ألوان من التمرد الفردي، فقد يرفض الفرد مجتمعه الذي ينتمي إليه ويهجره إلى مجتمعات أخرى تحت ضغوط اجتماعية يمارسها هذا المجتمع حتى يصل هذا إلى عدم الرغبة في الانتماء إليه ويحاول جاهدا الانفصال عنه وهذا ما يتحقق في تجربة "الصِّمَة بن عبد الله القشيري" الذي واجه غربته بين أهله وعجزه في السيطرة على الظروف التي تواجهها باغتراب آخر ولكن ما أن تخطت قدماه ربى (نجد) حتى التهبت في نفسه نوازع الشوق والندم ولكن كبرياءه حال بينه وبين نوازعه:

أقول لصاحبي والعيس تهوى　　　بنا بين المنيفة فالضّمـــــــار
تمتّع من شميم عـــرار نجـــــد　　　فما بعد العشية من عَــــرَار

---

(1)- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص :12-13.

(2)- بدر ضيف: شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، دار الوفاء، ط1، 2004، ص : 94.

(3)- بدر ضيف: شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، ص: 95.

ألا يا حبذا نفحـــات نجـــــد   وريّا روضه بعد القطـــــــار

لقد كان غضبه وتمرده مشاعر مؤقتة إلا أن هجرته كانت دائمة منذ أن استقر في المناطق المفتوحة وظل ارتباطه (بنجد) موطنه الأصلي قويا متصلا مفعما بمشاعر الحب والتلاحم.

فإنّي أحبّ النير والبرق التي   بها النِيَرُ حُبًا خالط اللحم والدما » [1].

إضافة إلى العاملين الاقتصادي والاجتماعي، اللذان كان لهما الدور الكبير في إبراز ظاهرة الاغتراب في العصر الأموي نجد عوامل أخرى ساهمت في ظهور هذه الظاهرة كالعامل البيئي أو الحضاري وكذا العامل السياسي.

ونتيجة لهذه العوامل ظهرت ألوان كثيرة للاغتراب، كالاغتراب الاجتماعي، والاغتراب العاطفي ، والاغتراب السياسي.

هذا الأخير الذي كان « له الدور الأساسي في تشكيل الحياة السياسية لذلك العصر»[2]،خاصة وأنّه في أواخر هذا العصر ظهرت بعض الخلافات حول الحكم ممّا عزّز هذا النّوع من الاغتراب..

«أما في العصر العباسي فقد تغير الحال فظفرت الثورة العباسية فيه بالبيت الأموي الذي كانت نفوس الرعية تمتلئ سخطا وحفيظة عليه لما أذاقهم من الظلم، ولما حرمهم من الإنصاف والعدل الاجتماعي ولما ازدرى من الحق والواجب » [3]، ومن ثمّ سقطت دولة بني أمية واستولى أبو السفاح عليها فعمل بذلك «على إبادة الأمويين وأخذ يتعقبهم تعذيبا وتنكيلا، وأعمل السّيف فيهم حتى أتى عليهم، ولم ينج منهم أحد إلا من هام على وجهه وهرب إلى أصقاع الأرض، ومن أبرز هؤلاء كان الأمير" عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك " الذي لقّب بالدّاخل، فقد أفلت من يد بني العباس، وفر متخفيا من الشام إلى مصر إلى شمالي إفريقيا ثم إلى المغرب، في رحلة شاقة مليئة بالمغامرة والمخاطرة» [4] التي كانت – بالتّأكيد- بحثا عن الموطن الآمن والعيش الهانئ فوجد ما كان يطلبه في بلد المغرب «حيث أسس بها دولة أموية جديدة ظلت نحو ثلاثمائة عام» [5]، لكن استقراره بالمغرب لم ينسه وطنه الشام وأهله الذين تعرضوا للمحن والأهوال والويلات التي تركت في نفس عبد الرحمان الدّاخل أثرا كبيرا ،فحاول أن ينفس عن معاناته بأبيات شعرية تصوّر اغترابه العميق وشوقه الكبير الى موطنه ،كهذه الأبيات التي يقول فيها:

---

[1]- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص : 13- 14.

[2]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:86.

[3]- شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العبّاسي الأوّل، ص:14-15

[4]- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري،ص:91.

[5]- شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العبّاسي الأوّل، ص:14 .

أيّها الراكب الميّمم أرضي أقْر من بعضي السّلام لبعضـــي
إنّ جسمي كما تراه بأرض وفؤادي و مالكيـــه بـــــأرض
قدّر البين بيننا فافترقنــــــا وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضي الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضـــي[1]

لقد شعر الداخل بتمزّق داخلي ، فهو يحيا بجسمه في أرض الغربة-المغرب- ،لكن قلبه هناك في أرض الشام أين يوجد أهله وأحبته وإخوانه.

ويقال أنّه أوّل ما نزل الى منية الرصافة، نظر إلى نخلة مفردة فهاجت شجنه، وتذكّر بلده،فبدأ يقول:

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلــة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنّـــوى وطول التنـــائي عن بنيّ وعن أهلي
نشأت بأرض أنت غريبـــــــــة فمثلك في الإقصـــاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي يسحّ ويستمري السّمـــاكين بالوبل[2]

فهذه النخلة غريبة غربة" عبد الرحمن الداخل"، فقد انتزعت من مكانها الأصلي وهي الصحراء ووضعت في الأندلس، وهذا ما نجده عند عبد الرحمن الداخل، فكأنّه يخاطب نفسه هنا داعيا لها بالسقيا.

وقد أدّت طبيعة التطور الحضاري إلى تغيير في مفهوم الوطن، إذ أصبح يعني المدينة التي يعيش فيها الإنسان محاولا التكيّف معها ومن هنا أصبح الاغتراب عن الوطن يعني الاغتراب عن المدينة أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، وظهر هذا النوع من الاغتراب جليا في الشعر، فقد عبّر عنه الشعراء مبينين ألم الفرقة للأهل والجيران والأصدقاء، وهذا ما نستشفه عند" مطيع بن إياس "الذي أحس بألم الفرقة فتشوّق إلى الرّي وأهلها حينما كان متواجدا في حلوان ببغداد في أبياته التي يقول فيها:

أسعداني يا نخلتي حلـــــوان وابكيا لي من ريب هـــذا الزّمان
واعلما أنّ ريبه لم يزل يـــف رق بـــين الألاف والجيــــــــران
ولعمري لو ذقتما ألم الفــــــر قة أبكاكما الذي أبكـــــــــاني[3]
كم رمتني صروف هذي الليالي بفراق الأحباب والخــــــــلان

[1]-سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص :91 - 92.

[2]- ينظرسميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص :91 - 92، وياقوت الحموي: معجم البلدان ، ص : 1298.

[3]- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب ، (د، ط، د ، ت) ، ج13، ص :331 .

«أما "أبو تمام" فيعلن أن الاغتراب قد تملك جسده، وأنّ الدّهر مصرّ على أن يفرّق بينه وبين وطنه وإخوانه،فكلّما اتخذ وطنا غرّبه الدّهر، ولهذا فهو دائم التّوديع ودائم الأحزان والآلام وفي شوق مستمر يقول:

ما اليوم أوّل توديع ولا الثاني البين أكثر من شوقي وأحزاني

دع الفراق فإنّ الدهر ساعده فصار أملك من روقي بجثماني

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرّقتين وبالفسطاط إخــواني

وما اظنّ النّوى ترضى بما صنعت حتّى تشافه بي أقصى خراسان»[1]

ويظل "البحتري" يردد في أشعاره حنينه وشوقه إلى الشام يقول:

فسقى اللّوى لا بل سقى عهد اللّوى أيّام نرتبع اللّوى ونصيفــه

حنّت ركابي بالعــــراق وشاقهــــا في ناجر برد الشآم وريفــه

ومدافع الساجور حيث تقابلــــت في ضفتيه تلاعه وكهوفــــه

ويهيجـــني ألّا يــــزال يـــزورني منها خيال ما يغبّ مطيفــه

وشفاء ما تجد الضلوع من الحــوى سير يشق على الهدان وجيفه[2]

ولذلك نجده يلح في قصائد كثيرة أن يأذن له بالرحيل إلى موطنه وذلك.بمثل قوله:

وأعتقت الرقاب فمر بعتقــي إلى بلدي وأنت به جديــــر[3]

كما نجد" **أبا نواس**" من أشد شعراء تلك الحقبة إحساسا بالاغتراب فنجده يحن حنينا شديدا إلى بغداد، فهو يقول:

كفى حزنا أنيّ بفسطاط نازح ولي نحو أكناف العراق حنين[4]

وهو يعبر عن عمق الهوة التي تفصله عن مجتمعه وعن رجال السياسة المتواجدين في عصره يقول:

هذازمان القرود فاخضع وكن لها سامعا مطيعــــــا

وقد أعلن أبو نواس رفضه في وجه معاصريه لكلّ ما يتمسكون به من قيم ومفاهيم وخاصة المفاهيم الدينية يقول:

---

[1] - الخطيب التبريزي: ديوان أبي تمام ، دار المعارف، مصر، ط2، (د، ت)، م3، ص : 308،310.،وينظر إيليا الحاوي:شرح ديوان البحتري، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1981، ج1، ص :594.

[2]-يوسف الشيخ محمد:ديوان البحتري، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج1، ص 65، 66.

[3]-شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، (د، ط، د، ت)، ج4، ص 280.

[4]- علي فاعور:ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص :537.

مالي وللناس كم يلْحونني سفها ديني لنفسي ودين الناس للناس [1]

وهذا ما جعل "أبا نواس" يتجه إلى الخمرة لتبديد غربته والقضاء عليها ، فالخمرة في نظره هي التي تنسيه همومه وأوجاعه وتنقله إلى عالم مليء بالبهجة والسرور فهو يقول:

إذا خطرتْ فيك الهموم فداوها بكأسك حتى لا تكون هموم [2]

وقوله:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر[3]

« ونقف على عمق الاغتراب عن طبائع الناس وأخلاقهم في هذه المرحلة عند الشاعر "علي بن الجهم" الذي عانى من غربة الحبس والنفي فهو يقول لأخيه مشيرا إلى معاناته:

هي الأيام تكلمنا وتأسو وتأتي بالسـعادة والشقـاء

ولكنه يحذر فيها أخاه من البشر وتقلّبهم ومن غدرهم وخياناتهم، معربا عن خيبة أمله بهم، وعن يأسه من صحبتهم وعن شدة إحساسه بالانفصال عنهم، يقول:

توقّ الناس يا ابن أبي وأمي فهم تَبع المخافة والرجـاء

ولا يغررك، من وغد إخاء لأمر ما غدا حسن الإخـاء

ألم تر مظهرين عليّ عيبـا وهم بالأمس إخوان الصّفاء

فلما أن بليت غدوا وراحوا عليّ أشد أسباب البـلاء

أبَتْ أخطارهم أن ينصروني بمال أو بجـاه أو ثـراء

وخافوا أن يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفـاء

عليهم لعنة الله ابتـداء وعوْدا في الصباح وفي المساء

ولما خرج من السجن زهد في الناس والحياة، ورأى أنه لم يعد له صديق وأنه إن كان في الناس من يوثق به ويعتمد عليه فقد مات، فصار يذهب إلى المقابر ويجلس بها وحيدا ويسأله رجل ما يجلسك بين المقابر، فيجيبه

يشتاق كل غريب عند غربته ويذكر الأهل والجيران والوطنا

---

(1)- ينظر سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص :95.

(2)-علي فاعور:ديوان أبي نوّاس ،ص :463.

(3)-شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأوّل ،ص :225.

وليس لي وطن أمسيت أذكره إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا[1]

من خلال هذين البيتين نلمس حنينه وشوقه الى من هم في القبور من أهل وأصدقاء.

ولأبي العتاهية أبيات مشهورة، توضح لنا حالته وحالة الناس في عصره، يقول:

من مبلغ عني الإ مــــــا م نصائحا متتــاليـــــــة
إنـــي أرى الأسعـــــار أس عار الرعية غـــــاليـة
وأرى المكـــاسب نــــزرة وأرى الضرورة فـــاشية
من يرتجي للـــناس غيــــر ك للعيـــون الباكيـــــة
من مصبيـــــات جُــــوَّع تمسى وتصبــح طاويـــة
من يرتجي لدفـــــاع كــــر ب ملمّة هـــي ماهيـــتة
من للبطـــــون الجائـــعا ت وللجســـوم العاريـــة
ألقيـــــــت أخبـــارا إلي ك من الرعــية شافيـــة[2]

فقد اتجه هؤلاء المعذبون الذين عانوا من الغربة في المجتمع ونظمه الظالمة إلى عالم أخر حيث يكون فيه هذا المغترب زاهدا في الدنيا ومن متاعها الفاني، هذا العالم الذي صوره "أبو العتاهية" وأمثاله كثير فأظهروا لنا قيما مثلى كالصبر والقناعة والتوكل على الله والرضا على قدر الله وغيرها كثير من تلك القيم التي أسهب الشعراء الزهاد في الحث عليها عن طريق أشعارهم الخالدة.

إذن هذه هي صور الاغتراب التي عاشها الشعراء وعبروا عنها بأشعار مختلفة تجسد لنا اغترابهم وبعدهم وانفصالهم في فترة كثرت فيها الفتن وتوالت فيها رياح الحروب والثورات من كل فج، هذا ما جعل هذه الحقبة من الزمن – القرن الرابع الهجري – مميزة وزاخرة بوقائع وأحداث وفي كل المجالات خاصة المجال السياسي الذي كان يحركه العامل السياسي؛ « حيث لم يعرف العالم الإسلامي عصرا كالقرن الرابع الهجري، اضطربت فيه الحياة السياسية اضطرابا بينا، فكثرت الفتن وسفكت الدماء، ويحدثنا "مسكويه " فيقول: " وانبسطت العامة وأغار بعضها على بعض، وظهرت الأهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل، حتى كان لا يعدم كل يوم عدة قتلى، لا يعرف قاتلوهم، وإن عرفوا لم يتمكن منهم، فانقطعت موارد الأموال، وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة، وظهرت في كل

[1]- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:98-99 ،وشوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص:262.
[2]-ينظر سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:99، وشوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص:252.

قرية رئيس منها مستول عليها، وتباغوا بينهم، والسلطان صفر اليدين، والرعية هالكون والدور خراب والأقوات معدومة والعبيد متهارجون" » [1].

"فمسكويه" وصف لنا هذا الوضع الفوضوي الذي كان عليه الناس في القرن الرابع الهجري هذا ما قلل من الأمن والأمان والطمأنينة، فساد الخوف وقوى الظلم، وهناك العامل الاقتصادي « والمتمثل في فساد النظام المالي الذي أدى بدوره إلى خلل في التوازن الاقتصادي بين طبقات المجتمع حيث يمكننا التمييز بين طبقتين في المجتمع، طبقة الخاصة وهي الطبقة المستغلة وتشمل الخليفة والملوك والقادة والوزراء، وذوي النفوذ وبعض التجار والإقطاعيين وطبقة العامة وهي الطبقة المستغَلة وتضم أغلبية أفراد الشعب، وقد عرفت الطبقة المستغِلة بشراستها في استغلال الطبقة المعدمة وابتزاز أموال الرعية واتبعت أساليب فيها الكثير من التعسف والظلم والقهر والتعذيب بغية الحصول على المال » [2].

وهناك إلى جانب العامل الاقتصادي والسياسي عامل آخر، ألا وهو العامل الاجتماعي الذي كان له الدور الكبير في إبراز ظاهرة الاغتراب في هذا القرن يقدم "أبو حيان التوحيدي" وهو ابن القرن الرابع في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" صورة عن مجتمعه وعصره، توضح بجلاء مدى تفسخ الحياة الاجتماعية وانحلال الأخلاق يقول:« وقد بلينا بهذا الدهر الخالي من الديانين الذين يصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم، الخاوي من الكرام الذين كانوا يتسعون في أحوالهم، ويوسعون على غيرهم من سعتهم، وكانوا يهتمون بذخائر الشكر المعجل في الدنيا ويحرصون على ودائع الأجر المؤجل في الأخرى، ويتلذذون بالثناء، ويهتزون للدعاء، وتملكهم الأريحية، عند مسألة المحتاج وتعتريهم الهزة معها والابتهاج، وذلك لعشقهم الثناء الباقي، والصنيع الواقي، ويرون الغنيمة في الغرامة، والربح في البذل، والحظ في الإيثار، والزيادة في النقص» [3].

ومما يجدر ذكره أنّ هناك عاملا رابعا من عوامل الاغتراب أسهم ولكن على نحو آخر، في زيادة حدة الإحساس بالاغتراب في القرن الرابع انه العامل الثقافي « فعلى الرغم مما دب في جسم الدولة من انحلال وتفكك وضعف ووهن وعلى الرغم من حالة الفساد والفوضى و الاضطراب التي سادت المجتمع، فإن القرن الرابع كان من أرقى العصور أدبيا وعلميا وعقليا ويعود الفضل في هذا الرقي الثقافي إلى جملة أسباب منها:

[1]- سميرة سلامي : الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :101، 105.

[2]- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :105، 108.

[3]- أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص :20.

امتزاج الثقافات الناجم عن النشاط في حركة الترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية.

ومن أسباب الرواج الثقافي في القرن الرابع أيضا توزع مراكز الحكم في الدولة بعد أن استقلت كثير من الأقاليم عن الخلافة العباسية فظهرت تبعا لذلك منارات كثيرة للعلم والأدب كالري وبخاري وغزنة وحلب والموصل والقاهرة وقرطبة وغيرها من العواصم التي أخذت تنافس بغداد بعد أن كانت وحدها مركزا للحركة العلمية والأدبية والفكرية وقد عمد ملوك هذه الأقاليم إلى التنافس فيما بينهم في تشجيع العلماء ورعاية رجال الأدب والفكر فقربوا العلماء وحثوهم على التصنيف والتأليف وفتحوا أبوابهم للأدباء والشعراء وأغدقوا عليهم الأموال والأعطيات.

وإضافة إلى الملوك والخلفاء فقد كان للوزراء في القرن الرابع دورهم البارز في نمو الحركة الفكرية والأدبية وكان منهم عدد من الكتاب البارزين كالوزير "أبي الفضل بن العميد"، والوزير " الصاحب بن عباد" وكذا الوزير "المهلبي" و"سابور بن أردشير" اللذين كانت لهما مكانة في الأدب والشعر.

كل ما تقدم إضافة إلى ظهور الكثير من الفرق والجماعات المختلفة الترعات والاتجاهات وما قام بينهما من جدل ونقاش أسهم بشكل فعال في نهضة الحركة الفكرية والثقافية في القرن الرابع الهجري، لا ريب أنه كلما كان لهذه النهضة الثقافية أثر كبير في نمو وعي الناس، وعمق تفكيرهم، ولا ريب أنه كلما ازداد وعي الإنسان واتسعت ثقافته ازدادت معاناته، والشعراء إضافة إلى ثقافتهم الواسعة يتمتعون بحس مرهف، ومن هنا فإن شيئا كبيرا من الأزمة والمعاناة لابد أن يهيمن على تجاربهم الشعرية حين يوجدون في مجتمع فاسد كمجتمع القرن الرابع الهجري »[1].

---

[1]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 114، 118.

تـوطئة:

إنّ ظاهرة الغربة بأنواعها لم تنشأ من فراغ إبان العصر العباسي وإنما نشأت نتيجة دواعي وأسباب سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، حيث كانت لهذه العوامل أدوار فعالة في إبراز مثل تلك الأنواع السابق ذكرها في الفصل الأول سواء كانت غربة اجتماعية أو سياسية أو ذاتية أو زمانية وغيرها كثير.

وأوّل نوع ظهر من خلال شعر المعري هو الاغتراب الزماني الذي سنحاول تسليط الضوء عليه ودراسته وتحليله علّنا نستفيد منه ونفيد به.

فالاغتراب الزماني يظهر على غير عادته غير بعيد عن الوطن والأهل والأحباب، وإنما يظهر داخل الوطن فالشعراء حين يعبرون عن اغترابهم الزماني يكونون داخل أوطانهم غير بعيدين عنه لم يبرحوه الى أي مكان آخر، ومع ذلك يحسون بالاغتراب داخله عكس الشعراء في _ الغربة المكانية _ الذين يعبرون عن حنينهم وأشواقهم الى أوطانهم وعن الآلام التي يتلقوها جراء الابتعاد عن التراب والأهل والأحباب فهذا الفراق والعذاب يجعلهم يتطلعون دائما ويتوقون الى ذلك اليوم الذي يعودون فيه الى أوطانهم وأماكن ذكرياتهم، فينعمون بذلك بالدفء العاطفي الذي حرموا منه ويهنؤون في ظل أهليهم وذويهم وهذا الاغتراب؛ أي الاغتراب الذي يحدث داخل الوطن برع فيه الشعراء وأجادوا، فعبروا عنه بمختلف الألفاظ والأقاويل فها هو (عبده بدوي) يعرفه بقوله:

«الاغتراب يمثل نزوحا من نوع آخر حتى ولو كان الإنسان يعيش في الوطن فهو يرفض أشياء ويتحداها ويختلف مع أكثر من أسلوب سيطر على الحياة، وإذا كان في بعض الأحيان لا يملك إلا الصمت، فإنه في أحيان أخرى لا يملك إلا أن يصرح، أو يبوح أو يئن ...الخ إحساس ضاغط بأن العالم من حوله لا يحس به، ولا يصغي للصراخ، والبوح والأنين وفي ضوء هذا يحس بالاختناق » [1].

"فعبده بدوي" بقوله هذا يلمح الى أن الاغتراب هو نزوح ولكن من نوع أخر غير الذي نعرفه كون الإنسان يغترب مكانيا؛ أي يبتعد ويخرج عن المكان الذي كان فيه، فهو يؤكد بأن النزوح والانفصال والاغتراب يكون حتى داخل الوطن _ مثلما قلنا _ غير بعيد عنه.

---

[1]- عبده بدوي:الغربة والاغتراب والشعر، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص : 8- 9.

فإذا كان الاغتراب الزماني لا يظهر إلا في ظلّ الوطن بأحداثه لأنّه عامل مهم في إذكائه وإظهاره، فما معنى الزمان؟ أهو موضوع قديم أم جديد ؟ وما موقف الشعراء منه ؟ فهذه الأسئلة وغيرها سوف نجيب عنها في هاته النقطة التي تثير لنا الاغتراب الزماني في شعر أحد أعلام الأدب العربي ألا وهو المعري.

وعلى إثر هذا نقول أن الزمان أو (الدهر) هو موضوع قديم شغل الإنسان العربي منذ القدم، وكذا لم يغفل الشعر والشعراء عن هذه المسألة فعالجوها وعبروا عنها أحسن تعبير، وهذا ما نلاحظه في قول " **زهير بن أبي سلمى** ":

بدا لي أن الناس تفنى نفوسهـــــــم   وأموالهم ولا أرى الدهر فانيـــــا[1]

فزهير هنا يقف حائرا أمام المفارقة العجيبة للحياة بين حتمية الفناء التي لا بد منهاوأبدية واستمرارية الدهر،فهذه المفارقة في الحياة جعلت زهير وغيره في عداء كبير مع الدهر وما يحكم به من مصائب ومشاكل وآفات، هذا ما جعل " امرأ القيس" يعدّه غولا يخون العهود ولا يوفي بها ويلتهم الرجال فيقول:

ألم أخبرك أنّ الدهر غــــــول   ختور العهد يلتهم الرجـــــــالا[2]

وقد جاءنا القرآن الكريم بآيات محكمات توضح إحداها نظرة الإنسان العربي القديم الى الزمان وموقفه منه بقوله:﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[3].

ويقول الأعشى:

لعمرك ما طول هــــذا الزمـــــن   على المـــرء إلا عـــــناء مُعـــــن

يظل رجيـــــما لريب المنـــــــون   وللسقم في أهلــه والحـــــــزن

---

[1]- زهير ابن أبي سلمى: الديوان شرحه وقدم له علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص: 140.

[2]- امرؤ القيس: الديوان، ص: 150.

[3]- سورة الجاثية / 24.

فالآية القرآنية تنسب الى الدهر ــ من وجهة النظر الجاهلية ــ قوة الفعل والتأثير على الإنسان وهلاكه، والأعشى يشير الى هذا المعنى نفسه، خاصة إذا عرفنا أن الجاهليين لم يفرقوا بين الدهر والزمان والمنون والمنية والحتف والآجال وما أشبه في المعنى » [1]،ثمّ بعد ذلك تبلور مفهوم الزمن وأصبح واضحا فتمثّلوه

«بأنّه مظهر وهمي يَحْدَوْدِق بنا فيتجسد فينا، وفي الأشياء التي تحيط بنا » [2]
ويظهر هذا من خلال ملامستنا إيّاه في واقعنا المعيش ،«وهو بوصفه تجربة يتميز في جوهره بالتواتر والتكرار فهو ينطوي على دورات متعاقبة للأحداث، للميلاد، وللموت والانحلال، بحيث يعكس دورات الشمس والقمر والفصول والوقت المناسب لأداء الأشياء يأتي مرة تلو الأخرى على فترات منتظمة»[3].

وكما نجده عند الشعراء العرب القدماء نجده عند الغربيين، حيث اهتم الكثير من الشعراء والفلاسفة الغربيين بموضوع الزمن والزمان، فنجد مثلا «أرسطوالذي حاول أن يربط الزمان بالحركة والمتناهي واللامتناهي وبالخلاء والعلل ...الخ) » [4].

كما يمثل الزمن عند (برجسون) تجربة نوعية لا كمية حين يكون زمنا مسقطا على المكان أو المسافة، لا بد أن يستعاد لا متقطعا على أنه لحظات عاشها المرء، وإنما لا بد من بعث الروابط التي تصل بين تلك اللحظات[5].

---

[1]- عبد القادر عبد الحميد زيدان :التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، ط1، 2003، ص :186.

[2]- عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هومة ، (د، ط)، 2005، ص :182.

[3]- مجموعة من المفكرين المتخصصين:فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، يناير 1978، ع 159، ص: 12.

[4]- عبد الرزاق قسوم: مفهوم الزمان في فلسفة ابن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1986، ص: 52.

[5]- ينظر: إحسان عباس:اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ، سلسلة عالم المعرفة، 1988، عدد 2، ص :68.

هذا عن مفهوم الزمان عند الفلاسفة والشعراء الغربيين والعرب منذ العصر الجاهلي الى غاية العصر العباسي، العصر الذي سوف نحاول اكتشافه من خلال شعر أبي العلاء المعري كنموذج.

وقد تجلت في هذا الموضوع الفرعي _الاغتراب الزماني – موضوعات فرعية أخرى سوف نلقي عليها الضوء محاولين معالجتها ودراستها من خلال شعر أبي العلاء المعري المتجسد في ديوانيه سقط الزندواللزوميات.

1- الشاعر وأحداث الزمان:

إنّ موضوع الزمان كغيره من المواضيع الأخرى قد أخذ قسطا وافرا من الاهتمام والمعالجة لدى شاعرنا أبي العلاء المعري، وهذا ما نستشفه في أشعاره المتناثرة هنا وهناك.

نزول كما زال أباؤنـــــا ويبقى الزمان على ما ترى

نهار يمر وليل يكـــــــر ونجم يغور ونجم يـــــرى(1)

« فأبو العلاء يحدثنا عن الزمان، فيذكر لنا زمانين: أحدهما زمان أبدي سرمدي والآخر زماننا؛ أي عمرنا، وأيضا عمر النجوم والكواكب والنهار والليل وكل مظاهر الطبيعة، هذا الزمان الأخير يبدأ وينتهي في حركة دائرة مستمرة هو الآخر، في داخل الزمان السرمدي الأول » (2) .

ويقول الشاعر في لزومياته:

أعجب بدهرك أولاه وآخـــــره إنّ الزمان قديم سنه حـــــدث (3).

فالزمان على حد قول المعري قديم قدم الإنسان، ظهر ومنذ الأزل بظهور الإنسان والحياة فهو يتعجب من هذا الدهر منذ بدايته الى نهايته،وقد توالت الأيام فيه وتعاقبت من صبح وإمساء وهذا ما لاحظه وعبر عنه بقوله:

يأتي على الخلق إصباح وإمساء وكلنا لصروف الدهر نُسَّاء

إلى أن يقول:

(1)- طه حسين: المجموعة الكاملة أبو العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط2، 1983، ص :270.

(2)- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، دار الوفاء، ط1، 2004، ص: 171.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، منشورات محمد علي بيضون، دار العلميـــة ، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2001، ج1، ص: 166.

خسست يا أمّنا الدنيا فأف لنا بنو الخسيسة أوباش أخسّاء [1]

والدهر عند المعري ليس سوى ثلاثة أيام متمثلة في الماضي والحاضر والمستقبل؛ فهو يقول:

ثلاثة أيـــام هي الدهر كلـــــه وما هن غير الأمس واليوم والغـــد [2]

ونجده شاكيا من هذا الزمان الذي كواه بحوادثه بقوله:

ملّ الزّمـان وأشوتني حوادثـــه حتى مللت، وذمت نفسي العمــــرا [3]

« فقد نسب العرب إليه كل غدر وعاهة ومصيبة تلم بالإنسان كما أنهم لا يبرحون يعاتبونه ويبثون شكواهم من أقداره المستبدة الظالمة » [4].

وهذا ما فعله المعري بقوله هذا الذي شكا فيه من حوادث هذا الزمان التي جعلته يمل العيش ويتمنى الموت والخلاص من هذه الدنيا التي هي كلها مصائب ومشاكل، لا ينفك الإنسان أن يخرج من مشكل ومطب حتى يقع في مطب آخر، هذا إن دل على شيء فإنه يدل على كثرة المشاكل والآفات والمآزق التي في كثير من الأحيان يكون الإنسان في غنى عنها ولكن يجد نفسه في خضمها يتصارع مع أحداثها ويتجرع آلامها، فهي بالتأكيد كلها تعب ومشقة، وهذا ما يظهر في قول الشاعر يتعجب من الذين يريدونها باستمرار ويطلبون العيش فيها ويتمنون البقاء فيها الى آخر العمر رغم كل ما فيها من مكر وخداع وزيغ وغش ومتاع وغيرها من الصفات والخصائص التي تميز الحياة الدنيا عن غيرها من الحياة فهو يقول:

تعب كلها الحياة، فمـــــا أعــــجـــ ب إلّا من راغب في ازديـــــاد [5]

---

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 39.

[2]- أبو العلاء المعري: ديوان سقط الزند، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1990، ص :75.

[3]- أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص :315.

[4]- إيليا الحاوي:في النقد والأدب، مقدمات جماعية عامة مقطوعات من العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب اللبنـــاني، بـــيروت، ط5، ج2، ص: 37.

[5]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص : 197.

فهو يرى أنّ ما يظنه الناس نعمة وخير إنما هو نقمة وشر تقذفنا به الدنيا، وليس في الحياة شيء من خير، وإنما هي كلها مصائب وعيشها شقاء وآلام، فيقول:

إنما هـــذه الحيـــاة عنـــاء فليخبرك عن أذاها العِيان[1]

ويقول:

فما وجدنا فيهـــا غيــر الشقــاء وقد بلونا العيش أطــوارا
[2]

ويذهب المعري أبعد من هذا فيرى أنّ الشقاء يسيطر على كل نواحي الحياة ويسدّ ثغراتها وهو يعبر عن هذه الحسرة فيقول:

لا أزعم الصفو مازحا كـــدرا بل مزمعي أنّ كلّه كـــدر [3]

ففي هذا البيت يؤكد المعري خلو الدنيا من كل خير وصفو ونعيم والشقاء فيها دائم وأكيد، والمصائب لا تنفك تطارد بني البشر بسمومها وويلاتها لذلك يطلب عدم المزيد من الحياة الدنيا وذلك بقوله:

فلا تطلب الدنيا وإن كنت ناشئا فـــإنّـي عنها، بالأخلاء،أرْبأ

وما نوب الأيـــام إلا كتائـــب تبث سرايا أو جيوش تُعبّـــأ[4]

ومن خلال تتبعنا لديوانيه وأشعاره نجده يتكلم تارة عن الزمن وتارة عن الدهر بقوله:

مضى زمن و العزّ بان رواقـــه عليه ،وسيف الدهر عنه كهـــام

وما الدهر إلا دولة ثم صولـــة ومـــا العيش إلا صحة وسقـــام[5]

---

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، علق عليه شرحا عزيز زند، دار المعارف للطباعة والنــشر، سوســة، تــونس، (د ، ط، د ، ت)، ج2،ص: 782.

[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 370.

[3]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص :324 .

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :38 .

[5]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :120.

وتارة أخرى نجده يحكي عن الأيام وتعاقب الليل والنهار في الدهر وهذا ما يظهر جليا في قوله:

نهار وليل عوقبا أنا فيهمـــــا   كـأني بخيطي باطـــــل أتشبّث

أظن زماني كونه وفســــاده   وليدا بترب الأرض يلهو ويعبث [1]

ومازال يتحدث عن الليل وكيف يرجو أن يطول شبابه؛ أي يدوم ويستمر ولكنه من شدة هول ما في هذه البلاد شاب قبل وقت المشيب فيقول:

رجا الليل فيها أن يدوم شبابــــه   فلما رآها شاب قبل احتلامه[2]

كما نجد خياله يتمنى استدامة الظلام لفرط شغفه به؛ لأن الخيال لا يظهر عادة إلا في الظلام، وبالإضافة الى ظلام الليل يتمنى زيادة سواد القلب والبصر؛ هذا ما يظهر في قوله:

يود أن ظلام الليل دام لــــــه   وزيد فيه سواد القلب والبصر [3]

ولكنه في أبيات أخرى يصف كيف أن الممدوح يبيت يقظانا في الليالي المظلمة في معارك دائمة تكاثرت فيها الأهوال حتى هاب الليل منها فدعا خالقه أن يعيد عليه ضوء الصباح لينجو مما هو فيه من الأهوال بقوله:

يبيت مُسَهَّدًا والليل يدعـــو   بضوء الصبح خالقه ابتهـــالا [4]

فواقع الليل يعكس آلام المغترب النفسية ويحكي جانبا من معاناته الإنسانية [5]،ففي هذا البيت ضرب من ضروب البلاغة حيث نلمح إستعارة الشاعر لصفة الدّعاء من الإنسان والتصاقها باللّيل الذي يدل على الزمن.

« وله مدلولات كثيرة تختلف من شاعر لآخر اختلافا ينبع من الحالة النفسية التي هو عليها وبالتالي يحمل الليل باستمرار رموز متنوعة مختلفة » [6].

---

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :166.

[2]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 103.

[3]- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص : 36 .

[4]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :27.

[5]- ينظر مي يوسف خليف :ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، ص : 24.

[6]- عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص :172.

إذن بعد هذه الرحلة التي استوقفتنا مع أبي العلاء المعري في غربته الزمانية يظهر لنا جليا كيف أن المعري لم يلق باللوم على الزمن أو الدهر بقدر ما ألقى اللوم على أهل زمانه، ويرجع ذلك الى النظرة الوجودية والعقلية والتي لا تلقي بالاتهام على الزمن وإنما على البشر الذين حق على الزمان أن يشكوهم لو استطاع تكلما، وهذا ما يبينه المعري بقوله:

نبكي ونضحك والقضاء مسلـــــط ما الدهر أضحكنا ولا أبكانا

نشكو الزمان وما أتى بجنايـــــــة ولو استطاع تكلما لشكانا[1]

فقد ألقى هنا اللوم على أهل زمانه، فكل ما لحقه من حوادث وآلام ومشقة كانت بسبب البشر، فهم المسؤولون عنها، لذلك حاول الاعتزال عن أهل زمانه وهذا ما يتبدى في قوله:

ولا أعاشر أهل العصر إنهـــــم إن عوشروا بين محبوب وممقوت

(2)

ويقول أيضا مفضلا الخمول والاعتزال:

وأصبح واحد الرجلين إمـــــا مليكا في المعاشر أو أبيـــــــلا

ولو جرت النباهة في طريق الـــــ خمول إليّ لاخترت الخمـــــولا

(3)

فقد وجد في العزلة والوحدة التي فرضها على نفسه الراحة العظمى المرجوة لمثله في دنياه، والطهارة من دنس العصر ولؤم أهله:

هذا زمان ليـــــس لأهلـــــــه إلا لأن تهجـــــره أهــــــــــل

حان رحيل النفـــس عن عـــــالم ما هو إلا الغدر والجهـــــــــل

في الوحدة الراحة العظمى فأخي بها قلبا، وفي الكون بين الناس إثقـــال

(1)- ينظر: عزيز السيد جاسم:الاغتراب في الحياة والشعر الشريف الرضى، ص:30- 31.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :152.

(3)- أشرف علي دعدور:الغربة في الشعر الأندلسي، ص: 47.

ويقول في موضع آخر:

طهارة نفسي في التباعد عنكـــــم وقربكم يجني همومي و إدناســــي [1]

هذا البيت دليل على أنّ المعري قد وجد في أهل زمانه كل الصفات والسلوكات القبيحة والمستهجنة والتي جعلته يتأكد من أنّ مخالطته إياهم وعدم البعد عنهم يدنّسه مثلهم ويجعله يكتسب ما فيهم من عيوب وصفات لذلك وجد في البعد والنوى والوحدة والاعتزال عن هذا الزمان وأهله حلا لائقا، خاصة وأنه يرى نفسه بعيدا كل البعد عنهم في صفاته وسلوكا ته، فنجده يحس بمكانته ويبالغ في الاعتزاز بنفسه ويتعمق في فهم واقعه النفسي، فيظهر في قصيدته (ألا في سبيل المجد) بأنه رجل حازم تدفعه الجرأة الى تسجيل التفرد لنفسه في زمانه وما قبل زمانه، فيظهر شجاعا يتفوق على الآخرين من فصل القول ورفعة الشأن في وقت ساد فيه الجهل والذل والهوان والظلم فهو يقول:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعــــــل عفاف وإقدام، وحزم، ونائـــــل !

أعندي، وقد مارست كُـلَّ خفيـــــة يُـــصدّق واشٍ أو يُخيَّـــب سائـــــل ؟

أقل صدودي أنني لـــك مبغــــض؛ وأيسر هجري أنّــني عنــك راحـــــل

إذا هبت النكبـــــاء، بيني وبينكم؛ فأهون شــيء مــا تقــول العــــواذل

تعد ذنوبي، عند قـــوم كثيــــــرة ولا ذنــب لي، إلا العلــى والفضائـــل

كأني، إذا طلت الزمــان وأهلـــــه رجعــت، وعنــدي للأنــام طوائــــــل

[1]- عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1972، ص :198- 199.

وقد سار ذكري في البلاد، فمـن لهم بإخفـاء شمـس، ضـوءها متكامـل
يُهمُّ الليـالي بعـض ما أنا مضمـر ويثقل رضوى دون ما أنـا حامـل
وإني، وإن كنت الأخيـر زمانـه، لأن بمـا لا تـستطعه الأوائـل
وأغدوا ولـو أن الصبـاح صـوارم؛ وأُسري، ولـو أن الظـلام جحافـل
وإني جواد لم يُحَـلَّ لجامـه، ونـصل يمـان أغفلتـه الصياقـل
فإن كان في لُبْسِ الفتى شرف لـه، فما الـسيف إلا غمـده والحمائـل
ولي منطق لم يرضى لي كنه منـزلي؛ على أنني بين الـسماكـين نـازل
ولما رأيت الجهل، في الناس فاشيـا؛ تجاهلـت، حتى ظُـنَّ أني جاهـل
فوا عجبا؟ كم يدعي الفضل ناقـص، ووا أسفا ! كـم يظهـر النقص فاضل [1]

إلى آخر الأبيات، فالقصيدة طويلة « وهي تطرح خلاصة رؤية وفلسفة حياة من خلال ما امتلأت به نفس صاحبها من إحساس بتضخم كيانه، أسهم في زيادته لديه تلك الغربة التي فرضها على نفسه بعيدا عن مجتمعه، وكأنّه لا يريد أن يأبه به بعد أن عجز عن فهم حقيقة مكانته كما فهمها هو نفسه »[2].

---

(1)– أبو العلاء المعري :سقط الزند ،ص :106،وطه حسين: أبو العلاء المعري حياته وشعره، دار النفس للنشر (د، ط، د ، ت)، ص: 95.

(2)– عبد الله التطاوي: القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، (د، ط، د،ت)، ص :349.

لقد أجريت إحصاءا لكلمة الزمان وتواترها في ديوانيه سقط الزند واللّزوميات إضافة الى ما ينتمي إليها وما يدور في حقلها الدلالي من ألفاظ وعبارات ،تكشف لنا عن مدى اغتراب المعري وعن أهمية الموضوع ومكانته من شبكة الموضوعات الفرعية الأخرى التي تنتظم ضمن الموضوع الرئيسي؛أي الاغتراب.

ولمعرفة ذلك وإثباته علميا سنتأمل الجدول الآتي:

الكلمـــــــة	التكـــــــرار
الزمان + الزمن	211
الدهر	262
الدنيا	185
الحياة	122
الدجى + الليالي + الليل	197
الأيام	110
الشهور	05
الخطوب	34

فمن خلال هذا الجدول يبدو أنّ كلمة (دهر) هي الأكثر تواترا بين المجموعة المختارة ، وقد تكمن علة ذلك في كون « لفظ الدهر من أكثر الألفاظ دورانا في كلام الجماعة العربية » [1] أو ربما لأنها تحمل شحنة عاطفية ووقع خاص لا يتوفر في غيره.

تضاف الى كلمة الدّهر لفظتا الزمان والزمن وهما اسم للقليل أو الكثير من الوقت فلفظة الزّمان يتخللها المد الذي يسمح بانسياب آلام المعري معه عند ما يتذكره لذلك تكرر (184) مرة في حين لم يتكرر لفظ الزمن سوى (27) مرة فضلا عن الليالي والتي تكررت (86) مرة، والليل والذي تكرر (73) مرة، والدجى والذي تكرر (38) مرة،

[1]- كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه، في الثقافة العربية، دار غريب ، القاهرة، ط2، (د،ت)، ص:120.

والأيام تكررت (110) مرة، والشهور تكررت (5) مرات فقط، فإذا ما قارنا هذه الألفاظ بالدّهر والزمن نجدها أقل اطرادا منهما، وذلك راجع ربما للأثر الوجداني الذي يخلفونه كما صادفتنا بعض الكلمات التي تنتمي الى الموضوع الفرعي-الشاعر وأحداث الزمن- من مثل خطوب، رزايا، صروف...

2- الشاعر والموت:

« يعتبر الموت موضوعا بالغ الصعوبة، وترجع الصعوبة الى عوامل كثيرة: فالموت من ناحية، موضوع ينطوي على كثير من المفارقات والمتناقضات وهو من ناحية ثانية موضوع كريه مزعج لا يشجع على التفكير أو الحديث ؛أمّا أنه ينطوي على كثير من المفارقات فهذا واضح من مجرد النظرة العابرة الى طبيعته: فطبيعة الموت هي الكلية المطلقة فجميع البشر فانون ولا محالة » [1]فكل من هو على الأرض سوف يذوق طعم الموت وهذا ما يبيّنه اللّه تعالى في الآية الكريمة:

إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[2].

ومن الطبيعة المتناقضة للموت أيضا مثلما أقر الكاتب في كتاب (الموت في الفكر العربي) أنه يجمع بين اليقين وعدم اليقين، فأنا أعرف بالضرورة أنني سأموت، لكني لا أعرف مطلقا متى سيكون ذلك كما قال (بسكال) بحق: « أن كل ما أعرفه هو أنه لا بد لي أن أموت عما قريب، ولكنني لا أجهل شيئا قدر ما أجهل هذا الموت الذي ليس لي عليه يدان، فأنا على يقين من شيء واحد فحسب هو أنه إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، أمّا متى يجيء الأجل فعلمه عند الله، ومن طبيعة الموت أيضا أنّه الحد النهائي الذي يتحدى القيم ويكذب شتى مزاعم الإنسان، ويقول أبيقور:" ليس

---

[1]- جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، يناير 1978، ع 76، ص: 09.

[2]- سورة العنكبوت/ 57.

[3]- جاك شورون، الموت في الفكر الغربي،ص :09.

[4]- سناء خضر :النّظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين ،ص :250.

[5]-أحمد محمّد عبد الخالق :قلق الموت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،سلسلة عالم المعرفة ،1998 ،ع111 ،ص :16.

للموت وجود بالقياس إلينا لأنه طالما كنا أحياء فليس ثمة موت، وبمجرد ما يوجد الموت فإننا لن نكون أحياء "»[1] .

وليس يكفي أن نقول أنّ الإنسان هو الموجود الوحيد الذي يموت بمعنى الكلمة وإنما ينبغي أن نقول أيضا أنه الموجود الوحيد الذي يملك يقينا مزعجا عن حقيقة الموت، وكما قال الفيلسوف الرواقي سفيكا: «إذا أردت ألا تخشى الموت فإنّ عليك ألا تكف لحظة عن التفكير فيه وغريزة الخوف من الموت متأصلة في الانسان من طفولته حتى تسلّمه الى القبر، وكثيرا ما تتصادم هذه الغريزة مع الغرائز الأخرى كالغضب وحب الابتكار والاستطلاع »[2] فمثلما وجدت الحياة وجد الموت فكلٌّ منّا خلق ولكن لا يوجد واحد من بيننا سوف يخلد فكلّنا فانون والى القبور لاحقون .

« فالموت إذن حادث من نوع مختلف تماما، إنّه حادث عنيف يكسر إيقاع الحياة الرتيب نسبيا وليس هذا فقط بل إنه يوقف دورها ويجعلها تقف جامدة عند تاريخ يستحيل أن تتحرك بعده.

فإذا كانت في الحياة الدنيا للإنسان حوادث مهمة، فإن الموت آخرهــا وأهمهــا ومنهيها، ليس قبله حادث أهم وليس بعده حركة منظورة ولا توقعات قريبة ولا آمــال عريضة، ليس ثمة بعده أعمال تكتسب ولا ذنوب ترتكب، وكل ذلك علمه عند ربي »[3]

حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4].

لقد كان الموت مصدر قلق للبشرية جمعاء ونجد بالمقابل له الخلود الذي يعتبر كحلم ولكن هذا الأخير يبدده الواقع الذي نعيشه لأنّ كل خطوة نتقدمها في العمر هي خطوة نحو الممات وهذا ما يبيّنه حاتم الطائي بقوله:

يسعى الفتى، وحمام الموت يدركــــه وكل يوم يُدنّي للفتى الأجــــــل[1]

---

[1]- سورة الإسراء /35.

[2]–حاتم الطائي :الديوان ،شرحه وقدّم له ــحمد رشاد ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1986 ، ص :93.

[3]–زهير ابن أبي سلمى :الدّيوان ،شرحه وقدّم له حسين فاعور ،دار الكتب العلمية ،بيروت ــلبنان ،ط1 ،1988 ، ص :110.

[4]– سناء خضر :النّظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين ،ص :251.

فكل يوم يزيد في عمر الإنسان ينقص من إمكانية عيشه ويقرب إليه ساعة النهاية والفناء، فكلما اكتسب الإنسان سنين معاشه خسر مثلها، فيصبح هنا المكسب قرين الخسارة، لأن الارتقاء في العمر هو قرب من الأجل ودنو منه وهذا ما يظهر لنا في حقيقة الأمر في حياتنا ومن خلال الواقع المعيش، وهي حقيقة أكيدة ومسلم بها عند الخاص والعام فلا تحتاج الى دليل بحكم المعايشة لها في هذه الحياة.

وقد أكدها الكثير من الشعراء من بينهم زهير بن أبي سلمى بقوله:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبلـــــه ولكنني عن علم ما في غد عَـــمٍ (2)

ويقول:

ومن هاب أسبـــاب المنايا ينلنـــــه وإن يرق أسباب السماء بسلـــم (3)

الآخر المتعلق بالحياة الأخرى، فالإنسان يعلم ماضيه الذي مرّ به وحاضره المعيش، ولكنه يجهل مستقبله لأنه في علم الغيب.

فإذن هذه مختلف الرؤى حول حتمية الموت لزهير وحاتم الطائي ومختلف الغربيين الذين استدلينا بهم لإثراء هذا الموضوع ، فما هي حقيقة الموت عند شاعرنا أبي العلاء المعري ؟ وكيف تجسّدت عنده ؟ وما موقفه منها ؟.

لقد ذكرت آنفا أنّ أبا العلاء المعري قد سئم من الحياة ومل العيش فيها لما لها من آثام وشرور فهي نقمة على الإنسان ودار بلاء، كل شيء فيها جعل المعري يمقتها وناسها وهذا ما جعله يفضل الموت، احتقارا أو كرها لها _ للدنيا _ فقد تمثلها غولا بعكس الآخرين الذين تمثلوها عروسا بقوله:

ظن الحياة عروسا خلقها حســـــن وإنما هي غول خلقها شـــــرس(4)

ولكن هناك صراع يعيشه المعري بين حب الدنيا ومقتها، بين الفزع من الموت والترحيب به، فالموت هو الحقيقة التي لم يشك فيها بعد إيمانه ورغم ذلك فهو يخافه بل ويستغيث منه فيقول:

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2 ،ص :457.

أبانا اللب بلقيا الـــــــردى   فالغوث من صحة ذاك النبــــأ [1]

وهناك من يرجع سبب خوف المعري من الموت الى جهله وخوفه مما وراء الموت.

ونلاحظ أنّ المعري كان يكره حقيقة الموت في القديم ربما لأنه لم يتوصل الى كره الحياة وذم العيش فيها، فقد كان لازال في شبابه مفعم بالحركة والحماس متفاعلا تواقا الى العيش أكبر قدر لكي يحصل فيها على أعلى المراتب وأسماها من علم ووجاهة إذ لم تضنه الحياة وتتعبه بمشاكلها ومصائبها، فلم يتوصل بذلك الى الشقاء الذي بات يتكبده والمعاناة التي كان يتجرع مرارتها كل يوم وليلة مثلما وصل إليه في شيخوخته فيقول:

قديما كرهت الموت والله شاهـــــد   وقد عشت حتى اسمحت لي قرونتي

وأحسبـــه لو جـــاءني لأبيتـــه   ومن عند ربي نصرتي ومعونـــــتي

إذا أنا واراني التـــــراب فخلـــني   وما أنا فيه قـــد ُكفيت مؤنـــتي [2]

ثم لا نلبث أن نجد المعري مشتاقا الى الموت لأنه سئم الحياة وملها ، فبات مؤمنا به تواقا لملاقاته، وقد تمناه بعد الخمسين من عمره فيقول:

إذا كنتُ قد جاوزت خمسين حجـــة   ولم ألق خيـــرا فالمنية لي ستـــــرُ

وما أتوقى والخطـــــوبُ كثيـــــرةٌ   من الدّهر إلا أن يحلّ بي الهتـــــرُ [3]

فهو بذلك بعد هذا السن يدعو ربه بأن يرحله لأنه أطال البقاء في هذه الدنيا يقول:

رب متى أرحـــــل عن هـــذه الـــــ   دنيا فإني قد أطلت المقـــام

ويقول: يا رب أخرجني الى دار الرضى   عجلا فهذا عالم منكـــوس [4]

فهو هنا يطلب من الله أن يعجل في رحيله من دار الدنيا الى دار الآخرة فإذن هو يتمنى الموت، ويرى أنه هو الراحة من عناء الحياة حيث قال:

ما بعد ذين سوى الحِمام، وإننـــي   لإخال أن الهجر في طويـــــل.

وفضيلة النوم الخروج بأهلـــــــه   من عالم هو بالأذى مجبـــول [1]

---

(1)- سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص :251.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 149- 150.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :280.

(4)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ، ص :213.

وقال:

ما أوسع الموت يستريح به الجسم   المعنّـــــى ويخنث اللّجـــــب [2]

ويقول:

إنْ يقــرب المــــوت منـــــي   فلست أكـــــره، قربــــــه
وذاك أمنــــــع حصــــــن   يصـــــبر القبــــر دربــــــه
مــــــن يلقــــه لا يراقــــب   خطبــــا ولا يخشـــــه كربه[3]

ويقول في موضع آخر:

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم   فيهـــا والعيش مثل السهــــاد[4]

ويقول:

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة   مخشية لاعتراها القوم أفواجــــا
وكان من ألقت الدنيا عليـــــه أذى   يؤمها تاركا للعيش أمواجــــا
كـــــأس المنيـــة أولى بي وأروح لي   من أن أكابـــد إثراء واحواجـــــا[5]

فالشاعر يتكلم في هذه الأبيات الأخيرة عن الموت وطرق الوصول إليه فلولا الصعوبة والمشقة في الوصول إليه- بحسب رأيه- لذهب إليه كل الأقوام للخلاص من هذه الدنيا، كما أكد على أحقية الموت بالنسبة له للاستراحة من هذه الحياة التي أتعبته وأرّقته من دون شك وهو يقول في هذا المعنى أيضا:

يدل على فضل الممات وكونــــــه   إراحة جسم أن مسلكه صعـــب [6]

---

[1]- عمر الفروخ: حكيم المعرة، دار لبنان، بيروت، لبنان، (د،ت، د،ط) ، ص: 3.

[2]- عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضى، ص :40.

[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 96.

[4]- حنا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، ص: 360 .

[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 177.

[6]- طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه، دار المعارف، مصر ، ط10، (د،ت)، ص :91.

وقد فضل أبو العلاء المعري الموت على الحياة لأسباب عديدة منها: إحساسه بخواء الحياة وعبثيتها، وانعدام المنطق والخير فيها،جعله يرى أنه لا سند يرتكن إليه الإنسان سوى الموت، بل إن الموت هو الأمل والمرتجى لأنه المخلص من العذاب، إضافة إلى أن الموت هو الحقيقة الوحيدة والمؤكدة في حياة الإنسان المليئة بالمعاناة [1].

فهي فرض على الإنسان سوف يصل إليها ويذوق منها لا محالة وهذا ما يؤكده قول الشاعر:

تباركت إن الموت فرض على الفتـــى ولو أنه بعض النجوم التي تسري

ورب امرئ كالنسر في العز والعـــلا هوى بسنان مثل قادمة النســـر

[2]

والشيء الذي يهون على الإنسان ويجعله يتقبل حقيقة الموت هو أنه عابر سبيل في هذه الدنيا ولا محالة هو زائل وراحل منها إلى حياة أخرى حتى وإن كان بدون رضاه فإنه ونتيجة القهر الذي يركبه من هذه الدنيا يهون عليه الأمر ويتقبله بقوله:

وهوّن ما نلقى من البؤس أننـــــا بنو سفر أو عابرون على جســـر

وما يترك الإنسان دنيا راضيـــــا بعز ولكن مستضاما على قســـر [3]

ويقول أيضا في هذا المجال مبينا حتمية الموت على الإنسان بدون اختبار بعد أن تمعن في الحقائق جميعا ووجد أن حقيقة الموت أكيدة ومحتمة على الإنسان وهي واقعة لا محالة، ومن دون شك، فلذلك تساءل عن البلاد التي تحوي قبره بقوله:

سألت عن الحقائق كل يـــــوم فما ألفيت إلّا حرف جحــــــد

سوى أني أزول بغير شـــــك ففي أيّ البلاد يكون لحــــدي [4]

فالحياة علة دواؤها الموت وهذا ما يظهر في قوله :

وما العيش إلا علة برؤها الــــردى فخلّى سبيلي أنصرف لطيــاتي [5].

---

[1]- ينظر سناء خضر :النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص: 252.

[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 351.

[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 351.

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :257.

[5]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :213 ، 1986، ص: 213.

ولأنّ الموت إزالة من هذه الحياة فهو عيد بالنسبة له، ويمثل له رمز للسعادة والفرح وهذا ما يظهر في قوله:

أنا صائم طول الحياة و إنمـــا فطري الحمام و يوم ذاك أعيد[1]

ولكن أية راحة وأية سعادة يتحدث عنها أبو العلاء المعري ؟ هل رأى فيه النهاية والفناء لحياته في الدنيا، ومن ثمة الخلاص من الشقاء ؟أم أنه بداية لحياة أخرى ملؤها النعيم والسعادة خالية من الشرور والآثام؟.

وهذا ما يتبين في أشعار أبي العلاء، حيث يقول:

وقد بلونا العيـــش أطـــــواره فما وجـــدنا فيـــــه غير الشقـــــاء

تقدّم النــــاس فــــيا شوقنـــــا إلى إتّبـــاع الأهـــــــل والأصـــدقاء

ما أطيب المـــــوت لشـــرا بـــه إن صحّ للأموات وشـــــك التقـــــاء[2]

فهو يشتاق الى الأهل والأصدقاء الذين ارتحلوا عنه ويشتهي الموت ويراه عذبا طيبا في حالة واحدة هي حالة اللقاء بهم.

لقد كره أبو العلاء ما حوله من عالم وضاق به، ورأى أن الحياة كما يفهمها هؤلاء لا تساوي شيئا فترع الى حياة أخرى، يستطيع فيها الاندماج مع البشر على أساس من النقاء والصفاء والمحبة والطهر و لم يجد هذا ممكنا إلا في الحياة الآخرة، حياة الخلود التي يجتمع فيها الأطهار الصالحون ويتضح هذا في قوله:

إن كان نقلي عن الدنيا يكـــــون لي خير وأرحب فانقلني على عجـــــل

---

(6)-عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته ،ص:201، و يوسف فرحات:كتاب الموسوعة الفلسفة الإسلامية وأعلامهـــا، ط41،1.

(2)- أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص: 53 .

وإن علمت مالي عنـد آخـــــرتي شرا وأضيق فاسنأ ربّ في الأجــــل [1]

فهو هنا يتمنى الموت بعجل إذا كان مصيره الجنة حيث يمكن خلاصه فيها من الاغتراب والانفصال والشقاء، أما إذا كان مصيره جهنم فهو يرجوا التأجيل والتأخير، ولذلك قال مشتاقا للدار الآخرة:

متى أنا للدار المريحـة ظاعـــن فقد طال في دار العناء مقامــــي

وقد ذقتها ما بين شهـد وعلقـم وجرّبتها من صحـــة وســـقام [2]

« وقد ارتبط تفضيله للموت بالتشاؤم، وتشاؤمه يرجع إلى اعتقاده أنّ الشر في الوجود غالب على الخير، وأن طبيعة الانسان مبنية على الفساد، والحياة تنطوي على تناقض مفجع، وهو ما يمكن أن نسميه بمسألة الوجود، وفي نهاية حياة الإنسان القصيرة والمليئة بالآلام لا يجد إلا شيئا واحدا هو الموت والعدم»[3].

وهذا ما نستشفه في أقواله:

إذا غدوت ببطن الأرض مضطجــعا فثم أفقد أوصابي وأمراضــــي

ويقول: **الموت جنس ما تميز واحـــد كثل الجسوم الى التراب تنســب**

وترتفع نزعة التشاؤم عنده فيقول:

يحطمـــنا ريب الزمـــان كأنّـــنا زجاج ولكن لا يعــاد له سبــك [4]

إذا ما تتبعنا أشعار المعري وجدنا بأن فقدانه لأهله وأخلّائه إلى الأبد بين الفينة والأخرى كان عاملا حاسما ساعد في تعميق اغترابه وتضخيم شعوره بالوحدة والضياع.

---

[1]- سميرة سلامي : الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :213 - 214.

[2]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص :743.

[3]- سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص: 252.

[4]- عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة الشعر الشريف الرضى، ص :40.

ومن بين الذين تأثر بموتهم وفجع بهذه الكارثة التي حلت وحدثت له وهو في ديار الغربة موت أمه وهو ببغداد، فقد قال فيها:

سمعت نعيها ! صمى صمـــــام وإن قال العــواذل لا همـــــام
وأمتّني إلى الأجـــــــداث أم يعــز عليّ أن ســارت أمامــي
وأكبر أن يرثيـــــها لســـــاني بلفظ سالك مجــرى الطعـــام
كأن نواجــدي رُديت بصخــــر ولم يمرر بهن ســوى كـــــلام
مضت وقـــد اكتهلتُ فخلت أنّي رضيع ما بلغت مدى الفطـــام [1]

فموت أمه صم أذنه عن السمع من شدة الصدمة فعز عليه أن يفقدها وهو الذي مازال يحتاج إليها برغم كبره، إلا أنه مازال كالرضيع الذي فطم.

ويواصل في رثاء أمه فيقول:

فيا ركب المنون أما رســـول يبلغ روحها أرج الســــــلام
سألت متى اللقاء فقيل حــــتى يقوم الهامدون من الرجـــام[2]

يحاول المعري في مرثيته هاته أن يبعث لها رسولا يبلغها السلام ، ولشدة اشتياقه لها وحبا في الملاقاة بها يسأل عن زمن اللقاء.

هذا بالإضافة الى موت أبيه وصاحبه المفضل، فكل هذه الأحداث والأحزان من فقد الأحبة يوما بعد يوم ساعدت في إحساسه بالوحدة في هذا العالم فهو كالغريب لا أب له ولا أم ولا صاحب يستند عليه.

« وقد ربط المعري بين ثنائية الموت والألم واللذة حيث يقول:

إنّ حزنا في ساعة الموت أضــــــعا ف سرور في ساعة الميــــــلاد

وهنا نرى أن المعري يبرز لنا فلسفته في اللذة والألم من حيث أن السعادة أو اللذة قد يعقبها ألم أكبر منها بكثير، كما أن الألم قد يعقبه لذة»[3].

---

(1)- عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص :159.
(2)- علي شلق: أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1981، ص :25.
(1)- سناء خضر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص :253 ، 255.

كما نجده قد ربط بين الموت والحرية، فقد انتهى الى نتيجة استراح إليها وهو راضٍ عنها وهي أنّ الموت على الرغم من كره الانسان له إلا أنه يحمل معه الحرية التي يتمناها الإنسان ففي الموت إنعتاق وتحرر من الدنيا وشرورها فقد أدرك أنّ الحياة لا قيمة لها وما العيش فيها سوى عبث والخلاص منها يكون بالموت فيقول:

موت يسير معه رحمـــــــــــه   خير من السير وطول البقـــــاء
وقد بلونا العيش أطـــــــواره   فما وجدنا فيه غير الشقـــــاء

كما نجده في مواضع أخرى يربط بين الموت والأخلاق فيقول:

وقد علمنا بأنا، في عواقينـــــا   إلى الزوال، ففيم الضغن والحســـد [1]

ومن هنا نستخلص أن المعري كغيره من المسلمين آمن بحقيقة الموت و لم ينكرها، فهو حتمية وفرض على الإنسان سوف يجتاز طريقه كل فرد في هذا الوجود، إلا أن المعري في كثير من الأحيان بالرغم من الخوف الذي كان يعتريه بين الفينة والأخرى كان تواقا إليه مشتاقا للقائه وذلك لاعتبارات عدة منها كرهه للحياة.

وهكذا بعد هذه الدراسة للموضوع الفرعي – الشاعر والموت – ارتأيت أن أحصي عن طريق ديوانيه سقط الزند و اللزوميات كل الكلمات التي تندرج تحت لفظة (موت) وتحمل نفس المدلول،كما هو مبيّن في الجدول الآتي :.

الكلمة	التكرار
الموت	120
المنية +المنايا + المنون	99
الحمام	62

يبدو من هذا الجدول أن لفظة (موت) بعدّها الموضوع الفرعي الرئيسي أكثر تواترا بين المجموعة، ويرجع ذلك لكثرة طلبه لأنه كان يتمنى الموت ويشتاق إليه فهو المخلص من العذاب الذي كان يعيشه والشقاء الذي يتكبده.

إضافة الى لفظة موت نجده استعمل لفظة المنية كمفرد حيث كررها (6مرات) واستعملها بصيغة الجمع والتي تمثلت في لفظة (المنايا) المكررة (74) مرة، والمنون المكررة

[1]– ينظر سناء خضر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص :253 ، 255.

بـــ (19) مرة، كما لا أنسى لفظة (الحمام) التي عوض بها الموت والمنايا فقد كررها (62) مرة، وذلك لأهميتها وقيمتها عنده.

فإذن يظهر لنا جليا أن المعري من أولئك الذين شعروا وهم داخل أوطانهم بنوع من الانفصال والضياع والتمزق وذلك راجع الى عوامل كثيرة جعلته يحس بالاغتراب بين ناسه وأهل زمانه، خاصة وأنّ هذا الزمان بات لا يرحم وهو ملم بالكثير من المصائب و الآفات التي قد تضر بالإنسان، فهي تعكس مميزات الناس في هذا الزمان المر الذي طالما اشتكى منه المعري فقد أذاقه مرارة العيش لما لاقاه فيه من ويلات وآهات جعلته يؤمن بفكرة كانت أقل تقدير بعيدة كل البعد عن تفكيره ومخيلته ألا وهي الموت، فهذا الأخير الذي بات يتمناه ويطلبه ليل نهار من رب السماوات لكي يريحه من تعب الحياة ومشقاتها خاصة بعد كبره ونفاذ كل فرص الحياة من تحقيق آمال والوصول الى مراتب عليا وسامية في هذه الدنيا التي كره العيش فيها خاصة بعدما علم حقيقتها لأنها لا تبعث على خير فهي مصدر لكل شر، والعيش فيها مأثم وظلم.

والزمان والموت عنصران أو موضوعان ــ إن صح التعبير ــ فرعيان لموضوع فرعي ألا وهو الاغتراب الزماني، فقد كانت بصماتهما واضحة من خلال ديوانيه سقط الزند و اللزوميات وقد عبرت عنهما مختلف الكلمات التي تدور في حقل دلالي واحد مثل الدهر والزمان والزمن والأيام والخطوب هذا إضافة الى الموت والمنايا والمنية والمنون ومختلف الألفاظ الأخرى التي تحمل نفس المعنى.

لقد عدّ الأدب عند بعض المدارس الحديثة بأنه:« تعبير عن المجتمع وبالتالي، فالمجتمع هو الذي يشكل العمل الفني ويحدد قيمته، ونحن مع إيماننا الكامل بأن المجتمع جزء لا يتجزأ من الوجود الذي هو موضوع الأدب والفن بعامة إلا أن الأديب هو الذي يرى الوجود من خلال ذاته، يحاول إدراكه وتفسيره والتعبير عنه»[1].

والوجود هنا هو الوجود بكل نواحيه طبيعية أو اجتماعية أو نفسية أو فكرية.

ومن هنا يمكن القول بأنّ موقف الشاعر بعدّه _ فنانا _ من المجتمع ورؤيته له يتشكلان عن طريق منظاره الخاص الذي يتحكم فيه تكوينه النفسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي وغيرها، وهذا يعني أن تفاعله مع المجتمع أو الانفصال والتمرد عليه ورفضه والخروج عن دائرته، وهذا لا يكون للمجتمع بقدر ما يكون رفضا لعاداته وتقاليده وقيمه السائدة ومن هنا يكون الشاعر قد اغترب عن المجتمع وقيمه لأنّ الاغتراب هو: « شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة »[2]

لذا ارتأيت تناول الاغتراب الاجتماعي ودواعيه التي جعلت الشاعر يغترب وذلك من خلال الموضوعات الفرعية التالية:

1- الاغتراب عن الناس والذي يشمل عناصر كذم أهل الدين والنسك وذم أهل الأدب والشعراء إضافة الى ذم النساء.

2- كما نجد إضافة الى موضوع الاغتراب عن الناس، الاغتراب عن قيم المجتمع وأعرافه السائدة، وكذا الإغتراب السياسي ودواعيه التي أثرت عليه وجعلته يغترب وينفصل عن المجتمع بما فيه من سلطة سياسية.

1- الاغتراب عن الناس:

لقد ذمّ أبو العلاء المعري أهل زمانه، و فضح فسادهم وما اتصفو به من نفاق ورياء وجهل ، لقد تأمل فيمن حوله فوجد الناس على مختلف فئاتهم يغرقون في بحر من الفساد فضاق بهم وصب غضبه على كل فئة منهم وذمهم، ومن بين الفئات التي ذمها المعري فئة أهل الدين والنساك وفي ذلك يقول:

وقد فتشت عن أصحاب ديـــــن   لهم نسك وليس لهم ريـــــاء [3]

---

[1]- محمد زكي العشماوي:قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،دار المعرفة الجامعية (د، ط) ، 1998، ص : 22- 23.

[2]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص : 151.

[3]- أبو العلاء المعري : اللزوميات ، ج1، ص :41.

لكنه لم يعثر علي هذه الفئة بعد هذا التفتيش، فحق له أن يهاجمهم هجوما شديدا، وعلماء الدين مراؤون ومنافقون في نظره، يظهرون الصلاح والتقوى والنسك، ويخفون في نفوسهم الطمع والجشع وحب المال:

-كذب يقال على المنابــر دائمــــــا أخلا يميـــد لما يقـــال المنبـــــر

ويقول:

- لعمرك ما في عـــالم الأرض زاهــــد يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع

فهو يؤكد على أنّ علماء الدين لا يدفعهم إلاّ التكسب والطمع في اعتناقهم للدّين:

- وإنمـــــا حمّـــل التـــوراة قارئــــــها كسب الفوائد لا حب التلاوات

إضافة الى قوله:

- وليس عندهـــم ديـــن ولا نســـــك فلا تغرنك أيد تحمـــل السُبحـــا

وكم شيوخ غدوا بيضـــا مفارقهـــم يسبحون وباتوا في الخنـــا سُبُحـــا

ويواصل قوله:

- وتحب أن يثني عليـــك بأنـــك الــ بر التقي وأنـــت صــــــل أرقـــم

الى أن يقول:

- لقد صل هذا الخلق ما كان فيهـــــم ولا كائـــن حتى القيامـــة زاهـــد

تداعـــوا فقالـــو ناسك وابن ناسك وما هـــو إلا مـــارد ابن مـــــارد [1]

فقد كان يذم الخطباء الذين يصفون الأمراء والحكام بصفات حميدة كالتقوى والهداية والعمل والصلاح وغيرها من الصفات التي تميزهم وتحبذهم عند العامة من الشعب على حين أنهم – الأمراء والحكام- في الهوى والضلال؛ فهو يقول:

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أضـــل وأبتـــر

يدعون في جمعا لهم بسفاهـــة لأميرهم، فيكاد يبكي المنبـــر

نعم يكاد يبكي المنبر من ضلالات ذلك الخطيب المرائي الذي يخدع الجماعات ويصور لها الحالة على غير حقيقتها، لا في الشؤون السياسية بل في الشؤون الاجتماعية فيصفه بقوله:

طلب الخسائس وارتقى في منبر يصف الحســـاب لأمة ليهولهـــــا

ويكون غير مصدق بقيامـــــة أمسي يمثل في النفوس ذهولهـــــا [2]

[1]- يوسف خليف : في الشعر العباسي نحو منهج جديد، مكتبة غريب دار قباء للطباعة (د، ط، د ، ت)، ص : 182- 183.

[2]- ابن القديم: أبو العلاء المعري، دار سعد للطباعة والنشر، مصر، (د،ط)، 1945، ص: 180.

ويقول:

رويدك قد غُــرِرْتَ وأن ت حــر ... بصاحب حيلة يعظ النســـــاء
يحرم فيكم الصهــباء صبـــحا ... ويشربها على عمــد مســـــاء
يقول لكم: غدوت بلا كســـــاء ... وفي لـــــذاتها رهن الكســـــاء
إذا فعل الفتى ما عنـــه ينهـــى ... فمن جهتين لا جهة أســـــاء(1)

فقد نظر الشاعر هنا وعبر بهذه القصيدة عن السلطة الدينية التي رجالها جماعة من الفاسدين والطامعين في السلطة فقط، وليس لهم من الدين إلا الاسم، والذين عندهم مصيدة يصطادون بها الناس فلا بدّ للإنسان من التنبه لمكرهم وفسادهم حتى لا يقع في شراكهم لقد آلم المعري ما جرى في هذا المجتمع من طرف أهل الدين من مخالفتهم لتعاليم الدين واستعمالهم النفاق والرياء، إضافة إلى كل الأحداث والنزاعات التي كانت تقع بين الحين والآخر مما ساعد على ترك آثار وخيمة على نفسية المعري، وهذا ما جعله يحس بالانفصال عنهم والإبتعاد يقول:

غدا أهل الشرائع في اختـــلاف ... تُقَض به المضاجع والمهـــــود
فقد كذبت على عيسى النصارى ... كما كذبت على موسى اليهود(2)

ويقول أيضا في موضع آخر:

توهَّمْتَ يا مغرور أنك ديـــــن ... عليّ يمين لله مالـــك ديـــــن
تسير إلى البيت الحرام تنســـكا ... ويشكوك جار بائس وخديـــن(3)

فهو هنا يشعر بالغربة والنفور والاشمئزاز من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم على الأمة وتعاليم الدين فجناياتهم كبيرة، وهم أحق من غيرهم بالسخط والذم لمخالفة الدين وكذا لنفاقهم الاجتماعي؛ فيقول أيضا:

ما أسلم المسلمون شرهـــم ... ولا يهود لتوبة هــــادوا
ولا النصارى لدينهم نصروا ... وكلهم لي بذاك أشهـــاد(4)

فهو يكاد يجزم بأن الشر والنفاق متأصل في زوار كل المعابد الدينية يقول:

وبيوت نيران تزار تعبـــــدا ... ومساجد معمـــورة وكنائـــس

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 48.
(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 226.
(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 775 -776.
(4)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 233.

فالصائبون يعظمون كواكبـــــا وطباع كل في الشرور حبـــائس
أنى ينال أخو الديانة ســـــؤددا ومآرب الرجل الشريف خسائس[1]

« ويقول فياختلاف فقهاء المذاهب:

أجاز الشافعي فعال شــــيء وقال أبو حنيفـــة لا يجـــــوز
فضَّل الشيب والشبان مـــنا وما اهتدت الفتاة ولا العجوز

ويضيق بنا المجال لو حاولنا سرد ما قاله في الهجوم على أصحاب الديانات المختلفة، لكن ما لا بد لنا من قوله، هو أنّ المعري لم يهاجم الأديان كما اتهمه كثير من الدارسين وإنما هاجم أصحابها الذين توزعتهم الفرق والأهواء والآراء فأهملوا عقولهم حتى عمت الحيرة والبلاء من وراء ذلك »[2] .

واختلاف فقهاء المذاهب دليل على وجود اختلاف في الفرق والمذاهب نفسها،فهويقول في المعتزلة:

ومعتزلي لم أوافقه، ساعــــــة أقول له في اللفظ دينك أجــزل[3]

كما يقول في الأشاعرة:

استغفر الله وأترك ما حكى لهم أبو الهذيل وما قال ابن كـــلابي[4]

وكذا يقول:

وخالفوا الشرع لما جاءهم بتقى واستحسنوا من قبيح الفعل ما شرعوا [5]

وفي المرجئة والمعتزلة يقول:

أرجــؤا أو اعتــزلوا، فـــإني عــــــن مقامكــــــم بمعـــزل [6]

وفي الصوفية يقول:

صوفية، شهدت، للعقل نسبتهـــم بأنهم ضأن صوف، نطحها يقِصُ[7]

إضافة إلى وجود فرق أخرى هاجمها المعري وأنكر عليها في أشعاره.

---

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 464.
[2]- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي، ص: 171.
[3]- سناء خضر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 45.
[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص :109.
[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 523.
[6]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص :690.
[7]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 497.

ثم إن اختلاف المذاهب والعقائد أدى الى ظهور الصراع بينها، وقد انعكس ذلك على الناس مما أدى الى ضعف العقيدة الدينية وقد كتب المعري في لزومياته مصورا إفساد العقائد قائلا:

إذا كان علم الناس ليس بنافـــع ... ولا دافع، فالخســر للعلمـــاء
قضى الله فينا بالذي هو كائـــن ... فتم ، وضاعت حكمة الحكـماء
وهل يأبق الإنسان من ملك ربـه ... فيخرج من أرض لـه وسمـــاء [1]

ويواصل قوله:

سنتبع آثار الذيـن تحمّلـــــوا ... على ساقة مـن أعبـد وإمـاء
لقد طال في هذا الأنـام تعجـبي ... فيا لـرواء قوبلـوا بظمـــاء
أرامي فتشوى من أعاديه أسهمـي ... وما ضاق عني سهمه برمـــاء
وهل أعظـم الاغصـون وريقـه ... وهل ماؤها إلّا جني دمـــاء ؟
وقد بان أن النحس ليـس بغافـل ... له عمـل في أنجـم الفهمـــاء
أفيقـوا أفيقـوا ياغـواة، فإنمـا ... دياناتكـــم مكـر من القدمـاء
أرادوا بها جمع الحطـام فأدركـــوا ... وبادوا ومـاتت سنـة اللؤمـاء[2]

كما هاجم المعري إضافة الى أهل الدين الدجالين من المتصوفة، فهو يقول في هذا الشأن:

تزينوا بالتصـوف عن خـــداع ... فهل زرت الرجال أو اعتميت
وقاموا في تواجدهـــم فـداروا ... كأنهـم ثمـال من كمـــيت[3]

فقد هاجم المعري الدجالين من الناس الذين ادعوا التصوف وهم بعيدون عنه، فتزينوا به لخداع الناس والوصول الى قلوبهم وغاياتهم يقول في هذه الأبيات:

-سألت منجمها عن الطفل الذي ... في المهد كم هو عائش دهـــره
فأجابها مائة ليأخــذ درهـــما ... وأتى الحِمام وليدها في شهــره
-ينجمون ولا يدرون لو سئلـوا ... عن البعوضـة أنى منهـــم تقف[4]

فالمنجمون كذابون محتالون هدفهم ابتزاز أموال السذج ضعاف العقول.

---

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص : 49.
[2]- فاروق شوشة: لزوميات المعري، صوت إحتجاج وإدانة، مجلة العربي، العدد 534، مايو 2003، ص :162.
[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص :162.
[4]- يوسف خليف :في الشعر العباسي، نحو منهج جديد، ص : 183.

و لم يكتف أبو العلاء المعري بمهاجمة أهل الدين والمتصوفة فقط بل ذهب الى أبعد من ذلك الى حيث الأدب والشعراء، فعنفهم لأنهم أخلوا بوظيفة الريادة، فباعوا نفوسهم وسلكوا طريق المكر والخداع والاحتيال من أجل التكسب يقول:

بني الآداب غرتكم قديمـــــا زخارف مثل زمــزمة الذبــاب
وما شعراؤكــم إلا ذئـــاب تلصص في المدائــح والســباب
أضرّ لمن تودّ مــن الأعـــادي وأسرق للمقــال من الزبـــاب
أقارضكم ثنـاء غـــير حـــق كأنّا منه في مجـــرى سبـــاب
وما سُــمُّ الحبـــاب لــديَّ إلا كنظم قيــل في آل الحـــباب[1]

فالشعراء في العصر العباسي وقفوا أذلة أمام أبواب الملوك والأمراء، وسخروا شعرهم لمدح الحكام لغاية ما فإما للتكسب وإما من أجل تشويه حقائق ساطعة يعرفها الجميع على هذا الأمير أو الحاكم لكي يفوز في الأخير بمال أو مرتبة تعلي من شأنه، « لكن أبو العلاء كان يختلف عنهم كل الاختلاف، فهو أبي، كريم النفس، لم يطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، و لم يمدح طلبا للجوائز والمكافآت، ومن هنا كان إحساسه المر بالاغتراب عنهم وكان إعلانه في الأبيات السابقة أن مديح هؤلاء الذين أدمنوا على شرب الخمرة حتى الثمالة يساوي في ألمه ووقعه على نفسه السم الزعاف »[2] و لم يتوقف غضب المعري على أهل الأدب في الانفصال والبعد عنهم فقط وإنما وصل الى حد السخرية منهم ومن شعراء التكسب يقول:

تكسب الناس بالأجسام فامتهنوا أرواحهم بالرزايا في الصنـــاعات
وحاولوا الرزق بالأفواه فاجتهدوا في جذب نفع بنظم أو سجاعات[3]

ويقول إذا شاع شعر التكسب وانتشر بين الناس، فإن الشعر الحقيقي يصاب بالكساد، ويظهر ذلك في قوله:

يحق كساد الشعر في كل موطن إذا نفقت هذي العروض الكواسد[4]

«وعلى الجملة، كان أبو العلاء أديبا ولكنه يمقت أخلاق الأدباء ويذمها ويطهر نفسه منها، فلا يفسق ولا يدعو الى فسق، يقول:

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص :114-115.
(2)- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :172.
(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 153.
(4)-أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 209.

وما أدب الأقوام في كل بلــدة إلى المين إلا معشــــر أدبــاء [1]

ويقول أيضا:

فرقا شعرت بأنها لا تقتـــــني خيرا وأن شرارها شعراؤهـــا[2]

« وهكذا لقد اضطرب كل شيء في نظره اضطربت مقاييس الحياة واختل النظام، و لم يعد ينظر الى الحياة إلا هذه النظرة السوداء البغيظة التي فيها خيوط فلسفته التشاؤمية»[3].

وكان للنساء أيضا، نصيب وافر من ذم المعري ونقده وأكثر ما كان يثير نقمته عليهن، ما شاع بينهن من تبرج وغواية وغدر وخيانة للأزواج يقول:

ألا إن النساء حبال غــــي بهن يضيع الشرف التليـــد[4]

ويقول:

أقل الذي تجني الغواني تبـــرّج يرى العين منها حليها وخضابهـــا
فإن أنت عاشرت الكعاب فصادها وحاول رضاها واحذرن غضابهـــا
فكم بكرت تسقى الأمر حليلـــها من الغار إذ تسقي الخليل رضابهـــا[5]

وقد ذهب المعري الى أبعد من ذلك حين أقر بأن مجيء البنت فيه بؤس وشقاء ليس منه فائدة ودفنها أحسن من عيشها يقو ل:

وإن تعط الإناث فأي بـــؤس تبين في وجـــوه مقسمـــــات
يردن بعولة ويردن حليـــــا ويلقين الخطوب ملومـــــــات
ولسن بدافعات يوم حـــرب ولا في غـــارة متغشمــــات
ودفن والحوادث فاجعـــات لاحداهن إحدى المكرمــــات[6]

فهي مصدر فتنة يتعرض لها الرجل يقول:

ولا ترجع بإيمــاء سلامـــــا على بيض أشـــرن مسلمات
أُلات الظلم جئن بشر ظلــــم وقـــد واجهنــا متظلمــات

---

(1)–أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 157.

(2)– طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 63.

(3)– أبو العلاء المعري : اللزوميات :ج1 ،ص : 43.

(4) –ابن العديم :أبو العلاء المعري، ص: 187.

(5)–سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :172.

(6)– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 83.

فوارس فتنة أعـــلام غـــي لقيتك بالأســاور معلــمات[1]

ومواطن الزلل بين الرجل والمرأة كثيرة جدا وكلها ترجع الى الاختلاط، فقد ألح في ألا يدخل عليها من المعلمين إلا الشيخ الفاني أو العجوز الهالك يقول:

ليأخذن التلاوة عن عجـــوز من اللائي فغرن مهتمـــات
يسبحن المليك بكل جنـــح ويركعن الضحا متأثـمـــات
فما عيب علي الفتيات لحـــن إذا قلن المراد مترجمـــات
ولا يدنين من رجل ضريـــر يلقنهن آياً محكمـــات
سوى من كان مرتعشا يـداه ولمتـــه من المتثغمـــات [2]

ولو اجتمعت النسوة للعبادة واعتكفن في المساجد لأمكن أن يكون اجتماعهن من أسباب الغواية يقول:

وليس عكوفهن على المصـلى أمانا من غوارر مجرمـــات[3]

ولذلك ولخطورة هذا الاختلاط أفصح أبو العلاء بمنع المرأة من الاختلاط بالأجانب، وأن تشغل نفسها بإدارة شؤون بيتها، وبأن تقوم بالعبادة وبغزل الصوف إن وجدت فراغا، أما العلم فلا حاجة لها به إلا القليل منه كأن تتعلم سورتين قصيرتين من سور القرآن تتلوها في صلاتها، وأما ما فوق ذلك فهو خطر عليها يقول في تائيته:

ولا تحمد حسانك إن توافـــق بأيـــد للسطـور مقومـــات
فحمل مغـازل النســوان أولى بهـن من اليـــراع مقلمـــات
سهام إن عرفن كتـاب لســن رجعن بمـــا يسوء مسمّمـــات [4]

إلى أن يقول:

[1]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 161.
[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص :156.
[3]-طه حسين : المجموعة الكاملة ، ص: 309.
[4]-أبو العلاء المعري: اللزوميات :ج1 :ص :159

علمّوهن الغــزل والنسج والـــرد ن وخلــو كتابة وقـــراءة
فصلاة الفتـــاة بالحمـــد والإخــ لاص تجزي عن يوسف وبراءة[1]

وهو يوصيها بالزواج مع أنه يكرهه، فزواجها صيانة لها من الزلل فيقول:

وما حفظ الخريدة مثل بعـــــل تكون به من المتحرمـــات
يحوط ذمارها من كل خطـــب ويمنعها مصاعب مقرمـــات [2]

فذمه للنساء وكرهه لهم بجعله يكره الارتباط بهم فهذا ما جعله ينفصل عنهن وينعزل ولا يفكر بالزواج بإحداهن.

وعموما جميع البشر عنده سواء في الفساد وقبح الطباع لأنهم ثمرة فساد وهكذا فكل حي فوق الأرض ظالم وشرير وكاذب والأجدر بالعاقل أن لا يتزوج، أو أن يقترن بامرأة عقيم، لأن النسل جناية الآباء على الأبناء فتراه يقول:

هذا جناه أبي عـــــلي وما جنيت على أحـــــد [3]

« لكن هجوم أبي العلاء على النساء، لم يكن أعنف من هجومه على باقي البشر، وهن لسن إلا فئة من الناس الذين شك أبو العلاء في إمكانية العثور على إنسان طاهر بينهم:

أيوجد في الورى نفر طهـــــارى أم الأقوام كلهم رجـــوس[4]

« لكن ما رآه منهم من فساد عام وشامل جعل حيرته وشكه لا يدومان طويلا فأطلق صيحته التي تنفي وجود الإنسان الجيد بين البشر يقول:

قالو: فلان جيد لصديقـــــه لا يكذبوا ما في البرية جيـــد [5]

وقال:

[1]- طه حسين : المجموعة الكاملة ، ص :308.

[2]- عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، ص :270.

[3]- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 173.

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص:462.

[5]-عائشة عبد الرحمان:مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته ،ص :270،و سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 173.

لو غربل الناس كما يُعدموا سقطـا لما تحصـــل شيء في الغرابيـــل
أو قيل للنار خُصِّي من جنى أكــلت أجسادهم وأبت أكل السرابيل[1]

« وهكذا تحول المجتمع بطوائفه وطبقاته أمام أبي العلاء الى غرفة تشريح وتحول الناس بين يديه الى مرضى يريد أن يكشف عما في أعماقهم من أدواء وعلل لا ليشفيها ويلتمس لها الدواء، ولكن ليثبت رأيه في فساد المجتمع وأنه لا أمل في إصلاحه وعلاجه

داء هذا الأنام لا يقبل الطــــب وقدما أراه داء نجسيـــــا [2]

وعلى الجملة، الناس على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وألوانهم هم أنجاس في نظر المعري إذ يقول:

شر أشجـــار علمت بهـــــا شجـــرات أثمـــرت ناســـــا
حملـــت بيضـــا وأغربـــه وأتـــت بالقـــوم أجناســـــا
كلهـــــم أخفتْ جوانحـــه مـــاردا في الصـــدر خناســـا
لم تســق عذاً ولا أرجًا بـــــل أذيـــــات وأدناســـــا[3]

ويقول:

وجوهكم كلف وأفواهكم عدى وأكبادكم سود وأعينكـــــم زرق[4]

فهو هنا يذم أهل عصره عامة ويرى الشر متأصلا، في نفوس البشر مذ خلقوا فقد ورثوه عن جدهم القديم يقول:

والشر في الجد القديم غريـــزة في كل نفس منه عرق ضارب[5]

ويؤكد أن الشر طبع في الإنسان خلق معه:

الشر طبع ودنيا المرء فائـــــدة إلى دناياه والأهواء أهـــوال[6]

ويقول:

والشر في طبع الأنام فـــان ين شيئا سواه فليس خيم نحار[7]

ويقول أيضا:

---

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 667.
[2]- يوسف خليف:في الشعر العياسي، منهج جديد، ص :184.
[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 465.
[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص : 559.
[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :76 .
[6]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص : 619.
[7]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1،ص: 390.

والشر في الخلق طبع لا يزايلـــه فقس على خزر في العين أو نجل[1]

ويؤكد أنه غرس من قابيل وهابيل، فما كانت الجريمة إلا بسبب الشر الذي فطر عليه أبوهما فيقول:

مضى الزمان ونفس الحي مولعـــة بالشر من قبل هابيـــل وقابيل[2].

ولذلك انتشر الشر بين الناس وقد صوره المعري بقوله:

والشر حم ومن تسلم له إبــــل من غارة الجيش يتركها لخـــــرّاب[3].

وهكذا فقد أدرك أبو العلاء المعري أنّ الهوة عميقة بينه وبين أهل زمانه، بين إنسان حر التفكير، عزيز النفس، رقيق المشاعر والأحاسيس وبين مجتمع بات فيه الشر متأصل، فمعاناته هاته جعلته يغترب عنهم وينأى، وهذا ما كان واضحا في اغترابه عن أهل زمانه المتمثلين في أهل الدين والنساك والأدباء والشعراء إضافة الى ذم النساء والدجالين الذي لمسنا معاناته منهم وذمه لهم.

وبالاستناد الى الإحصاء دائما إذا ما تتبعنا ديواني المعري المتمثلان في كل من سقط الزند واللزوميات ،نجد بعض الكلمات التي ترددت كثيرا من خلال أشعاره مثل، مارد، مغرور رياء وغيرها من الكلمات المعبرة عن مدى سخط وذم المعري لهؤلاء الفصائل من الناس المتمثلين في أهل الدين والأدب والنساء والدجالين.

2- الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة:

« في مجتمع القرن الرابع الهجري، اختلت الموازين وكثرت الالتواءات فتبدلت الأعراف وانحرفت القيم الأخلاقية والاجتماعية، وطغت عليها القيم الفاسدة والعادات الشاذة والغريبة، وأصبح من لم ينجرف مع تيار العصر ينظر حوله، فلا يرى إلا مظاهر التناقضات التي تدعو الى العجب، حتى ليحس أن العقل عبئ على صاحبه وأن الصدق مذمة يؤاخذ عليها، وأن الجهر بالحقيقة اعتداء، وأن الاستقامة في القول والعمل انحراف ما بعده انحراف ، وكما شعرت النفوس النبيلة الأصيلة بالاغتراب عن الناس الذي عمهم الفساد من كل صوب كذلك كان الأمر بالنسبة لآفات الوضع الاجتماعي وعيوبه، فهذا شاعر المعرة الكبير أبو العلاء ينتقد ما أصاب مجتمعه من اختلال في القيم بلهجة مليئة بالحزن والتشاؤم واليأس »[4]لذلك نجده يقول :

فقد فُقِدَ الصدق ومات الهــــدى واستحسن الغدر وقل الوفاء

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص : 664.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 667.

(3)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص : 111.

(4)- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباس القرن الرابع الهجري، ص: 174.

واستشعر العاقـــل في سقمــــــــــه أن الردى مما عناه الشفـــاء[1]

لقد كره المعري الحياة و لم يجد لها أي معنى خاصة وأنها في عالم يخجل الإنسان فيه من الهدى فيستره ويفاخر بالضلال والغي فيعلن عنه ويرتكبه.

ويقول المعري:

أمّا الهدى فوجدنه ما بينـــــنا سرا ولكن الضلال جهــــارا ![2].

ولا شك أن سوء الحالة الاجتماعية مرتبط بسوء توزيع الثروة، أو بالمعنى الأصح بسوء الحالة الاقتصادية[3] .

ويحدثنا باحث مدقق عن واقع ذلك العصر الاقتصادي فيقول: كان المال وفيرا كثيرا، والترف والنعيم أقصاه في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء والخاصة، أما الشعب فأكثره بائس فقير.

ثم نراه يضيف: « كان هناك طبقتان متميزتان كل التمييز، فالخليفة ورجال دولته وأهوالهم وأتباعهم طبقة الخاصة، وهم عدد قليل بالنسبة لمجموع الأمة، وبقية الناس وهم الأكثر طبقة العامة من علماء وتجار وصناع ومزارعين ورعاع، وأغلب هؤلاء فقراء إلا من اتصل منهم بالخلفاء والأمراء »[4]

وقد أشار المعري الى ذلك التناقض الصارخ في توزيع الثروة فقال:

يعرى الفقير وبالدينار كسوتـــــه وفي صواتك ما إعداده خـــرف[5] .

ويصف لنا حالة الفقير وبؤسه، فيقول:

يغدو الفقير وكل شيء ضــــــده والأرض تغلق دونه أبوابـــــــها

فتراه محقـــوقا وليس بمذنـــــب ويرى العداوة لا يرى أسبابهـــــا

حتى الكلاب إذا أرادت ذابِـــزة هشت إليـــه وحركـــت أذنابهـــا

وإذا رأت يومـــا فقيـــرا بائســـا نبحت عليـــه وكشـــرت أنيابهـــا[6]

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 54.

[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص :314.

[3]- ينظر سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص :41.

[4]- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، ص :182.

[5]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 543.

[6]- مصطفى صالح كشاف :مصادر دراسة أبي العلاء المعري، مطبعة العلم، دمشق، 1978، ص: 326.

فالفقير إذن له تأثير كبير على نفسية الإنسان « وقد استعان الباحثون بعلم النفس وهم يتحدثون عن عقدة الفقر، وكيف يكون تأثيرها على الأفراد ودفعها إياهم بحثا عن الطريق الى الثراء، في محاولة لتحقيق نوع من المساواة النسبية تبعا لما يحققون من ثروة تأتي بها غزواتهم المستمرة »[1] .

وقد شعر أبو العلاء المعري بالظلم في توزيع الثروات، ويفسر مشاهد الظلم بقوله:

غنى زيد يكون لفقر عمـــرو وأحكام الحوادث لا يقسنـــه[2]

«فالخيرات التي تنتجها الأرض وتنتجها الحضارة، كلها محصورة لا يمكن أن تتفاوت حظوظ الناس منها إلا إذا كان الظلم مصدر التفاوت فإذا ظفر زيد بالغني، فلا بد أن يضطر عمرو إلى الفقر، وهو يكره هذا الظلم فيقول» :

والظلم عندي قبيح لا أجــوزه ولو أطعت لما فاؤوا بأجلاب[3]

والأغنياء بخلاء مغتصبون لحقوق الفقراء، والناس مع ذلك يجلونهم ويعظمونهم:

وفي المعاشر من لو جاز من ذهب طود الضنى بإعطاء المثاقيل
أجلــوا مكثـــــر وتنصفـــــوه وعابوا من أقـــل وأنّبـــوه
لبى الغنى بنو حـــواء من طمـــع ولوعاهم فقير ما أجابـــوه[4]

ومعظم الناس عند المعري غير عادلين، أو غير منصفين، لا يعطون صاحب الحق حقه، أو يبالغون في الثناء على من لا يستحق، لقد ضاق بأمثال هؤلاء واشتاق الى بشر يعطون الحق لأصحابه يقول:

من لي أن أقيــــم في بلـــــد أذكـــر فيـــه بغـير ما يجـــــب
يظن بي اليُسروالديانة والعـــلـــ م وبيني وبينهـــــــا حجــــــب
أقررت بالجهـــل وادعى فهمــــي قوم فأمـــري وأمرهـــم عجـــب[5]

وقد انتشرت في هذا العصر بعض القيم كنقص الثقة في المجتمع _ بحسب رأي المعري _ فوجود إخوان الثقة صعب كصعوبة رجوع الصبا بعد الشيب يقول:

وليس صبا يفاد وراء شيــــب بأعوز من أخي ثقة يفـــــاد[6]

---

[1]- عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص: 113.

[2]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص : 794 .

[3]- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العياسي القرن الرابع الهجري، ص: 179،و أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 109.

[4]- يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد، ص : 182 .

[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 78- 79.

[6]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :64.

ويقول:

عصا في يد الأعمى يروم بها الهدى أبرله من كل خدن وصاحب(1)

فمعرفته بإنسان عصره وصلت به الى حد فقدان الثقة الذي عبر عنه بهذا القول.

وانتشرت الغيبة في المجتمع وقد أعابها المعري في خطابه مع من يعتابه هو شخصيا فيقول:

رويدك أيها العاوي ورائـــــي لتخبرني، متى نطق الجمـــــاد(2)

فيقول في هذا البيت، أيها العاوي ورائي كما يعوي الكلب خفف من عوائك وأخبرني متى جرت العادة بأن ينطق الجماد فتكون من الناطقين، ومتى تكلم الأموات فتكون من المتكلمين.

كما ساد في هذا العصر الجهل كثيرا حتى أصبح الناس يصدقون ما ترفضه العقول:

قد صدق الناس ما الألباب تبطله حتى لظنوا عجوزا تحلب القمرا

أناقـــة هو أم شـــــاة فيمنحــــــها عسا تغيث به الأضياف أو غمرا (3)

« ولعل أقوى صور الاغتراب التي نلمحها عند أبي العلاء صورة اغترابه الفكري وهذا أمر بديهي بالنسبة لمفكر كأبي العلاء، كان دائما يحتكم الى العقل في كل ما يناقش من قضايا وأفكار جاءت بها الرواية من زمن سالف، تقبلها معاصروه بلا مناقشة أو تمحيص أو رؤية للحياة أفرزها عصره المضطرب فجاءت هي كذلك أكثر ما تكون من الاضطراب

لقد صدئت أفهام قوم فهل لها صقال ويحتاج الحسام الى الصقـــل

وكم غرّت الدنيا بنيها وساءني مع الناس مين في الأحاديث والنقل (4)

« فالمعري يؤمن بقدرة العقل على الإبداع المتجدد بتجدد الحياة ويسخر من أولئك الذين يقولون في كل زمان، ما ترك الأول للآخر شيئا، وقد عبر عن إيمانه هذا بقوله :

إني وإن كنت الأخير زمانـــــه لأت بما لم تستطعه الأوائـــل (5)

ويشير إلى المقلد الذي يعتمد النقل دون العقل فيقول:

---

(1)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 101.

(2)- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 65.

(3)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص :335.

(4)- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء ، ص :187،أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 653..

(5)-عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص :58،وينظر أبو العلاء المعري :سقط الزند ، ص :106

في كل أمرك تقليد رضيت بـــه حتى مقالك ربي واحد أحـــد [1]

« فلا شك أن يغترب أبو العلاء وصفه صاحب منهج في الحياة، يقوم على العقل ويهتدي به كل أمر عن أناس غلبت عليهم طباعهم ورغباتهم، فصاروا أسرى لهذه الطباع، تقودهم الى حيث تريد كما تقاد وتسحب بهيمة الأنعام

إذا ما أشار العقل بالرشد جرهم إلى الغي طبع أخذه أخذ ساحب[2]

« وعندما يغيب العقل، وتصاب الذات الإنسانية بهذا القدر المدمر من التسطيح والضياع، تتكشف لنا أزمة الإنسان المفكر، فنراه شقيا باغترابه، شقيا بفشله من العثور بمن يتفهم لما يقول: حتى نراه يلتزم الصمت فيما التزم من أشياء:

رأيت سكوني متجرا فلزمتـــــه إذا لم يفد ربحا فلست بخاســــــر[3]

والمتفحص في أفكار أبي العلاء يراه غريبا متفردا في نظرته للمجتمع، ناقدا لكل ما يتخبط فيه أهل زمانه من فساد في العقائد والملل، وإهمال لفرائضه وسخرية من تعاليمه وقيمه الروحية وهذا ما يعكسه ديوانه اللزوميات فهو يقول متلهفا على ما أصاب الدين من اضمحلال وذمور يقول:

لهفي على ليلـــة ويـــــوم تألفت منهما الشهــــــور

وألفيا عنصــــريْ زمـــــان ليس لأسراره ظهـــــــور

قد أصبح الدين مضمحلا وغيرت آية الدهـــــــور

فلا زكـــــاة ولا صيـــام ولا صـــلاة ولا طهـــور[4]

« وفي هذه الأبيات أيضا، شكوى مما شاع في عصره من بغاء، ومجون ودعارة ويسخر أبو العلاء المعري سخرية لاذعة مما شاع في مجتمعه من إيمان بالأوهام والخرافات، وتصديق الأقاويل السخيفة التي تجعل للنجوم والكواكب تأثيرا كبيرا على الناس في سعدها ونحسها يقول:

تشاءم بالعواطس أهل جهـــل وأهون إن خفتن وإن عطسنــــه

وهان على الفراقد والثـــــريا شخوص في مضاجعها درسنـــه

---

[1]- أبو العلاء المعري : اللزوميات ، ج1 ،ص :218.

[2]- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص :189، وأبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص:101.

[3]- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص: 189،وأبو العلاء المعري: اللزوميات ،ج1،ص :359.

(4)- أبو العلاء المعري : اللزوميات ، ج1 ،ص :295.

وما حفلت حضار ولا سهيـــل بأبشار يمانيـــة يـــــد سنـــــه[1]

وفي أمكنة أخرى يوجه نقده وسخريته أيضا الى ما عرف في مجتمعه من إيمان بالتنجيم يقول:

ومرآة المنجم وهي صغـــــرى أرته كل عامرة وقفــــــر[2]

« فقد أنكر أبو العلاء هذه الحياة من حوله، ودعا الى إصلاح المجتمع وتغيير المنكر فيه»[3] وهذا ما جسده ديواناه اللذان يعكسان اغترابه عن مجتمعه وقيمه وعاداته، فوجدنا فيه نغمة التلهف والتحسر والشكوى، كما وجدنا السخرية والرفض والثورة على هذه الأوضاع وهذا التناقض الحاصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية « فإذن كان طبيعيا، وهذا حال عصر أبي العلاء، أقل"زمانه " أن نراه يعاني من اغترابه فيه، ونقول فيه لأنه لم يشأ أن يرحل عنه الى بلاد غير بلاده ومن ثم كانت معاناته الدائمة وعذابه المقيم، كما جاء في قوله :

إنّ زماني برزايـــــاه لـــي صيرني أمـــرح في قـــــده[4]

« وأيًّا كانت نوعية ذلك المرح المقيد، أو القيد كان طبيعيا أن يغترب أبو العلاء وأن يحدثنا عن صور اغترابه التي هي في حقيقتها إدانة لعصره، وكشف عما به زيف وانحطاط »[5] .

وعلى اعتبار أن الإحصائيات التي قمت بها في هذا الموضوع لدوانيه سقط الزند و اللزوميات غالبا ما تتعدى الكلمة مثلما قال (عبد الكريم حسن): « لا تقود الى حقائق نهائية، فالموضوع يتعدى الكلمة غالبا بشموليته وامتداده »[6] فإننا نكتفي هنا ببعض الكلمات التي ذكرت في ديوانيه بشأن هذا الموضوع وترددت كثيرا منها مثلا: شر، غواة، رياء، حيلة، مكر، لؤم، ذباب، ذئاب، بؤس، داء، أدناس، أذيات، دنايا، ضلال، كلاب، ظلم، جهل، الغي العاوي، رياء، مغرور، مارد وغيرها من الكلمات المستعملة في كلام المعري ومن العبارات نجد مثلا: جين بشر، أم الأقوام كلهم رجوس، لا يكذبوا ما في البرية من جيد، فقد فقد الصدق ومات الهوى داء هذا الأنام لا يقبل الطب، استحسن الغدر وقل الوفاء، شر أشجار علمت بها شجرات أثمرت ناسا، بل وجوههم كلف وأفواههم عدى، وأكبادهم سود وأعينهم زرق.

---

(1)-سميرة سلامي ،الاغتراب في لشعر العباسي القرن الرابع الهجري ،ص :180-181،و أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص :796.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 375.

(3)- مصطفى البشير قط:قراءات في النقد والأدب، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2008، ص :82 .

(4)-عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، و أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :207.

(5)- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص :187.

(6)- عبد الكريم حسن:المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق ، ص :51.

إذن – وحسب ما يلاحظ – أن هذه الكلمات وهذه العبارات كلها تعكس نظرة المعري الى من حوله وهي نظرة كلها تشاؤم وحيرة خاصة وأنهم في نظره ما هم إلا وشاة ومكرة يميزهم الظلم والجهل واللِؤم والشر والغدر.

فالمعري ولأنه وجد صورا مختلفة في مجتمعه تعكسها تصرفات الناس من حوله كالجهل والظلم والفساد والانحلال الخلقي والشرك إضافة الى نقص الثقة والفقر اللذين سادا بدرجة كبيرة في المجتمع، كل هذه التصرفات والسلوكات جعلت المعري يعتزل المجتمع مخافة أن تلتصق هاته السلوكات به وتجعله واحدا من مجتمعه، فهروبه واضح من خلال أشعاره فهو يحاول دائما أن ينعزل عنهم وأن لا يبدو مثلهم في تعامله مع الناس وفي تصرفاته التي يحرص من دون شك على تحصينها من كل الآفات وتهذيبها إن أخطأت فاغترابه عن قيم مجتمعه وعاداته السائدة واضحة من خلال ديوانيه سقط الزند واللزوميات وهذا ما عمدنا إلى تفسيره فيما سبق عن طريق الإحصاء الذي أجرى حول شعره.

3- الاغتراب ا لسياسي:

لقد عاش شاعرنا – أبو العلاء المعري – في عصر سادت فيه الإظطرابات والفتن فكانت فترة سوداء « تصدعت فيها السيادة على مذبح الشهوات التي كانت تضطرم في صدور المتغلبين من الديلم ومن إليهم من الأعاجم المتسلطين لقد فسدت الحياة السياسية وفسدت الحياة الاجتماعية حتى أصبحت البلدان العربية، وكأنها على بركان، دول مختلفات المنازع والأهداف قد انتثرت في الرقعة الإسلامية الكبرى، نزعات فردية في إهاب من المطامع الصارخة، تجيش في كل صدر، جمعيات سرية تستهدف غابات مريبة مذاهب جديدة هدامة ترمي الى نزعات سياسية خطيرة »[1] .

فهذا الفساد وهذا الانحلال الخلقي والتحلل من المعايير والاظطرابات في الأوضاع والقيم الإنسانية هي كلها صفات ومميزات لذلك العصر الذي عاش فيه المعري، وقد تجسد أكثر ما تجسد في الملوك والأمراء والوزراء والولاة وغيرهم من رجال الدولة الذين مارسوا أبشع الطرق المتمثلة في الظلم والجور والإستغلال للرّعية ،حيث أدى الى حدوث هوة كبيرة بين الحاكم والناس وكان لابد للشعب الذي ذاق الأمرين من ظلم حكامه، ورآهم ينغمسون في الرذيلة من أن يفقد ثقته بهؤلاء الحكام وأن يعلن بالتالي سخطه العنيف على سياسة الدولة[2] .

وقد عبر شعراء العصر العباسي عن اغترابهم السياسي بأساليب مختلفة وطرق شتى وهذا ما نجده عند أبي العلاء المعري، فهو « أديب حساس وشاعر عميق التفكير وفيلسوف حُرْذ ونظرة نافذة، رأى

(1)– ابن العديم: أبو العلاء المعري، ص : 166 .

(2)–ينظر سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 181.

وطنه نهبا للأهواء والشهوات ورأى البلاد العربية وقد انتهت الى ما انتهت إليه من الضعف والاضطراب والفوضى، بديهي أن يؤثر ذلك في أدبه، وأن تشيع روح السخرية في هذا الأدب وأن يقسو قسوة مرة على من يظهرون بصور من ملائكة الرحمان بينما هم أبالسة »[1] إنّهم الحكام والساسة، الذين يخدعون الناس بأقوالهم وأساليبهم.

فالمعري له رأي واضح في السياسة، يظهر من جراء قوله:

وإذا الرئاسة لم تعن بسياســـــة عقلية خطئ الصواب السائس[2]

فالسياسي يجب أن يمتلك عقلا كبيرا يسير به أمور الدولة لكي تكون سياسته صائبة وعادلة، ولكن هذا لم يتوفر في رجال الدولة وحكام عصره، هذا ما عمّق اغترابه عنهم وجعله يتأفف منهم.

فهو يقول:

يسوسون الأمور بغير عقـــــل فينفذ أمرهم ويقال: ساسة

فأف من الحيـــاة وأف مـــني ومن زمن رئاسته خساسة[3]

فلو حكموا عقولهم لميزوا بين الباطل والحق ولميزوا بين الظلم والعدل وأكثر شيء كان يثير سخط المعري هو ظلم الحكام واستغلالهم للرعية وتحميلهم للضرائب والمكوس والغرامات بسبب وبدون سبب فهو يقول في ذلك:

ورأى ملوكا لا تحوطه رعيـــة فعلام تؤخذ جزية ومكوس[4]

فالملوك أصبحوا عبيدا لشهواتهم، أما الشعب الضعيف فتفرض عليه هذه الغرامات وتسلط عليه الديون من كل صوب يقول:

وجدت الناس في هرج ومـــرج غواة بين معتزل ومرجـــى

فشأن ملوكهم عـــزف ونـــزف وأصحاب الأمور جباة حرج

ويقول:

أتعجب من ملوك الأرض أمسوا للذات النفوس عبيد قـــن[5]

---

(1)- ابن العديم: أبو العلاء المعري، ص :173.

(2)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2،ص :464.

(3)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2،ص: 466.

(4)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص :43.

(5)- ابن العديم: أبو العلاء المعري، ص: 177.

فهذه الأوضاع التي عرفها الناس في هذا العصر من انحلال وفقر وغرامات جعلت المعري يفكر في الهجرة لأي بقعة أخرى تخلوا من هذا الفساد ولكنه لم يجد حلا لهذا المأزق الذي تورط فيه من دون قصد فكل البلدان العربية تقريبا تعاني ما يعانيه المعري في بلده يقول:

كيف التخلص والبسيطة لجـــــة — والجو غيم بالنوائب يسجـــم
فسد الزمان فلا رشـــاد ناجـــم — بين الأنام ولا ضلال منجم[1]

ولأن الشاعر لم تتح له فرصة الهروب إلى بلاد أخرى، لجأ الى اعتزال الناس ولزوم بيته والاكتفاء بالنظر من بعيد لجوانب الحياة خاصة منها الاجتماعية والسياسية، هاته الأخيرة التي خضعت الى ذم ومهاجمة كل شيء فيها بداية من الحكام الى سياستهم المتبعة فهو يقول عن هذه الحياة السياسية المضطربة:

مل المقام فكم أعـــاشر أمـــــة — أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها — فعدوا مصالحها وهم أجراؤها[2]

ويقول:

وتخالف الرؤساء يشهد مقسما — أن المعاشر ما اهتدت لصوابها[3]

ويقول عن فقدان العدل:

– فظالم آخذ مالا يحـــــل لـــــه — ومنصف ظل فيهم ليس ينتصف[4]
– أرى حلبا حـــازها صـــالح — وجال سنـــــان على جلقـــــا[5]

فقد خانوا الأمانة و لم يقوموا بواجبهم تجاه رعاياهم:

يجوز فينفى الملك هن مستحقه — فتسكب أسراب العيون الدوامع[6]

فيفترض أن يكون الحكام خير قدوة، وهذا ما طمح إليه المعري، ولكن عصره كان حافلا بالحكام الذين هم شر قدوة يقول:

بكل أرض أميـــــر ســــــوء — يضرب للناس شر سكـــــه[7]

---

[1]– ابن العديم:أبو العلاء المعري ، ص: 174.
[2]– أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج1، ص: 43 .
[3]– سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 40.
[4]– أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 542.
[5]– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 576.
[6]– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 533.
[7]–أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 598.

« فطبيعي أن نرى المعري ينتقد سياسة الحكام ويدعوا الى العدل والإنصاف، ويسخط على الظالمين وهو الذي رأى وطنه نهب للأهواء والشهوات، ورأى بلاده تتخبط في مشاكل لا نهاية له»ا [1].

فقد قسى على الملوك والأمراء وانتقد سياستهم خاصة بعدما وجد أن هؤلاء الحكام لا همّ لهم سوى تحقيق المتعة واللذة، فهي شغلهم الشاغل يسعون دائما الى الوصول إليها عن طريق الخمر والعبث بالنساء وغيرهم من الوسائل المستعملة في تحقيق مثل هاته الأمور يقول:

ملوكنا الصالحون كلهـــــم زير نساء يهش للزيـــرة[2]

كما وجه نقده وسخطه لأولئك الذين تبعوا القضاة وساروا مثلهم فقبلوا الرشوة وجاروا في أحكامهم ويسميهم بالعدول فيقول:

في البدو خراب أذواد مسومـــــة وفي الجوامــع والأسواق خراب
فهولاء تسموا بالعـــدول أو الـــتّـــ جار واسم أولاك القوم أعراب[3]

ويقول:

عدول لهم ظلم الضعيف سجيـــة يسمون أعراب القرى والجوامع[4]

« وقد تأثر أبو العلاء من غير شك بالمذاهب المختلفة القائمة في عصره، فدرسها وجادل فيها، ولكنه لم يستق منها لنفسه إلا خلاصتها وأدناها الى مزاجه »[5] فقد سئمت نفسه هذه المعارك والمنازعات التي كانت تقوم بين أصحاب هذه الفرق إذ « كان يرى في هذه المذاهب الشائعة التي سادت عصره وسيلة للسيطرة والحكم فما كان أصحابها ليقصدون المثل العليا في مذاهبهم التي ابتدعوها ودعوا إليها»[6] لذلك لم ينحاز الى أحد « ولم يمالي أحدا لقد اتّهم جميع السياسيين بالجور والمكر بغية جلب الدنيا إليهم، يستوي في ذلك الحاكم السني والإمام الشيعي وزعماء الحركات الثورية كصاحب الزنج وزعيم القرامطة .

يا ملوك البلاد فزتم بنســئ العمر والجور شأنكم في النســـاء
يرتجي الناس أن يقوم إمــــام ناطق في الكتيبة الخرســـــاء

(1)–سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 39.

(2)– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 348.

(3)– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 70.

(4)– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 533.

(5)– سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص :40.

(6)– ابن العديم:أبو العلاء المعري، ص 179. سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 186.

كذب الظن لا أمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمســـــاء

فإذا ما أطعته جلب الـــرحمــ مة عند المسير والإرســـــاء

إنّما هذه المذاهب أسبــــــا ب لجذب الدنيا إلى الرؤســاء [1]

فإذن المنطلق واحد عند جميع السياسيين في البدء يطلقون الشعارات التي ترفع من معنويات الشعب يعدون بالعدل والمساواة وإعطاء الحقوق وتلبية كل المتطلبات وما إن يصلوا الى الحكم حتى ينقلبوا رأسا على عقب، ولذلك يقول المعري لا يوجد إمام للناس يمكن الاطمئنان إليه سوى العقل الذي يميز به بين الخير والشر وبين الظلم والعدل، ولكنه يبقى مجيء هذا الإمام ليرفع الغبن ويأتي بالعدل فيقول:

متى يقوم إمام يستقيد لنــــــا فتعرف العدل أجبال وغيطان[2]

« لقد شعر أبو العلاء بأن الأرض ملئت جورا و لم ير حاكما، في زمنه استطاع تحقيق العدل، فيئس من الساسة في كل زمان ومكان، وعند جميع الأقوام والأجناس، ورأى أنهم شر الناس، وهكذا نجد أن ما رآه أبو العلاء من فساد وانحلال في الحياة السياسية في القرن الرابع لم يؤد فقط الى إحساس بالاغتراب عن حكام عصره بل جعله يكره الطبقة الحاكمة والزعماء السياسيين في كل زمان ومكان»[3]

وبعد هذه الحوصلة التي قدّمتها حول موضوع الاغتراب السياسي وجدت بعد القيام بالإحصاء استنادا الى ديوانيه سقط الزند و اللزوميات بعض العبارات التي تميز وتخدم هذا الموضوع من مثل: أمير سوء، أف من زمن رئاسته خساسة، جزية ومكوس، ظلموا الرعية واستجازوا كيدها، فظالم وآخذ ما لا يحل له، ملوكنا زير نساء، عدول لهم ظلم الضعيف سجية، وهي كلها تدور حول الظلم والجور وعدم العدل بين الناس التي من المفروض أن تكون من أوليات الحكام والرؤساء.

---

[1]-سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :186 ،وأبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص :51

[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :778.

[3]- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :187.

1- الاغتراب عن الوطن عند أبي العلاء ودواعيه:

إنّ موضوع الاغتراب تؤدي إليه دوافع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، وفيه أنواع كثيرة منها الاجتماعي والاقتصادي والزماني والمكاني هذا الأخير الذي ظهر ومنذ العصر الجاهلي عانى منه الكثير وقد يلجأ إليه الفرد بمحض إرادته أو اضطرارا نتيجة حدث معين يحدث له في المجتمع يضطره إلى هجرة وطنه، وهذا ما حدث بالفعل لدى الشعراء في هذا العصر – العصر العباسي- حيث اضطرهم الظروف و الأحوال إلى هجرة أوطانهم وهذا ما نستشفه مثلا عند « الشاعر الموصلي (أبو عثمان الخالدي) الذي اضطره الفقر الى هجرة وطنه و التنقل من بلاط لآخر ثم الرجوع إليه بعد زوال الفاقة والعوز يقول:

إنا لنرحل و الأهواء أجمعـــها لديك مستوطنات ليس ترتحل

لكن كل فقير يستفيد غـــنى دعاة شوق إلى أوطانه عجـــل

وكل غاز إذا حملت غنيمـــته فإن آثر شيء عنـــده القفـــل

فهو يصرح بأن الفقر هو السبب الوحيد في هجرته لوطنه، وحين زال السبب، آثر العودة ، فقد ناداه داعي الشوق، لأن الوطن هو أغلى ما في الوجدان، استطاع الإنسان تأمين أسباب الحياة »[1].

فالتنقل إذن فيه محاسن كثيرة وإيجابيات جمة لذلك حثنا الله سبحانه وتعالى عليه حيث يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِيمَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[2]

فبالرغم من المشقة والمعاناة التي يتكبدها إلا أنه في الإغتراب فائدة تعود على هذا الإنسان النازح ، وقد توالت أشعار المغتربين في هذا العصر إضافة إلى أبي عثمان الخالدي نجد أيضا (بن بابك) و(بن حماد البصري) و (المتنبي) و (أبا فراس الحمداني) و (الشريف المرتضي) وأبا العلاء المعري هذا الأخير الذي تجلى عنده موضوع الاغتراب بصفة ملفتة للإنتنباه مما جعل منه ظاهرة فريدة في الشعر العربي، و مما ساعد على تفرده غربته الدائمة، وإحساسه بالانفصال والانعزال عن المجتمع تارة وعن الوطن تارة أخرى يقول:

---

(1)- سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :123- 124.

(2)- سورة الملك/ 15

أَعَنْ وخْد القِلاص كشفت حالا ومن عند الظلام طلبت مـــــالا

ودُرّا، خِلْتِ أنجمـه عليـــه فـهـــلّا خلتهن بــه ذُبـــــالا[1]

فالشاعر هنا يخاطب نفسه ويعنفها على كثرة أسفاره وترحاله، وينكر عليها ما توهمته من إمكان نيل المال من عند الظلام، فليس الظلام موضعا لطلب المال ثم يتمم ما بدأه في البيت الأول من تعنيف نفسه على السفر الذي لم يصل به الى تأمله.

كما نجده يبين في قصيدته (كم بلدة فارقتها ومعاشر)كيف أنه تنقل بين البلدان والأقوام الذين اعتاد توديعهم يذرفون الدموع عليه ويأسفون لرحيله يقول:

كم بلـــدة فارقتـــها ومعاشـــر يذرون من أسف علي دموعا

وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى لوداد إخوان الصفاء مضيـــعا

خاللت توديع الأصادق للنّوى فمتى أودع خلّـــيَ التوديـــعا[2]

كما أنه في موضع أخر من سقط الزند يتكلم عن المناطق التي مر بها للوصول الى هدفه فهو يقول مثلا بأنه وفد الى هذه البلاد أول الفجر بعد أن سار طيلة الليل في قفار لا يسكنها إلا الذئاب والبقر الوحشية وذلك يظهر في قوله:

وبلاد وردتها، ذنب الســـــر حان بين المهاة والسرحــــــان[3]

فهذا البيت يدل على ترحاله وتنقله من منطقة لأخرى.

وهو في موضع آخر يحدثنا عما تجشم من مشاق السفر في المهمة القفر مع مخاوفه ووحشيته يقول:

سارت فزارت بنا الأنبار سالمــة طافوا بها فأنا خوها بجعجـــــا ع

ورُبّ ظُهْر وصلناها على عجل بعصرها، في بعيد الوِرد لمـــــا ع

بضربتين: لطهر الوجه واحدة وللذراعين أخرى ذات إســـرا ع

وكم قصرنا صلاة غير نافلــة في مهمة كصلاة الكسف شعشا ع

وما جهرنا ولم يصدح مؤذننـــا من خوف كل طويل الرمح خدا ع[4]

كما أنه يبين لنا المناطق التي مر عليها من الأنبار والقادسية الى بادية الشام الى أن و صل الى بغداد.

---

[1]- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 21.

[2]- أبو العلاء المعري: شرح ديوان سقط الزند، شرح وتعليق ، ن ، رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1987، ص: 190.

[3]- أبو العلاء المعري: شرح ديوان سقط الزند، ص: 92.

[4]- عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، ص: 122- 123.

وقد كانت من عادة العرب قديما أنهم أثناء تنقلهم الى مناطق أخرى غير بلدانهم التي يعيشون فيها يتخذون الناقة أنيساً لهم في رحلتهم هاته منذ بدايتها الى نهايتها، وقد شهد المسافر مع ناقته أحداثا جمة في طريقه المحفوف بالمخاطر والمتعب في أحيان كثيرة من شدة الجوع والعطش وطول الطريق مما يجعل الراحلة تضعف وتهزل وهذا ما نلاحظه لدى شاعرنا أبي العلاء وراحلته التي أضناها طول السفر بعدما كانت قبل انطلاقها في السفر كالنخيل في سمنها وعظمها، ولكن السفر أنحلها حتى صارت كالعرجون في تقوسها ونحولها يقول المعري:

وكانت كالنخيل، فظــل كــل   ومشبهه، من الضمر الإهان[1]

ويقول في بيت آخر:

وأعيس، لو وافى به خرت مخيط   لأنفذه من ضمره وانهضامه[2]

فقوله هذا دلالة على أن الجمل هزل من السفر حتى أصبح بالإمكان إيلاجه في ثقب إبرة.

وصفة التنقل والترحال هاته غربته عن أهله ووطنه وجعلته يتحسر لذلك نجده يقول:

ويحمل من أرض لأخرى وما درى   فواها له بعد البلى يتغرب[3]

ويقول في موضع آخر من قصيدته (كلمت فزد على النعمان ملكا):

ولو لم ألق غيرك في اغترابي   لكان لقاءك الحظ الجزيلا [4]

ففي هذا البيت دلالة على أنه اغترب ووجد في غربته أناسا آخرين غير الذين كان يعرفهم.

ولأبي العلاء المعري رحلات في حياته تتراوح بين حلب واللاذقية وطرابلس وبغداد، هذه الأخيرة استوقفتنا كثيرا في أشعاره، فقد ذهب إليها في مرحلة شبابه عكس الرحلات الأخرى التي قام بها وهو في صغره من أجل التعلم والتربية والتدريب.

فبعده عن وطنه المعرة وارتحاله الى بغداد جعله يحس بالغربة والنوى وقد دفعته إليها أسباب ودواعي عدة اختلف الباحثون في تحديدها وتحديد عدد المرات التي ذهب فيها المعري الى بغداد، « وقد جاء في وفيات الأعيان، أن المعري قصد بغداد مرتين، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره ثم

---

[1]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 47.

[2]- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص :101.

[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص :65.

[4]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :272 .

عاد إليها بعد عام تقريبا أمّا مؤرخوه الآخرون فيجمعون على أنه لم يأتها سوى مرة واحدة ومكث فيها سنة وسبعة أشهر»[1].

والذي يعنينا على كل حال هو أنه سافر الى بغداد ناضج الشباب فتي الرجولة ولكن لم سافر ؟ ما هو سبب خروجه وهجرته من وطنه المعرة ؟

فقد اختلف – مثلما تحدثنا– العلماء في تحديد دواعي اغترابه وهجرته لبلده فمنهم من يقول: «أنه أوذي في وقف له، فرحل الى بغداد متظلما من أمير حلب، لكن أبو العلاء لم يشر الى هذا الوقف قط فيما أطال من حديث عن رحلته »[2].

وهناك من رجّح بأنّ الرحلة كانت متعلقة بالمال، ولكن المؤرخ"ابن العديم" نفى هذا الأمر عنه بقوله: « ولم يرحل الى بغداد، لطلب دنيا ولا رفد واستشهد بأبيات أبي العلاء المعري:

أإخواننا بين الفـــرات وجلـــق   يد الله لاخبرتكم بمحـــال

أنبئكم أني على العهـــد ســـالم   ووجهي لما يبتذل بســـؤال

وأني تيممت العراق لغير مـــــا   تيممه غيلان عند بــــلال

فأصبحت محسودا بفضلي وحده   على بعد أنصاري وقلة مالي [3]

فهو يؤكد من خلا ل هذه الأبيات أنه من المحال أن يبتذل وجهه بسؤال.

فمهما كانت وجهات نظر المؤرخين واختلافهم حول أسباب رحيل المعري وابتعاده عن بلده إلا أننا بالتأكيد سوف نتفق في أمر ما يتمثل في أن الحياة التي كان يعيشها المعري في بلده المعرة هي التي جعلته يهجر بلده وينأى عنها،« فحين ثقلت عليه حياته في المعرة آثر أن يرحل الى بغداد »[4] فقد ضاقت عليه بلده وذلك لسببين هما:

1- « اضطراب الحياة السياسية في بلاد الشام، فالحدود الشمالية معرضة للخطر البيزنطي لاسيما بعد زوال حكم سيف الدولة الذي كان حامي تلك الثغور والمدافع ببطولة عنها، فلا أمل ولا استقرار.

2- طموح أبي العلاء الذي لا يُحَدْ وتصميمه على أن يبرهن للمبصرين والمتربعين على عرش الجاه والعلم أنه ليس دونهم كفاية ومقدرة هذا من جهة، ومن جهة ثانية لإرضاء نفسه وإقناعها بأن

---

[1]- خليل شرف الدين:في سبيل موسوعة فلسفية، أبو العلاء المعري مبصرين عميان، دار مكتبة الهلال ، (د،ط)، 1995، ص: 81.

[2]- عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص :115.

[3]- عائشة عبد الرحمن :مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص: 115.

[4]- عبد الله الطاوي:القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص: 344.

مثله لا يقعده عمي مادي، ثم إنّ بغداد كانت قطب الرحى كما يقولون تستقطب كل طالب مجد وشهرة وعلم ففيها تفاعلت الحضارات الثلاث وتمازجت جميع ثقافات الدنيا فمن لم يرها فكأنه ما رأى الدنيا ولا رأى الناس على حد قول بعضهم فكيف لا يزورها أبو العلاء » [1]

فإذن مهما كانت الأسباب والدواعي التي جعلته ينأى عن بلده، إلا أنه كان يكره الابتعاد عن وطنه الأم في حقيقة الأمر وهذا ما نلمسه في معاتبته لخاله حين هجر الشام وطنه الى المغرب يقول:

علام هجرت شرق الأرض حــتى   أتيت الغرب تختبر العبـــادا ؟
فإن تجد الديار كـــما أراد الــ   غريب فما الصديق كمــا أرادا
إذا الشعرى اليمانية استــنارت   فجدد للشآميــــة الـــودادا
فللشام الوفـــاء وإن ســواه   توافى منطقا غــدر اعتقـــادا
ظعنتْ لتستفيــــد أخــا وفــيا   وضيّعتْ القــديم المستفــــادا[2]

فهو يدعوه إلى العودة إلى الشام والتمسك به والوفاء له لأن العيش لن يطيب للإنسان إلا في وطنه وبين أهله وناسه وأصدقائه فمن هذه الأبيات يظهر أنّ هجرة المعري عن بلده لم يكن اختيارا وإنما كان اضطرارا نتيجة لتلك الظروف التي عاشها.

هكذا إذن كان لموضوع الاغتراب المكاني صدى واسع، فقد اكتسب طبيعته وأبعاده من خلال ظروف وواقع الشاعر المعيش وتفاعله معهما، فبالتالي انعكس على لغة ديوانيه وعلى فضائه المعجمي، ولكي أوضّح ذلك أكثر سوف أقف عند الجدول الإحصائي المستقى من ديواني المعري المتمثلين في سقط الزند إضافة الى اللزوميات .

---

[1]- خليل شرف الدين : في سبيل موسوعة فلسفية أبو العلاء المعري، ص: 82.

[2]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص 158- 159.

الكلمة	التكرار[*]
غربة	02
اغرب _ اغربة _ اغتراب	05
غريب _ متغربوه _ متغربيه	15
يتغرب _ تغرب _ مغرب	10
مغترب	01
غرباء	02
النوى _ نأت	05
الفراق _ التفرق	04
تباعد، بعيد، بعاد، بعد	08
غائب	02
نزح، تزح، نازح	03
هجران، هجير، هجر	06
اعتزال، اعتزل، أعزل	06
عزل، معزول، تعزل	04
معزل	02
ارتحل، ارتحال، يرتحل، مرتحل	04
توديع-أودّع-التّوديعا	03

يبيّن لنا هذا الجدول أغلب الكلمات التي تدور في الحقل الدلالي لموضوع الاغتراب المكاني في ديوانيه، فنجده هنا يستعمل لفظة غربة ومشتقاتها التي تدور في فضائها المعجمي مثل: النوى ، الفراق، البعد، البعاد، الاعتزال والارتحال....إلخ من الكلمات التي لها نفس المعنى مع لفظة غربة، والتي استعملت في مواضيع مختلفة ومتباينة، وهو بصدد المدح، أو الوصف، أو التغزل أوالرثاء ...الخ من الأغراض، وكأن تلك الكلمات تفرض نفسها فرضا على الشاعر فيفك عقالها لكي يستريح من الضغط الذي يولده له الاغتراب.

[*]– التكرار هنا يقتصر على الكلمة ضمن موضوع الغربة المكانية فقط.

فلو جئنا لنحصي لفظة (غربة) مع كل مشتقاهما: اغتراب، غريب، مغترب، اغترب، اغرب وغيرها، لوجدناها ترددت (35)مرة في شعر المعري و من هنا تصبح هذه اللفظة مع من يدخل في حقلها اادلالي أكثر تكرارا بين ألفاظ المجموعة .

فهي مفردة صاحبة شحنة عاطفية، تحمل في مدلولاتها طابع والأسى وتثور الأشجان بمجرد سماعها.

إننا عندما نلقي نظرة على الكلمات التي تنتظم وفق معجم الاغتراب المكاني،وانطلاقامن الجدول وبالاعتماد على الإحصاء نجد أن منها ما يتخللها مد مثل اغتراب، فراق، اعتزال، ارتحال، نوى، بعاد هجران، وهذا المد يسمح بإخراج قدر كبير من الأحزان والآلام والآهات بما يشبه التأوه والتوجع أما النسبة المتبقية فنجد بعض ألفاظها على وزن اسم فاعل من مثل: غربة، بعد وبعضها على وزن اسم فاعل مثل غائب، نازح.اضافة الى وجود بعض الألفاظ ساكنة الوسط مثل غربة،بُعد.

فهذا إذن عن موضوع الاغتراب المكاني عند المعري الذي تفرّع الى موضوعات فرعية أخرى كالحنين الى الوطن والحنين الى بغداد ،وهذا ما سوف أوضّحه .

2- تجليات الشوق والحنين في شعر المعري:

لقد أخذ مصطلح الحنين تعريفات جمة في المعجمات والكتب العربية فنجده مثلا يعني في القاموس المحيط: « الشوق وشدة البكاء والطرب، أو صوت الطرب عن حزن أو فرح »[1].

أما في مختار الصحاح للرازي فهو: « الشوق أيضا وتوقان النفس »[2] فهذا عن مصطلح الحنين، أما عن الشعر المتصل بهذا الموضوع، فيعتبر لونا شعريا كغيره من الألوان والأغراض الأخرى التي ظهرت في الأدب العربي كالرثاء والغزل والوصف والهجاء والحكمة والمدح وغيره من المواضيع التي عرفت في شعرنا العربي.

وقد حاول بعض الدارسين يجملوا بعضا أن يحملوا بعض من ملامحه العامة التي تميزه عن غيره من الألوان وهذا ما يتجلى في كلام **(وهب رومية)** إذ يصفه بأنه: « شعر وجداني عذب رقيق، يتوهج بالشوق ويفيض بالمشاعر الإنسانية الأصيلة ويمور بالعاطفة الصادقة، شعر مفعم بحزن إنساني شفيف، فيه صفاء الدمع وحرارته، ورقة الحب وانكساره وقسوة الحزن وصفاؤه ولهفة المشتاق الخائب، وصبوة العاشق المحزون الذي لا يستطيع أن يتوب عن الشوق، ولا يقوى على التحمل بالصبر شعر تخالطه مرارة إنسانية عميقة، أو بوح نفسي شفاف كقطعة من الماس يستبطن الذات

---

[1]- الفيروز أبادي: القاموس المحيط والقابوس الوسيط، www.al-eman.com

[2]- الرازي: مختار الصحاح، مادة (حنن).

فيصور أحاسيسها وانفعالاتها وانكساراتها، وخيباتها فتبرز فيه لحظة الضعف الإنساني بكل فتنتها وبهائها » [1].

فإذن الحنين وانطلاقا من هذا القول يقطر شوقا، ويمتاز بالعذوبة والرقة والصدق العاطفي، كما نجده يخيم عليه الحزن والإغراق فيه والشفافية والصفاء في إظهار الأحاسيس والانفعالات وتصويرها، وسوف نتأمل هذا اللون في شعر أبي العلاء المعري، ولنتتبع تجليات الشوق والحنين فيه:

أ- الحنين إلى الوطن (المعرة):

إنّ كلمة الوطن كغيرها من الكلمات التي تناولها الباحثون وتعقبوها بالدراسة،فإذا ما بحثنا عنها في المعاجم العربية نجدها تعني في لسان العرب معاني عديدة، «فالوطن هو المترل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر، مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها.

ومواطن مكة: مواقفها وهو من ذلك وطن بالمكان وأوطن أقام وأوطنه اتخذه وطنا، يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها؛ أي اتخذتها وطنا وكذلك الإتطان، وهو افتعال منه غير: أما المواطن فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له، كقولك: إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن فادع الله لي ولإخواني، وتوطين النفس على الشيء: كالتمهيد، وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها عليه فتحملت وذلت عليه، وقيل: وطّن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها »[2].

أما في "أساس البلاغة" للزمخشري فكلمة « وطن هي: كل يحب وطنه وأوطانه وموطنه، والإبل تحن إلى أوطانها، وأوطن الأرض ووطنها وتوطنها واستوطنها، ومن المجاز: هذه أوطان الغنم لمرا بضها »[3].

أما في القاموس المحيط للفيروز أبادي فكلمة « وطن تعني: محركة ويسكن: مترل الإقامة، ومربط البقر والغنم، ج أوطان، ووطن به يطن وأوطن: أقام، وأوطنه ووطنه واستوطنه: اتخذه وطنا»[4].

---

(1)- وهب رومية:شعرنا القديم والنقد الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، مارس 1996، ع207، ص 163:.

(2)- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، طبعة جديدة، مادة(وطن) .

(3)- الزمخشري:أساس البلاغة، مادة(وطن).

(4)- الفيروز آبادي:القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 2005، مادة (وطن).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك ألفاظا في اللغة العربية تؤدي المعنى نفسه لكلمة وطن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مغاني « وهي المواضع التي كان بها أهلوها »[1] ، والأرض: « التي عليها الناس »[2] ومعهد وهو في لسان العرب:«الموضع كنت عهدته أو عهدت هوى لك أو كنت تعهد به شيئا والجميع المعاهد »[3] .

لقد فطر الإنسان على حب مسقط رأسه والمكان الذي ولد وترعرع فيه يقول تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[4] .

فقد ظهر مفهوم الوطن ومنذ القديم وتطور عبر العصور وهذا ما تعكسه مختلف أشعار الشعراء، حيث كانت نزعة الحنين إلى الوطن شائعة عندهم، فهاهو أحدهم يحن ويشتاق إلى وطنه يقول:

أيا أتلات القاع من بطن توضح — حنـــيني الى أطلالكن طويل
أيا أثلات القاع قد مل صحبتي — مسيري، فهل في ظلكن مقيل
ويا أثلاث القاع قلبي موكـــل — بكنّ وجدوى خيركن قليل
ألا هل إلى شمّ الخزامى ونظرة — إلى قرقرى قبل الممات سبيل
فأشرب من ماء الحجيلاء شربة — يداوي بها قبل الممات عليل[5] .

ويعدّ أبو العلاء المعري نموذجا في هذا المضمار، إذ تجلت عاطفة الشوق والحنين في شعره تجاه وطنه بصورة واضحة وهذا ما سوف أبيّنه لاحقا.

وبالرغم من أن أبا العلاء المعري أوصى خاله بعدم التخلي عن وطنه مثلما ذكرنا سابقا إلا أنه هاجر إلى بغداد تاركا وراءه الشام ولكنه « كان حين زار العراق شديد الحزن على المعرة لا يسليه عنها الكرخ وما فيه من ماء عذب، وكان بعده عن أهله وإصفار يده من المال وعزة نفسه عن سؤال

[1]- ابن منظو: لسان العرب، مادة (غنا).
[2]- ابن منظور:لسان العرب، ، مادة (أرض) .
[3]- ابن منظور:لسان العرب، مادة (عهد).
[4]- سورة النساء / 66.
[5]- محمد مصطفى أبو شوارب:جماليات النص الشعري قراءة في أمالي القالي دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2005، ص :60.

الناس تضاعف في قلبه هذا الحزن، وتذكي في نفسه هذا الأسى، فأنشأ في ذلك قصيدتين من خير ما حوى سقط الزند» [1] .

يقول في الأولى:

وكم همّ نِضْوَ أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حبسه بعقال[2] .

ويقول:

فيا برق!ليس الكرخ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليال[3] .

فهو لا شأن له بالكرخ وبغداد، وإنما هو من المعرة التي لطالما حن إليها وتشوق لرؤيتها والعودة إليها أثناء إقامته ببغداد يقول:

طربن لضوء البارق المتعـــــالي ببغداد، وهنا، مالهن ومالي

سمتْ نحوه الأبصار حتى كأنهـــا بناريه من هنا وثمّ صوالي

إذا طال عنها سرها لو رؤوسها تمد إليه في رؤوس عــوال[4] .

فهو يقول بأنّ الأبصار سمتْ نحو البارق من جهتي الشام والعراق فحدّقت به كما يحدّق المصطلون بالنار وثنى النار باعتبار ما يرى من البرق من ناحية الشام ومن ناحية بغداد، ويقول كلما ابتعد هذا البارق نحو الشام ضمنت الإبل لو تقطع رؤوسها وترفع إليه على صدور الرماح فهنا إشارة إلى شدة حنينها لوطنها.

فمن شدة شوقه إلى وطنه زاره طيفها في المنام يقول:

حملت، من الشامين، أطيب جرعة وأنزرها، والقوم بالقفر ضلال[5] .

فقد تمنى وهو بالكرخ أن يحمل إليه البرق ولو قطرة من ماء المعرة يروي بها ظمأه يقول:

فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال[6]

ويقول:

وماء بلادي كان أنجع مشربا ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال[1] .

---

[1]– طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 44.

[2]– طه حسين:المجموعة الكاملة، ص: 159.

[3]– أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :240.

[4]– أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

[5]– أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 243.

[6]– سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 130، وأ العلاء المعري:سقط الزند، ص: 248.

ونلاحظ أنّ ماء المعرة الذي يتشوّق إليه ويتمناه ما هو إلّا ماء آبار لا يقاس الى ما في دجلة والفرات من ماء عذب يقول :

أإخواننا بين الفــرات وجلــق ... يد الله لا خبّرتكــم بمحــال
أنبئكم أني على العهــد سالــم ... ووجهي لما يتبــذل بســؤال
وأني تيممت العــراق لغيرمــا ... تيممه غيلان عنــد بـــلال
فأصبحت محمودا بفضلي وحده ... على بعد أنصاري وقلة مــالي [2]
ندمت على أرض العواصم ،بعدما ... غدوت بها في السوم غيرمغــال

ولأبي العلاء المعري قصيدة أخرى رائعة في الحنين إلى أهله ووطنه، يبدو فيها مشتاقا ،ومتلهفا إلى العودة للقاء أهله وتراب وطنه قال فيها:

تمنيت أن الخمــر حلت لنشــوة ... تجهلني كيف اطمأنــت بي الحــال
فأذهل أني بالعــراق على شفــا ... رذيُّ الأماني، لا أنيــس ولامــــال
مقل من الأهلين :يســر وأســرة ... كفى حزنا بين مشــت وإقـــلال
طويت الصبى طي السجل وزارني ... زمان له بالشيب، حكم، وإسجــال
متى سألت بغـــداد، عنيَّ وأهلــها ... فإني عن أهــل العواصــم ســآل
إذاجُنّ ليلي ُجُـــنّ لـــبي وزائـــد ... خفوق فــؤادي كلما خفـــق الآل
فيا وطـــني! إن فاتني بـــك سابـــق ... من الدهر فلينعم لساكنك البــــال
فإن أستطع في الحشر آتك زائــرا ؛ ... وهيهات لي يوم القيامــة أشغــال[3]

إنّه يحس وهو في العراق بغربة موحشة، ووحدة قاتلة فلا أهل ولا أصحاب يستأنس بهم ولا مال يستعين به في ديار الغربة، فهو أكثر تعاسة وهو بعيد عن المعرة التي قضى فيها طفولته، لذلك نجده مصمما على أنه متى أتيحت له الفرصة بالعودة إليها لعاد دون أي تفكير وإليها دون مكان آخر في العالم.

والآن نصل إلى هاته الجداول التي نتتبّع فيها اطراد الموضوع الفرعي –الشّوق والحنين الى الوطن– معجميا من خلال ديوانيه سقط الزند واللزوميات .

الكلمة	التكرار

الكلمة	التكرار

[1]– أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص : 240

[2]– طه حسين :المجموعة الكاملة ،ص :159-160،و أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :242.

[3]– سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ،ص130.

وطن	02
أوطان	06
الشام	07
المعرة	02
حلب	01

أرض	193
بلاد، بلد	48

الكلمة	التكرار
مترل	16
دار	06
مغاني	04

ما لوحظ - عموما – أنّ المعري استعمل الكلمات التي تدل على بقعة واسعة من الأرض ، مثل: أرض ، بلد، بلاد، مغاني وغيرها، وربما يكمن استعماله هذا على مسحة تجديدية عنده أو لتطور مفهوم الوطن في العصر العباسي، وكلمة (أرض) هي الأكثر تواترا ضمن هذه المجموعات وذلك راجع الى أنّ الأرض مقدسة لدى الإنسان وبينهما علاقة وطيدة ففيها مسكنه ومأواه وفيهارزقه وعمله.

ب– الحنين إلى بغداد:

بغداد هي مدينة من بين المدن التي زارها العديد من الكتّاب والشعراء نظرا لمكانتها المرموقة، ولما حظيت به من علم وثقافة وفن، فكان الكثير من المتعطشين لها يتجهون إليها لينهلوا من ثقافتها وعلمها، ومالها وكل من يذهب إليها يتعلق بها بالرغم من الصعوبات الجمة التي تظهر في البداية نتيجة النوى والبعد ومفارقة الخلان والأصحاب والأهل ، فيصبح كل من يفارقها يركبه الندم طول حياته عليها.

ومن بين الذين جزعوا لفراق بغداد «القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الملكي. فقد نبا به المقام ببغداد، فخرج يريد مصر وخرج معه أهلها يودعونه، فأخذوا يتوجعون لفراقه فقال والله لو وجدت عندكم في كل يوم مدامن الباقلا ما رافقتكم ثم أنشد يقول :

سلام على بغداد من كل مترل — وحق لها مني السلام المضاعف
فوالله فارقتهـــا عن قلي لهــــا — وإني بشطي جانبيها لعـــارف
ولكنّها ضاقت عليّ برحبـــــها — ولم تكن الأرزاق فيهاتساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنـــوه — وأخلاقه تنـــأى بـــه وتخالف

وكأن بغداد في ذلك العصر كانت تفيض منها تلك العين القصصية التي لا يشرب منها شارب إلا كلف بقربها» [1] .

وإضافة إلى القاضي بن نصر الملكي الذي حزن على بغداد حين فارقها نجد أبا العلاء المعري الذي ومن دون شك لحقته آلام الفرقة والحسرة على بغداد بالرغم من أنه كان يحس فيها بالغربة والنوى والوحشة والوحدة، فكان دائما تواقا لرؤية بلده المعرة يحدوه أمل بالعودة إليها في أول فرصة تسنح له، فهذا الشوق العارم لوطنه المعرة وهذا الألم والكآبة واليأس الذي كان يشعر به المعري وهو بعيد عن أهله ووطنه سرعان ما رجع من جديد حين عاد إلى وطنه متذكرا بغداد .

فذابت نفسه حسرة لفراق بغداد وأهلها، فهو إذن « طامح إلى بغداد إن كان في المعرة وهو مشوق إلى المعرة إن كان في بغداد ثم هو محزون على بغداد إن عاد إلى المعرة، وقد صور المتنبي هذه الخصلة تصويرا رائعا في بيته المشهور:

خلقتُ ألوفا لو رجعت إلى الصبا ... لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وصور أبو العلاء نفسه هذه الخصلة تصويرا رائعا في شعره الذي بكى فيه الشام حين كان في العراق، والذي ندم فيه على العراق حين عاد إلى الشام»[2].

فعبر عن هذا الإحساس بأشعار رقيقة حفظها ديوانه سقط الزند يقول:

أودعكم يا أهل بغداد والحشـــا ... على زفرات ما ينين مـــن اللـــذع
وداع ضـــنى لم يستقـــل وإنمـــا ... على أنهم قومي وبنهـــم ربـــع
ألا زودوني شربـــة ،ولـــو أننـــي ... قدرت ،إذان أفنيتُ دجلة بالجـــرع
وما الفصحاء الصيد والبدو دارهـــا ... بأفصح قولا مـــن إمانكم الوكـــع
أدرتم مقالا فـــي الجـــدال بألســـن ... خلقـــن فجـــانين المضـــرة للنفـــع
سأعرض إن ناجيت من غيركم، فتى ... وأجعل زوا من بنـــاتي في سمعـــي
أظن الليـــالي وهي خـــون غـــوادر ... بردي الى بغداد ضيقـــة الـــدرع
وكان إختياري أن أموت لديكـــم ... حميدا فما ألفيت ذلـــك في الوســـع
فليت حمامي ُحُمّ لي في بلادكـــم ... وجالت رمامي في رياحكـــم المِسْـــع[3]

ويقول:

[1]- طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 48- 49.

[2]- طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه، ص: 80- 81.

[3]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 263، 267.

نبي من الغربان ليس على شرع   يخبّرنا أن الشعوب إلى صدْع
أصدّقه في مرية وقــد امترت   صحابة موسى يعد آياته التسع[1]

فهذه المقاطع خير دليل على أنّ المعري حزن على بغداد أثناء وداعه لها حين فارقها.
ويقول أيضا:

فدونكم خفض الحيــاة فإننـــا   نصبنا المطايا بالفلاة على القطع
تعجلت إن لم أثن جهدي عليكم   سحاب الرزايا هي صائبة الوقع[2] .

كما نلمح وداعه لها في فقصيدة أنشدها وهو بمدينة السلام تهنئه بمولود لصديقه أبي القاسم التنوخي فقال:

ولولا ما تكلفنـــا الليـــالي   لطال القول واتصل الـــروي
إذا نأت، العراق بنـــا المطـــايا   فلا كـــنا ولا كـــان المطـــي
على الدنيا الســلام، فما حيـــاة   إذا فـــارقتكـــم، إلا نعـــي[3]

« فقد شعر هنا بموت الحياة لفراق بغداد، فذكر النعي في مولد الحياة وهو يهنيء بمولود»[4] .
ويحدثنا أبو العلاء أنّ سببين اثنين صرفاه عن المدينة التي كان عازما على أن يقيم فيها ، أحدهما الفقر والآخر مرض أمه، وهذا ما بيّنه في هذه الأبيات التي بعث بها إلى أبي القاسم التنوخي:

أثارني عنكم أمران: والـــدة   لم ألقها، وثراء عاد مسفـــوتا
أحياهما الله عصر البين ثم قضـى   قبل الإياب إلى الذخرين أن موت
لولا رجاء لقائيها لما تبعـــتْ   عنسي دليلا كسر الغمد إصليـــتا[5]

فنتيجة لتلك الأسباب وقبل رحيله إلى المعرة متجها إليها من بغداد، قال قصيدة في صديقه (أبي علي النهاوندي) فجاءت نشيج وداع وأنينا وحيرة وحزنا على فراقه المحتوم يقول:

كفى بشحوب أوجهنا دليـــلا   على إزماعنا عنــك الرحيـــلا
أبت صنفا النواعــب من نــياق   وطير، أن نقيــم وأن نقيـــلا
تأملنا الزمـــان غـــما وجـــدنا   إلى طيب الحيـــاة بـــه سبيـــلا

---

(1)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 260.
(2)- طه حسين: المجموعة الكاملة، ص :162- 163.
(3)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :259.
(4)- عائشة عبد الرحمان: مع أبي العلاء رحلة حياته، ص: 140.
(5)- ينظر طه حسين: أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص :42،و أبوالعلاء المعري : سقط الزند، ص: 296- 297

يفجعنا ابــن دأبــة بابــن انــس　　　نفارقه فلا تبــع الحمـــــولا
كلفنا بالعـــراق ونحــــن شــرخ　　　فلم نلملــم بـــه إلا كهـــولا
وردنا ماء دجلـــة خـــير مــــاء　　　وزرنا أشرف الشجــر النخيــلا
وزلنــا بالغليــــل ومــا اشتفينــا　　　وغاية كــل شـــيء أن يـــزولا[1].

فجاء بذلك الر حيل بعدما ألف بغداد وأهلها، فعز عليه مفارقتهم متمنيا الاجتماع بهم مرة ثانية:

سَقِيًا لدجلة والدنــيا مفرقـــة　　　حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا
وبعدها لا أريد الشرب من نهــر　　　كأنما أنا من أصحاب طالـــوتا[*]
بت الزمان حبالي من حبالكـــم　　　أعزز علي بكون الوصل مبتــوتا
ذم الوليد ولم أذمــم جواركـــم　　　فقال ما أنصفت بغـــداد حوشــيتا
فإن لقيت وليدا والنــوى قـــذف　　　يوم القيامـــة ولم أعدمــــه تبكيــتا
أعد من صلواتي حفــظ عهدكـــم　　　إن الصـــلاة كتــاب كان موقــوتا[2]

ويقول في موضع آخر مبينا حزنه عليها:

يالهف نفسي على أنّي رجعــت إلى　　　هذي البلاد ولم أهلــك ببغـــداذا
إذا رأيــت أمــــورا لا توافقـــني　　　قلت الإياب الى الأوطــان أدى ذا[3]

فحبه الكبير لبغداد وأهلها جعله يعمد إلى ذكرها ويحن إلى من تركهم هناك من صفوة الأصحاب، فيقول في قصيدة أرسلها إلى صديقه (أبي القاسم بن الحسن التنوخي):

يا عارضا راح تحدوه بوارقــــه　　　للكرخ سلمت من غيث ونجيتا .
لنا ببغداد من هــوى تحيتـــــه　　　فإن تحملــتها عنـــا فحييــــتا
يا ابن المحسن! ما أُنسيتَ مكرمــة　　　فاذكر مودتنا إنْ كنت أُنسيـــتا[4].

كما نلتمس حنينه لأيام الود التي عاشها مع أقرانه وأصحابه في بغداد من خلال رسالته التي رد بها على صديق له في بغداد، فكتب يذكّره بالأيّام الحلوة حين كان المعري بمترله (بالقطيعة) على شط دجلة:

---

[1]- أبو العلاء:سقط الزند، ص: 269، 272.

[*] – يشير إلى الآية الكريمة: فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ...." البقرة /249

[2]- أبو العلاء:سقط الزند، ص:296-297.

[3]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 271.

[4]- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 295.

أذاكر أنت عصرا مر عنـــــدك لي فليس مثلي بناس ذلـــك العصـــرا
أيام واصلتـــني ودا وتكرمـــــــة وبالقطيعة داري تحضـــر النهـــرا
والآن أشرح أمري غير معتمـــــد فيه الإطالة، كيمـــا تعلـــم الخبــــرا
مد الزمـــان وأشوتـــني حوادثـــــه حتى مللــــــت وذمـــت نفسي العمرا
وحلتُ كلي ســـوى شيب تجـــاوزني ولم يبيض على طـــول المـــدى الشَّعـــرا
جنيت ذنبا وألهى خاطـــري وســـــن عشـــرين حـــولا، فلما نبه اعتـــــذرا [1]

فإذن كان يحمل في أعماقه شوقا كبيرا لبغداد وأهل بغداد، فظن أنه نسيهم على ممر الحقب نتيجة تجافيهم وبعده عنهم إلا أنه سرعان ما تحركت وهاجت مشاعره اتجاههم لما عرف برسالة صديقه.

وبعد هذه اللمحة التي وظفنا فيها حنين المعري إلى بغداد بلد العلم والثقافة نحاول أن نحصي في جدول كالمعتاد، عدد الكلمات التي تصب في هذا الموضوع من خلال ديوانه سقط الزند واللزوميات.

الكلمة	التكرار
بغداد	03
العراق	10
الكرخ	03
الزوراء	01
تكريت	01
دجلة	01
الفرات	04

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنه ذكر بغداد في ديوانيه وذكر مختلف المدن فيها من تكريت إلى الزّوراء والعراق ودجلة والفرات، وهي كلها أسماء مدن بالعراق، كما نلاحظ أيضا أنه عمد إلى تكرار اسم العراق (10)مرات أكثر من أسماء المدن الأخرى، ربما لكونها عاصمة المدن الأخرى وتليها بغداد في المرتبة الثانية إذ ذكرها (3)مرات.

والشيء الملاحظ أيضا أنه عمد إلى ذكر بغداد والعراق أكثر من وطنه المعرة إذ لم يذكره إلا مرتين بخلاف العراق.

[1]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :315.

3- طرق قهر الاغتراب عند المعري:

لقد أصبح واضحا – بعد كل ما سبق – من أنّ الشاعر أبا العلاء المعري، قاسى ويلات الاغتراب فأجبرته معاناته الشديدة على محاولة إيجاد وسائل تنسيه همومه وأحزانه وتخفف بها شعوره بالاغتراب سواء الذي ينشأ نتيجة انتقاله من مكان إلى آخر أو الذي ينشأ نتيجة الانفصال بينه وبين ذاته ومجتمعه وقد اتجه إلى طريقين لقهر اغترابه أو التخفيف منه باتا واضحين :

أ– العزلة:

إذ حثّ على التفرد والانعزال عن الناس يقول:

إن صح عقلك فالتفرد نعمـــــة   ونوى الأوانس غاية الإيـــــناس[1] .

ففي التوحد وقاية من الاختلاط ودناياه يقول:

إذا انفـــرد الفتى أمنت عليـــــه   دنايا ليس يؤمنـــها الخـــــلاط[2] .

ويقول في موضع آخر من الديوان:

الحكم لله فالبث مفـــردا أبــــدا   ولا تكن بصنوف الناس مختلطا[3] .

« لذلك نجده لزم بيته، فلبث تسعا وأربعين سنة في محبسه بالمعرة لم يغادر إلا مرة واحدة لم تتكرر حين حمله قومه على الخروج ليشفع لهم لدى " أسد الدولة " صالح بن مرداس صاحب حلب»[4]،فهو دائم الجلوس في بيته لا يبرحه إلّا نادرا.

« وقد دفعته إلى هذه العزلة أسباب كثيرة، أولها هذه الغريزة التي ذكرها ودل عليها شعره، ونثره، ومنها ذهاب بصره فإنه حين فقد عينيه جهل كثيرا من آداب الناس في حفلاتهم ومواضعاتهم في أنديتهم ومجالسهم ،وهو–كما قدّمنا– شديد الحياء،عزيز النّفس فكان يكره أن يخطئ ما ألف النّاس فيكون منهم مكان السخرية والاستهزاء، أو مكان العفو والمغفرة أو مكان الشفقة عليه والرثاء، فآثر أن يتجنب عشرتهم ما استطاع ثم كان فقده أباه وأمه وشدة فقره وسوء معاملة الناس له، فقوى ذلك كله في نفسه هذا الميل»[5]فهذه الأمور كلّها عزّزت من وحدته وعزلته الى جانب فشله في الإقامة

---

(1)– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 483.

(2)– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، :ص 509.

(3)– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 512.

(4)– عائشة عبد الرحمان: مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص: 175.

(5)– طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 52- 53.

ببغداد ممّا اضطره إلى الإقامة بمعرة النعمان تلك التي لا تقاس إلى بغداد لإصفارها من العلم وخلوها من العلماء [1].

ففي التفرد والعزلة راحة نفسية وهذا ما جعله يختارها ويظهر ذلك في قوله:

في الوحدة الراحة العظمى فأحي بها قلبا وفي الكون بين الناس أثقال[2] .

وقد إختار المعري العزلة ليطهر نفسه من مجالسة المنافقين فاسمعه يقول:

تخير، فأمّا وحدة مثل ميتـــة وأما جليسا في الحياة، منافق[3]

فإذن لزوم بيته كان من بين السجون التي فرضها المعري على نفسه فهو يقول:

أراني في الثلاثة من سجـــوني فلا تسأل عن الخــبر النبيـــث
لفقدي ناظري، ولزوم بيـــتي وكون النفس في الجسد الخبيــث[4]

«ولكن هذه العزلة لم تكن ميسورة كما شاء أبو العلاء، فالتف حوله الطلاب واشتغل بالتعليم والتأليف، فما باختياره كان يلقى زواره فاقتحموا عليه عزلته فشغلوه وشغلوا به على كره منه»[5].

فعزلته جعلته يتفرّغ لأشياء كالتأليف والتدريس إذ بلغ عدد هذه المؤلفات العشرات من الكتب والرسائل والدّواوين كما شغل نفسه بتّسبيح وتمجيد الله وهذا ما يتبيّن من قول المعري :«لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت أن أتوفّر على تسبيح اللّه وتحميده إلّا أن أضطرّ الى غير ذلك فأمليت أشياء...وهي على ضروب مختلفة منها ما هو في الزهد والعضات وتمجيد اللّه سبحانه وتعالى من المنظوم والمنثور»[6].

وثاني وسيلة اتبعها المعري لقهر الاغتراب هي:

ب- الزهد: زهد في الحياة التي أرقته فكان يتمنى الرحيل عنها لو كان الأمر باختياره وعدم البقاء فيها يقول:

دعالي بالحياة أخـــو وداد رويدك إنما تدعو عليّـــا
وما كان البقاء لي اختيـــارا لو أن الأمر مردود إليّـــا[7]

---

(1)- ينظرطه حسين: المجموعة الكاملة، ص: 167.
(2)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 619.
(3)- جعفر خريباني: أبو العلاء المعري رهين المحبسين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص :51.
(4)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 167 .
(5)- جعفر خريباني: أبو العلاء المعري رهين المحبسين، ص :52 .
(6)-طه حسين :تعريف القدماء بأبي العلاء ،الدّار القومية للطباعة والنّشر ،القاهرة ،1965 ، ص :38، 101.
(7)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 873.

فقد كره الدنيا وهجاها في ديوانيه، فتمثّلها غولا ودار شرور وغيرها من النعوت التي ألصقها بها، فهو يقول:

دنياك دار شرور لا سرور بها   وليس يدري أخوها كيف يحترس[1] .

ويقول عن الدنيا بعدما خبرها بأنها مليئة بأجناس دنيئة، ويعمها الشر من كل حدب و صوب، ولا يحق للإنسان أن يعيش فيها فهو ظالم إن فعل ذلك:

قد فاضت الدنيا بأدناســـــها   على براياها وأجناسهـــــا

والشر في العالم حتى الــــتي   مكسبها من فضل عرناسها

وكل حي فوقها ظـــــــالم   وما بها أظلم من نـاســـــها[2]

لذلك أوصى بالابتعاد عن هؤلاء الأنجاس لأن في البعد عنهم طهارة يقول:

طهارة مثلي في التباعد عنكـــم   وقربكم يجني همومي وأدناســـي

عداوة الحمق أعفى من صداقتكم   فابعد عن الناس تأمن شر الناس

قد آنسوني بإيحاشي إذا بعـــــدوا   وأوحشوني في قرب بإينـــاس[3]

« فقد كان راغبا في الدنيا ثم رغب عنها وكان قادرا في الحالتين ..كان إنسانيا بين الأناسي من أجل إنسانيته كيلا تضيع أو تهان »[4] .

ولكنه انصرف عن كل زخارف الدنيا وزينتها، داعيا إلى التقشف بمثل قوله:

لا تشرفن بدنيا عنك معرضـــه   فما التشرف بالدنيا هو الشرف[5] .

فزهد لمجرد معرفتها ومعرفة الناس فيها.

وزهدني في الخلق معرفتي بهـــم   وعلمي بأن العالمين هبـــاء[6]

« فكان بذلك يأبى على نفسه طيب الطعام، ولين الثياب، ولا يقبل إلا ما خشن منها يقول:

يكفيك طعم جنسه واحـــــد   أطعمه ضرت بتجنيســـها

والثوب في أرضك من وحشها   يغنيك عن أثواب تنسيها[1]

---

[1]- أبو العلاء المعري:اللزوميات ج2، ص: 456.

[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص. 484.

[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص 469،475.

[4]-خليل شرف الدين: في سبيل موسوعة فلسفية، ص: 90.

[5]-شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، الطبعة الثالثة، (د،ت) ،ص :113.

[6]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 36.

ونرى بعض المعاصرين يقرأ قوله في اللزوميات:

وقال الفارسون حليف زهد وأخطأت الظنون بما فرسنـــه
ولم أعرض عن اللـــذات إلا لأنّ خيارها عني خنسنــــــه [2]

« فيظن أنه كان على مذهب أبيقور الذي حرم على نفسه اللذات لما يعقبها من آلام ترجحها وعاش معيشة زهد وقناعة، وليس في بيت أبي العلاء ما يفهم من هذا الزهد الأبيقوري المتفلسف، إنما فيهما ما عرف به من تواضع شديد، فهو لا يريد أن يدل على الناس من حوله بزهده ولذلك يزعم أنه زهد لا حرية فيه»[3].

وقد عرف المعري بأشياء ثلاثة هي البسمة والحنان والحب، أراد أن يغمر الناس ومن هو موجود أمامه، فلم يجد أحدا، لا أبا ولا أما ولا أصدقاء إضافة إلى الظلمة التي كان يعيشها في هذا الوجود، فأفرغ هذه الأشياء في الحيوانات والطير والحشرات وأديم الأرض، والإنسان المستضعف الذي – حسب رأيه- خسر نفسه ووجوده مرتين، مرة يوم ولد من دون حول له ولا قوة، ومرة سلبت قوته من هذا الوجود.

فلذلك نجده لا يأكل لحما ولا بيضا ولا سمكا ولا عسلا، فقد اقتصر على النباتات رحمة بالحيوانات وفي ذلك يقول:

غدوت مريض العقل والرأي فالقنى لتعلم أنباء الأمور الصحائـــح
فلا تأكلن ما أخرج المـــاء ظالمــــا ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
ولا بيض أُمَّـــــات أرادت صريحـــه لأطفالها دون الغواني الصـــرائح
ودع ضرب النحل الذي بكـــرت له كواسب من أزهار نبت فـــوائح[4]

فهو يدعو إلى أن يدع السمك في الماء لا يخرجه ظلما، كما يدعوه إلى الإمتناع عن أكل لحوم الذبائح، وأكل البيض الذي تريده أمهاته لتكوين أولادها فلا يأخذه لنفسه أو للجميلات من النساء وينهاه عن أكل عسل النحل، فقد عانت النحلة وهي تجمعه من الأزهار ذوات الرائحة العطرة فنراه

---

[1]-شوقي ضيف :فصول في الشعر ونقده ، ص:113، و أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 485.
[2]-أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :795 - 796.
[3]-شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص: 113.
[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 197.

قانعا بالمال الزهيد، فكان بذلك « غنيا عن المال لا به »[1] فما أراد أن يجمع مالا ولا جاها ولا ملكا ولا مجدا يقول:

من مذهبي ألا أشد بفضة قد حي ولا أصغي لشرب معوج
لكن أقضي مدتي بتقنـــع يغني، وأفرح باليســـير الأروج
هذا ولست أود أني قائم بالملك في ثوبي أغر متـــــوج[2]

«ويقترن زهد أبي العلاء، أو هذا الأصل الأول من أصول فلسفته بأصل ثان هو تشاؤم واسع، تشاؤم يمتد ظلاله بل ظلماته على جميع مناحي الحياة وقد رأيناه يعرض بعض مناحيها السياسية والاجتماعية عرضا قائما، ليس فيه أي بريق من الأمل بل فيه اليأس المضني الذي اجتاح الأمة وجعلها تنغمس انغماسا في حمأة الشر »[3] .

فيندفع في تشاؤم شديد السواد فيقول:

ألا إنما الدنيا نحوس لأهلها فما في زمان أتت فيه سعود[4]

« فقد غربت من سماء الدنيا كل كواكب السعد ونجومه، ولم يبق إلا نجوم النحس مطلة على الوجود وكأن أحدا لا يستطيع إنقاذ الناس من كوارث هذا النحس وشرها المستطير، ومن أجل هذه الكوارث يمتنع أبو العلاء عن الزواج، وأن يرزق الولد ويشعر أن ذلك جناية خطيرة أن يجلب إلى عالم السوء والنحس الذي يعيشه مولودا يعرض لشروره»[5] .

فيطلب من الناس جميعا أن يمتنعوا مثله على الزواج والتناسل حتى تتوقف وتتحطم الحياة البشرية يقول:

لو أن كل نفوس الناس رائية كرأى نفس تناءت عن خزاياها
وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها[6]

فهو ينصح النّاس بإخلاص بأن يتّبعوا سياسته فيكفوا عن الزواج حتّى لا يأتي الأولاد؛ فتمتلئَ الدّنيا بهم فيسود الشّر ويعمّ أرجاء العالم.

وخلاصة القول أنّ أبا العلاء المعري عانى من الاغتراب بأنواعه المختلفة وشمل الاغتراب الزماني والاغتراب الاجتماعي والسياسي وكذا الاغتراب المكاني، وهي كلها أشكال وجدت صدى واسعا

(1)-خليل شرف الدين:في سبيل موسوعة فلسفية، ص :93 .
(2)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 183.
(3)- شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص :114.
(4)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 211.
(5)- شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص :115 .
(6)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص : 857.

وكبيرا لدى شاعرنا أبو العلاء ، وقد اتجه لقهر اغترابه إلى طرق عدة منها العزلة والانفراد وكذا الزهد في الحياة فلقد أصبح واضحا بعد كل ما تم تناوله أنّ الاغتراب هو الموضوع الرئيسي في شعر أبي العلاء فهو بمترلة المحرك لشاعريته، وقد تمخضت عنه تلك الموضوعات الفرعية التي عمدنا إلى ذكرها

وتفصيل الكلام فيها، أما الآن فسوف نورد مخططا تقريبيا يجسد التشجير الموضوعاتي لموضوع الاغتراب في شعر المعري.

التشجير الموضوعاتي:

هذا رسم بياني يوضح أهم الموضوعات الفرعية المنبثقة عن الموضوع الرئيسي وهو الاغتراب عند هذا الشاعر الفذ – أبو العلاء المعري – الذي ومن دون شك أنّ ظروفه التي مربها وحياته المؤلمة التي عاشها ومنذ الصغر مبتدأة بعماه، وموت أبيه وأمه، جعلته في تشاؤم كبير من هذه الحياة التي لم يجد فيها ماكان يتمناه لا خيرا ولا سعادة، ولا ناسا طيبين، هذا ما جعله يحاول الابتعاد عنها فأحس بالاغتراب في أحيان كثيرة فكان هذا الأخير هو الموضوع الرئيسي في شعره، وقد أفرز بدوره عدة موضوعات فرعية كما ولّدت بعض هذه الفروع فروعا أخرى.

فالموضوع الفرعي الأول هو الاغتراب الزماني الذي يتم داخل المجتمع وبين أوساط الناس، وقد أفرز موضوعين فرعيين آخرين هما الشاعر وأحداث الزمان ومن بين الكلمات الدالة والمجسدة لهذا الموضوع نجد مثلا: دهر، زمن، زمان، ليالي، أيام، خطوب وغيرها كما تمخض عن الاغتراب الزماني موضوع فرعي ثان وهو الشاعر والموت الذي حددته ألفاظ متواجدة في ديوانيه سقط الزند واللزوميات ، وهي: الموت، المنون، الحمام، المنايا، المنية وغيرها.

أما الموضوع الفرعي الثاني لموضوع الاغتراب فهو الاغتراب الاجتماعي والسياسي، فالاغتراب الاجتماعي تمخض عنه موضوعان هما الاغتراب عن الناس المتمثلين في أهل الدين وأهل الأدب والشعراء إضافة إلى المتصوفة والنساء ومن الألفاظ الدالة عليه هو: رياء، مارد، مغرور وغيرها.

والثاني هو الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وتدور في فضائه المعجمي: غواة: لؤماء، أدناس، ذئاب وغيرها.

أما الموضوع الفرعي الثالث وهو الاغتراب السياسي فقد حاولت إدراجه مع موضوع الاغتراب الاجتماعي في فصل واحد، لأن لهما علاقة ببعضهما بالرغم من أن كل موضوع من هذين الموضوعين يشكل نوعا من أنواع الاغتراب قائما بذاته، والعلاقة تكمن في أن الاغتراب السياسي يعني انفصالا عن طبقات الحكام والأمراء الذين يمثلون الحياة السياسية التي هي جزء من المجتمع، فالمجتمع يدخل في ضمنه كل ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليد وأعراف الشعب وهم العامة من الناس إضافة إلى الحكام الذين يمثلون الطبقة العليا في المجتمع ،فأي انسلاخ وانعزال عن السياسة والحكم يعني انفصالا عن المجتمع الذي تمثله هاته الهيئة الحاكمة.

وقد دلت على موضوع الاغتراب السياسي بعض الكلمات من مثل السوء، الظلم، مكوس، غرامات.

والملاحظ هنا أن الموضوعات كلها – تقريبا – متداخلة ماعدا الاغتراب المكاني فنجد مثلا أحداث الزمان متداخلة مع الاغتراب الاجتماعي ومع العزلة وغيرها والاغتراب الاجتماعي متداخل مع الاغتراب السياسي وهكذا ....

أمّا الموضوع الفرعي الرابع فيتمثل في الاغتراب المكاني والذي أفرزالاغتراب عن الوطن متجسدا في الغربة، والاغتراب، والمغترب، والبعد، وغيرها من الألفاظ الدالة عليه.

وموضوع الحنين الذي هو من مخلفات الاغتراب المكاني يتفرع إلى موضوعين هما الحنين إلى الوطن ومفردات معجمه هي الوطن، البلاد، المعرة، الأرض، والموضوع الفرعي الثاني هو الحنين إلى بغداد والمفردات الدالة عليه هي بغداد، العراق، الكرخ، الفرات، ...الخ.

إضافة الى تلك الموضوعات الفرعية نجد طرق قهر الاغتراب ومن بين هذه الوسائل التي استعملها المعري العزلة إذ استثمرها في تحصيل العلم و التأليف والتّدريس إضافة الى زهده في هذه الدنيا التي كانت في نظره كلها مشقة وتعب لذلك لجأ الى هذا النّوع من الوسائل وقد عبّر عنهما المعري مستعملا مختلف الألفاظ مثل الوحدة، الانفراد، الانعزال وغيرها من الكلمات التي تعبّر وتوحي عن هذا الموضوع الفرعي.

إذن هذه هي الموضوعات التي تكوّن موضوع الاغتراب عند المعري وقد استخلصتْ من ديواني المعري –سقط الزند واللزوميات–فهذه الموضوعات التي أدّت الى اغتراب الشّاعر زمانيا واجتماعيا وسياسيا ومكانيا هي موضوعات تثبت مدى إحساسه العميق بالاغتراب والانعزال.

توطئــة:

لقد كانت دراستي في الفصول السابقة منصبة حول موضوع الاغتراب لدى أبي العلاء المعري وعلاقته بواقعه ووسطه الاجتماعي والسياسي والثقافي، أما الآن فسنتناول العناصرالفنية التي استخدمها المعري، لكي يعبّر عن غربته وحنينه، والهدف من ذلك هو محاولة معرفة « كيفية سيطرة الأديب أو الفنان على عناصر لغته واستثمار خصائص الألفاظ، وما توحي به من ارتباطات ومن قرائن »[1] خاصة « وأن اللغة هي عنصر من أهم العناصر في العمل الإبداعي »[2] فوجودها ضروري في أيّ عملية إبداعية وذلك لتوصيل ماهو في ذهن المتكلّم، « وهي ليست جاهزة إنما تتكون، وهي في تكونها لا نموذج لها من خارج عنصرها المحدد، لكنها بوصفها شكلا تحاول إعادة تشكيل اللغة »[3] ونظرا لأهميتها خضعت لتعريف وتحديد مجالاتها من طرف الكثير من الأدباء والنقاد، « فعرفها بذلك القدماء على أنها أداة للتعبير »[4] وانطلاقا من هذا القول يتبين أنّ الألفاظ باتت وسائل لتجميد هذه اللغة وهذا ما نستشفه في قول " خليل الحاوي " « إنّ اللغة التي ترسخ فيها تراث شعري تقررت أنماطه وأشكاله تميل إلى الجمود فتمتنع عن الخلق وتقاوم التطور، ويكون على الشاعر الذي يتشوق إلى الأصالة والتجديد أن يشيح عن اللغة التقليدية ويحاول خلق لغة مستمدة من طبيعة تجاربه وتجارب الإنسان في عصره »[5].

فحتى يكون الإنسان غير منفصل عن واقعه والوجود الذي هو فيه يجب عليه خلق لغة تعبر عن هذا الأخير – الوجود – بكلمة تدل عليه أو أكثر من كلمة وهذا ما دعا إليه (يوسف الخال) حيث قال :«

اللغة ليست صندوقا نحتفظ به في خزائننا ونستخرج منه الألفاظ لكي نضعها علامة على الأشياء والأفكار وليست الألفاظ منفصلة عن الوجود حتى يصح أن نضع الشيء الواحد أكثر من كلمة تدل عليه» [6] فالشكل الفني للغة يختلف من شاعر لآخر ومن تجربة لأخرى إذ تعكس واقعه وفكره ونفسيته. وفي الحقيقة هذه العناصر وعناصر أخرى متكاملة فيما بينها وتعمل مع بعض،أمّا فصلها فقد اقتضت إليه ضرورة البحث.

---

(1)- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص :43.

(2)- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة، (د، ط)، 2001، ص: 415.

(3)- إلياس خوري: الذاكرة المفقودة، دراسات نقدية، شؤون فلسطينية، بيروت، ط1، 1982، ص: 220.

(4)- عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل ،بيروت ،ط1 ،1980، ص:333.

(5)- عز الدين إسماعيل: قضايا الشعر العربي المعاصر، دراسات وشهادات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1988، ص: 195.

(6)- يوسف الخال: الحداثة في الشعر ، دار الطليعة، بيروت، (د، ط، د، ت)، ص: 19.

وسنحاول في هذا الفصل التعرف على الطريقة التي وظف بها المعري أدوات لغته للتعبير عن اغترابه.

- وكيف استطاعت صوره التعبير عن غربته وحنينه وشوقه ؟.

-وعلى الكيفية التي سخر بها العناصر الإيقاعية للألفاظ لحساب معانيه ؟

-وكيف أثرهذا الموضوع -الاغتراب- على الموسيقى الشعرية؟

أ- المعجم الشعري:

عندما نحاول أن نتوقف عند المعجم الشعري يعني أنّنا نحاول إلقاء نظرة على الخصائص العامّة للألفاظ الأساسية التي يعتمد عليها المعري للتّعبير عن اغترابه،«خاصة وأنّ مسألة الألفاظ تعدّ من المسائل التي تثار دائما في نقد الشعر»[1].

ونظرا لأهمية هذا العنصر فإنّنا سنحاول تتبعه في ديوانيه سقط الزند واللزوميات لمعرفة ما إن كان موضوع الاغتراب يستأثر بلغة خاصة به في شعر المعري.

والمتمعن في ألفاظ المعري التي سبقت في ديوانيه يجدها غامضة نوعا ما إذا ما قارناها بمن قبله وأقرانه من مثل المتنبي الذي جاء أسلوبه واضحا بعكس أسلوب المعري.

فغموض ألفاظه وقوة أسلوبه وجودة سبكه تدلنا على أنّ هذا الزمن الذي عاش فيه المعري هو زمن التصنع في الأدب شعره ونثره.

وهي أكبر دليل على أنّ المعري يملك قدرات هائلة في مجال الأدب مما جعله يتحدى بها النّاس، حيث قال مفتخرا:

وإنّي وإن كنت الأخـــير زمـــــانه لآت بما لم تستطعه الأوائــــــل [2]

والمعجم الشعري لموضوع الاغتراب يستمد مادته اللغوية من « القرآن الكريم الذي قرأه على يد مشاهير الحفظة والدارسين في عصره»[3] كما يستمد مادته من الحديث الشريف والشعر العربي القديم والأمثال والتاريخ وغيرها.

واستعمالات معجم الاغتراب في شعر المعري تدور في محاور رئيسة تتمثل في مختلف الموضوعات الفرعية التي تناولناها سابقا كالاغتراب الزماني، والاغتراب الاجتماعي والاغتراب المكاني وغيرها.

(1)- شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، ط8، (د، ت)، ص : 195، 198.

(2)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 106.

(3)- علي شلق: أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، ص: 13.

وقد استقى المعري بعض ألفاظه ومعانيه من القرآن الكريم ويظهر ذلك عموما في قوله الذي أشار به الى موسى فقال:

كنت موسى وافتـــــك بنت شعيب غير أن ليس فيكـــم من فقيـــر[1]

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ربِّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾[2] .

وقوله:

لست الكليم وفي دار مباركــة حللت والجانب الغربي نوديتــــا[3]

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ إلى قوله في نفس السورة : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[4]

كما نجده يقول:

وألقى الموت، لم تحد المطـــايا بحاجاتي ولم تجـــف الجيــــاد[5]

فهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[6]

فها هو المعري يقول وهو في صدد الحديث عن الأرض:

وإذا الأرض وهي غبراء صـــارت من دم الطعن وردة كالدهـــان[7]

---

(1)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 54.

(2)-القصص/24.

(3)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 296.

(4)- القصص/30،44.

(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:65.

(6)-سورة الحشر/6.

(7)-أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 94.

فهي مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [1]

وللألفاظ الدينية حظ كذلك في موضوع الاغتراب من ذلك قوله:

إذا الحرباء أظهر دين كسرى فصلى، والنهار أخو الصيام
وأذّنت الجنادب في ضحاها أذانا غير منتظر الإمـــــام[2]

ويقول:

فصلاة الفتاة بالحمد والإخـــ لاص تجزى عن يونس وبراءة [3]

كما نجده يقول:

وصلى ثم أذّن مستقيـــــلا وقبل صلاته وجب الآذان[4]

ويقول:

وعند ضياء الفجر صليت الضحى وعند غروب الشمس صليت العصر
وما يحمل التقصير في كل موطـــن ولا كل مفروض الصلاة له قصـــر[5]

وقد اقتبس إضافة إلى القرآن الكريم من الحديث النبوي الشريف فنجده يقول:

«**قال اعمل لأخراك شروى من يموت غـــدا وادأب لدنياك فعل الهابـــر البـــاقي**

فهو مقتبس من قول رسول الله الكريم { احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا}»[6].

---

[1]- سورة الرحمن/37.

[2]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 278.

[3]- أبو العلاء المعري:اللزوميات،ج1،ص :49.

[4]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 49.

[5]- أبو العلاء المعري:اللزوميات،ج1،ص :245.

[6]- أبو العلاء المعري:اللزوميات،ج2،ص :580.

ويمكن أن نتبين إقباله على الشعر القديم وتقيده بتقاليده الفنية الموروثة وسيره على خطى السابقين من خلال هاته القراءات التي سوف نوضحها.

فقد استقى المعري بعض ألفاظه ومعانيه من الشعراء أمثال امرؤ القيس والمسيب بن علس والمتنبي وأبو تمام وغيرهم كثير ممن سوف ندرجهم في هذا المجال.

ففي البداية نحاول أن نوضح استقاء أبي العلاء المعري للألفاظ المتداولة في أشعار غيره من الشعراء السابقين وهذا ما يظهر في قوله:

ولو أنّا جُـــْزنا إلى شربهـــا النـــهـــ ي عنينـــا بكـــل أصهـــب عـــان(*)

فلفظة (عان) مأخوذة من قول إمرئ القيس

أُنُفٍ كلون دم الغـــزال معتّـــــق من خمر عانه أم كـــروم َشبَـــام[1]

ويقول آخذا عن المسيب بن علس لفظة القعقاع:

إنّ الهدايا كرامـــات لآخذهـــــا إن كنّ لسن لإسراف وإطمـــا ع

ولا هدية عندي غير ما حملـــــت عن المسيِّب، أرواح لقعقـــــا ع[2]

كما أنه أخذ عن تأبط شرا لفظتي الشت والطباق؟، حيث قال المعري:

لم تنصفي، غذيت أطيب مطعـــــم وغذاؤهـــن الشت والطبــــاق

فقد ظهرت في قول الشاعر الجاهلي تأبط شرا:

كأنما حثحثوا حصـــا قوادمـــــــه أم أم خشف بذي شت وطُبَّـــاق[3]

نجده حين كان يرثي أمه يستعمل لفظتين " لدريد " للدلالة على عمق المأساة فيقول:

سمعت نعيهـــا صمي صمـــــام وإن قال العـــــواذل لا همـــــام[4]

فهاته الكلمة أخذت من قول (دريد):

متى كان الملوك لكم قطينا عليّ ولاية صمي صمـــــام

فأدوانا ناقتي لا تأكلــــوها ولما يأتكـــم صمي صمـــــام[5]

(*)- عان : قريبة من الفرات ذكرت في شعر امرئ القيس.

(1)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 95.

(2)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 152.

(3)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 195.

(4)- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 273.

(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 273.

فأخذه للألفاظ ومن هذا النوع كثير وظاهر في شعره وديوانيه وهذا ما نلمحه أيضا في قوله:

إذا رفعوا كلامهـــم بمـــدح فلفظي في مواطنـــه رسيـــس

أخذ من قول ذي الرمة (لفظة رسيس):

إذا غير النأي المحبين لم يكــــد رسيس الهوى من حب مية يبرح[1]

كما أنه لم يهمل من خلال قوله عبارة (ألا يا سلمى)

أموت به واحــدا مفـــردا وأدفن في الأرض لم تظلـــم
وأبعد عن قائــل لا سلمــت وآخر قال ألا يا سلمـــى

والتي استقاها من قول هذا الشاعر الذي يقول في بيته:

ألا يا سلمى يا دار مي على البلـــى ولازال منهلا بجرعائك القطـــر[2]

وكما أخذ أبو العلاء المعري عن الشعراء بعض الألفاظ، نجده يأخذ المعاني والأفكار منهم وهذا ما يظهر في قوله حين شبه الليل بالبحر قال:

كأنّ دجاه الهجر، والصّبح موعد بوصل وضوء الفجر حب مماطل
قطعت به بحـــرا يعبّ عبابــــه وليس له إلا التبلـــج، ساحـــل

فالبيت الأخير يشبه قول امرئ القيس حين قال:

وليل كموج البحــر أرخى سدولــــه عليّ بأنواع الهموم ليبتلـــي[3]

ويقول شاعر آخر:

يغطي عيوب المرء كثرة مالـــــه يصدق فيما قال وهو كـــذوب
ويرزي بعقل المرء قلـــة مالـــه يحمفه الأقـــوام وهو لبيـــب[4]

فأخذ عنه المعري هذا المعنى ويظهر في قوله:

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص : 462 .

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :763.

(3)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 109.

(4)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :462.

أيوجد في الورى نفر طهـــــارى أم الأقوام كلهـــم رجــــوس
بنات العمّ تأباها النصـــــــارى وبالأخوات أعرست المـــــجوس
كنت الفقير فخطئت لك صيّب ورزقت إثراء فقيـــل مقرطـــــس(1)

كما أنه لم يكتف بأخذ الألفاظ والمعاني فقط عن الشعراء بل تعدى إلى توظيف أسمائهم وألقابهم والاستشهاد بمقاطع من أشعارهم ويظهر ذلك في ذكره **للحطيئة** فقال:

قال دنياك أم قد أجاب مليكهـــا فيها من الأبناء دعوة جـــرول(*)(2)

ويقول مستعملا امرأ القيس في قصائده:

ألم تر لامرئ القيس بن حجـــــر بكى متشبها بفتى حــــذام (3)

ويقول عنه في موضع آخر:

أين امــرؤ القيـــــس والعـــذارى إذ مـــال من تحتـــه الغبيـــــط(4)

ويقول أيضا:

كأنّ بريقا لامرئ القيـــس لامعـــا أغـــص جميع الشائمين بـــريق(5)

ويقول عنه:

مضى الواقف الكندي والسقط غابر وصاحت ديـــار الحي أين لبيـــــد
تولى ابن حجـــر لا يعـــود لشأنـــه وطالت ليال والمعــــالم بيـــــد(6)

والكندي هو امرؤ القيس وقد أشار إلى مطلع معلقته بقوله:

بنازلة سقط العقيق بمثلــــها دعا أدمع الكندي في الدُّمن السقــط

فهنا الشطر الثاني من بيت المعري مأخوذ من قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومــــنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومــل(7)

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :462.
(*)- جرول هو الحطيئة الشاعر المعروف بالهجاء.
(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 676.
(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 756
(4)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :507.
(5)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 579.
(6)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 213.
(7)- أبو العلاء المعري: سقط الزند ،ص: 298.

كما لم ينس المعري شعراء المعلقات فراح يوظفهم في شعره ويشخص أهم مميزاهم فيقول عن لبيد بن ربيعة:

أين لبيــــد وأين أسرتـــــه تزخر عند الضحى مسابلـــها

وهو القائل أيضا عن عنترة العبسي:

هل ترى ناعيا كعنتـــرة العبســـي يبكي على منازل عبلــــة [1]

كما ذكر (ابن العبد) حيث قال:

وتعهـــد بن العبـــد بُرقة ثَهمـــــد فمضى وشيكا واستقر الإبـــرق[2]

ونجده في مجال أخر يذكر السليك والشنفرى :

تدبّ فـــإن وجـــدتْ خلســـــة فيا للسليــــك أو الشنفـــرى [3]

وبرغم اطّلاع المعري على الشعر الجاهلي وتأثره به إلّا أنه لم يكتف به لصقل موهبته وإثراء لغته بل التفت إلى الشعر الإسلامي والأموي والعباسي فأخذ بعض الألفاظ والمعاني من شعراء هذين العصرين من ذلك قول المعري:

ومضطغن عليك وليس يجـــــدي ولا يُعدي على الشمس اضطغـــــان

فالحاقد عليك في نظر المعري كالحاقد على الشمس لا يضرها ولا ينقص منها شيئا وهذا قريب من قول المتنبي:

من كـــان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعــه شيء ولا يضــــع[4]

وقد قال في موضع آخر متأثرا بقول المتنبي حين مدح الحسين بن إسحاق التنوخي:

وسجايا محمد أعجـــزت في الــــ وصف، لطف الأفكـــار والأذهـــــان

فهو شبيه بقول المتنبي حين قال عن ابن إسحاق:

لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمـــه فأبدع حتى جل عن دقة الفهـــــم [5]

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 650.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 565.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 58.

(4)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :48.

(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 94.

وقد ظهر اقتباسه واضحا للمعنى في شعر أبي تمام، فيقول المعري مشبها أكابر الناس بالذرى وأصاغرهم بالأخفاف:

تحامى الرزايا كل خف ومنسم وتلقى رداهن الذرى والكواهل

فهو شبيه في المعنى بقول أبي تمام حين قال:

إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبأن بالرثم[1]

وقد تحدث عن الفرزدق فقال عنه:

ما خلتُ همّاما[*] لو إتباعها يفر من خوف أبي جهضم [2]

كما قد يضمن شعره عبارات أو ألفاظ بعينها لشاعر معين دون أن يتصرف فيها ولكنه قد يأتي بها في سياق مختلف غير السياق الذي سيقت فيه، ودليل ذلك ذكره للعجاج وبعض ألفاظه التي قالها في شعره فيقول:

هل سمسم، فيما مضى عالم بو قفة العجاج في سمسم

فهو هنا يشير إلى قول العجاج:

يا دار سلمى يا سلمى ثم اسلمي بسمسم أو عن يمين سمسم [3]

ويشير المعري إلى شاعر آخر من الشعراء المعروفين بالنقائض ألا وهو (جرير) فيقول ذاكرا إياه في مطلع هاته القصيدة:

ليست كزعم جرير، بل لها مسك يرفض عنه ذكيّ المسك مفتوحا

فهنا إشارة إلى قول جرير:

لقد قوست أم البعيث ولم تزل تزاحم علجا صادريي على كفل
ترى العيس الحولي جونا بكوعها لها مسكا في غير عاج ولا ذبل[4]

كما أشار إلى الوليد بن عبيد البحتري وهو من شعراء العصر العباسي حيث قال: وقال الوليد:

النبع ليس بمثمر وأخطأ، سرب الوحش من ثمر النبع[5]

---

(1)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 110.

(*) - همام هو الفرزدق.

(2)- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 330.

(3)- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 331.

(4)- أبو العلاء المعري :سقط الزند، ص: 294.

(5)- أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 263.

إضافة إلى أسماء الذين استقى منهم النحو والعروض والأوزان.

تولى سيبويـــــه وجـــــاش سيب من الأيــام فاختــل الخليــل[1]

ويقول:

ما النحو والشعــر والكلام ومــــا مرقش والمسيب بن علــس[2]

ولأن العصر العباسي الذي عاش فيه أبو العلاء المعري هو عصر الحروب والصراعات وتكاثر الأحزاب والمذاهب، ظهر ذلك جليا في شعره حين كان يصور لنا أسماء أكبر المذاهب المنتشرة آنذاك فقال:

وعنوا فقــــال الشافعي ومالـــــك وأبو حنيفة قبـــــل والخصـــــاف[3]

والمعري لا يستقي ألفاظه وعباراته من الشعر القديم فقط بل يستند إلى كلام العرب وأقوالهم وأمثالهم مثل قوله مبينا أن جعفر بن علي الذي رثاه هو مدفون قريب منهم ولكنه بعيد عنهم فاستدل باليد كدلالة على القرب مثلما كانت تفعل العرب، واستدل بالكوكب أيضا للدلالة على البعد فقال:

فبات أدنى من يــد بيننـــــا كأنــه الكوكـــــب في بعـــــده[4]

ويقول:

إذا لاح إيماض[*] سترت وجوهـــها كأني عمرو والمطــي سعـــــالي

فهو يشير هنا بهذا البيت إلى قصة عمرو بن يربوع الذي تزوج وحذّروه من البرق الذي غفل عنه في يوم ما، فلما رأته زوجته قالت هذا البيت:

أمسك بينك عمـــــرو إني آبـــــق برق على أرض السعـــالي آلـــــق[5]

فالبرق رمز لحنينها إلى وطنها، فسارت بذلك و لم يرها من بعد ذلك، كما أخذ عنهم قولهم للتعبير على الإنسان الذي لا يأتي إلا مرة واحدة يقول:

« وكأنّ الهلال يهوي الثريا فهما، للوداع، معتنقـــــان

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 623.

(2)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 489.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 546.

(4)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 206.

(*)- الإيماض: هو لمع البرق.

(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

فهو مأخوذ من قولهم: (ما يأتينا فلان إلا عدد القمر والثريا) و (إلاقران القمر الثريا) »[1].

ويقول:

«وإني لمُثْرٍ، يا ابن آخــر ليلـــــة وإنْ عزّ مــال، فالقنوع ثــــراء

(فيا ابن ليلة) يراد به الذم والتعيير، لأن العرب تعتقد أن الأمّ إذا حملت في آخر ليلة من طهرها قبل الحيض جاء ولدها مذموما وهو ما يسمى بالوُضع»[2].

كما اعتمد على بعض الأمثال التي قيلت في سالف الأزمان من مثل:

«لابد للحسنــــــاء من ذام، ولا ذام لنفسي غير ســـيء بختـــــها

فهو مأخوذ من المثل الذي يقول: (لا تعدم الحسناء ذاما)» [3]

ويقول:

«فوطئن أوكار الأنوق وروعت منـــــها وبات المهر ضيف الهيثــــــم

مستقى من أمثالهم: (أعز من بيض الأنوق) و (أبعد من بيض الأنوق)» [4]

كما استعملت العرب قديما لفظة (قتاد) كمثل يضرب في الأمر الصعب قال المعري:

رآك شوك قتاد ليـــس يمكتـــه ولو رآك غضيض النبت لا تبقلـــك[5]

كما لجأ إلى توظيف التاريخ مثلما نجده يقول موظفا التاريخ الإسلامي:

وعلى الدهر من دماء الشهيـــد دين علي ونجلـــه شاهـــدان

يا ابن مستعرض الصفوف ببـــدر ومبيد الجمـــوع من غطفـــان

أحد الخمسة الذين هم الأغــــــ راض في كل منطـــق والمعـــاني[6]

ويقول موظفا التاريخ العام:

---

[1]- أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 90.

[2]- أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 83.

[3]- أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص : 210 .

[4]- أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 71.

[5]- أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج2، ص: 607.

[6]-أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 92.

وما نأت القرابــة من رجــال أبوهــم يافث وأبوك ســـام[1]

فكما هو معروف يافث وسام أولاد نوح عليه السلام، ويافث هو أبو الأتراك والصقالبة ، أما سام فهو أبو العرب وفارس والروم.

ويقول:

وكما عاد أباد وكم ثمــود أتاها صالح ذات المــرار [2]

وقد عدّد إضافة إلى أسماء كل من قبيلة عاد وثمود، أسماء قبائل أخرى عربية وغير عربية كانت موجودة في القديم وهي على حدّ قوله:

هل فارس والروم والترك أو ربيعة أو مضر أو سبــأ
ناجية في عز أملاكـــها أن يظهر الدهر لها ما خبــأ[3]

ويقول:

لتذكر قضاعة أيّامــــها وتُزه بأملاكهــا حِمْيَـــر
فعامل كسرى على قريــة من الطّف، سيّدها المنــذر [4]

«ويقول مشيرا إلى تلك القصة التي ذكرت في التاريخ من أن موسى نبي الله وجه (يوشع بن نون) إلى أريحا فقتل الجبابرة وبقيت منهم بقية فخشى أن يحول الليل بينه وبينهم فدعا الله بأن يحبس عليهم الشمس ففعل فهو يقول مشيرا إليها:

ويوشع رد يوحا بعض يــوم وأنت متى سفرت رددت يوحا
فنال محبك الدارين فــورا وذاق عدوك الموت المريحــا »[5].

ويمكن القول أنّ أبا العلاء المعري قد عاد في تكوين معجمه الشعري وإثرائه إلى القرآن والتراث والتاريخ وعودته إليهم لا يعني نقصا في أسلوبه وقدراته ولا يطعن في شاعريته ولا يحطّ من قدره ما دام أنه يصوغ المعاني القديمة صياغة مبتكرة، ويوظف الألفاظ توظيفا جديدا.

[1]- أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج2، ص: 711.
[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 381.
[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 53.
[4]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 222.
[5]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :63.

و قد تميّز معجم المعري"بالتكرار" « فهو ظاهرة لغوية من حيث اعتماده في صوره البسيطة والمركبة على العلاقات التركيبية بين الكلمات والجمل، والمراد به هو إعادة ذكر حرف أو كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر أو مواضع متعددة الأحداث» [1].

ويظهر لنا تكرار اسم فعل الأمر في قوله:

هيهات هيهات هذا منطق كـــــذب　　في كل صقر زمان كلئن قطـــم[2]

أما تكرار كلمة بعينيها في البيت الواحد فيظهر في قوله:

فلو سمح الزمـــان بها لفنـــت　　ولو سمحت لفنّ بـــها الزمـــــان[3]

وقوله:

ويبدي لدنيا الفتى وجه ضاحـــك　　وما فتئت تبدي له وجه عابـــس[4]

ويقول:

إنّ دمعي نبع وما العود نبــــع　　وحوافي من مترل الهم ربـــــع[5]

فنلاحظ أنّ الشاعر قد كرر كلمة معينة في كل بيت، فنلمح في البيت الأول تكرار لفظة (الزمان) وفي البيت الثاني تكرار لفظة (وجه) وفي البيت الثالث تكرار لكلمة (نبع) وكل هذه التكرارات بمثابة نغمة تصور المشهد بكامله وتعبر عن جو القصيدة.

ويكون التكرار جملة نحو:

وإن كان غيث، فأعده عن بـــلاده　　وإن كان موت، فاسقها من زؤامه[6]

ونحو قوله أيضا:

وطال وقت علي ماض فغـــــادره　　بلا جهـــار ولا أثر ولا أثـــــر[7]

وقوله:

---

[1]- رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، (د، ط، د، ت)، ص: 211.

[2]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:710.

[3]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :46.

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :471.

[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات،ج2، ص :528.

[6]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 104.

[7]- أبو العلاء المعري: اللزوميات،ج1، ص :364.

لقد زارني طيف الخيـــال فهاجـــني فهل زاور هذي الإبل طيف الخيـــال[1]

ويكرر عدة كلمات في البيت:

فإني رأيت الحزن للحـــزن ماحيـــا كما خُط في القرطاس رسم على رســـم[2]

كما قد يكرر كلمة في عدة أبيات من مثل قوله:

كبرت فأصبحـــت للراشديـــن كبرت يعدّ لهـــدي دليـــــلا

كبرت فمازال هـــذا الزمـــان كبرت يجذ قليـــــلا قليـــــلا[3]

وقد يشمل التكرار عدة أبيات وأحسن مثال قوله:

عصـــر شتاء، وعصـــر قيـــظ وعيـــد فطر وعيـــد نحـــــر

ويـــوم نعمـــى، ويـــوم بـــؤس ونحـــن في خدعـــة وسحـــــر[4]

ويقول:

بشاشة أيام مضـــت وشبيبـــة بشاشة خانت أهلها وبشاش

وما زال هذا الدهر يثني جوامحا بلحم ويثني مقرما بخشـــاش[5]

وهكذا، فإنّ التكرار في أسلوب المعري ينطوي على أهمية إيحائية بالغة إذ يأتي به لتأكيد المعنى والإلحاح عليه.

وألاحظ من خلال تتبّعي لموضوع الاغتراب عند هذا الشاعر ميزة أخرى مـــن ميـــزات معجمـــه الشعري وهو استعماله الواسع لأدوات الاستفهام وذلك للإفصاح عن غربته وحالته الـــشعورية ؛منـــها صيغة الاستفهام: « فهي المعوّل عليها في شعر الغربة، وهي الأساس في البناء، إذ أن الشاعر المغترب يعاني مصيرا مجهولا بين هجرة، وسجن، ووطن ضائع، وقيم عربية إسلامية زائلة، ولا يدري سوى أنه يرسل ذلك الاختناق في شكل أسئلة حيرى، تنم عن عميق الإحساس بالغربة التي فرضت عليه...» [6] وقـــد وظفت هذه الأدوات لتؤدي معاني عديدة ومتنوّعة، وهذا ما سنحاول توضيحه.

يقول:

[1]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 231.

[2]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 171.

[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :651 .

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :370.

[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :491.

[6]- عمر بوقرورة : الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص: 233.

أخمسين قد أفنيتها ليس نافعـــي بتأخر يوم أن أعض على خمـــس [1]

ويقول:

أأصبح في الدنيا كمـــا هو عالم وأدخل نارا مثل قيصر أو كسرى [2]

ويقول في موضوع آخر مستفسرا عن الفراق والرحيل من الدنيا:

متى أفارق دنياي التي غــــدرت ويدرك اسمي في الأسمـــاء تطليـــس [3]

كما نجده يستفهم عن هذا الموت الذي هو بالتأكيد سوف يفكه من تلك المعيشة – بحسب رأيه – يقول:

أيفكني هذا الحمام تفضـــلا فالعيش أوثقني وشد رباطـــــا[4]

ويقول:

خاللت توديع الأصادق للنوى فمتى أودع خلي التوديـــعا [5]

ويقول أيضا:

وهل يحزن الدمع الغريب قدومه على قدم كادت من الليل تنهال [6]

ويقول مستفهما في أكثر من بيت:

أقول، وقد طـــال ليلـــي أما لشباب الدجى من مشيـــب؟
أقصت نسور نجوم السمـــاء فلـــم تستطع نهضة للمغيـــب؟ [7]

فهو هنا يستفهم بالأداة (أما) وغرضه الاستفسار عن الشباب الذي دام طويلا و لم يحن مشيبه.

كما نلاحظ في أشعار المعري ظاهرة أخرى وهي مزج التعجب بالاستفهام في أبيات القصيدة الواحدة وهذا ما يظهر في قوله:

بني غدر! هل ألفتم الحـــرب مُـــرّة وهل كُفّ طعن عنكـــم ونضال؟
وهل أظلمت سحم الليالي عليكـــم وما حان من شمس النهـــار زوال؟

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :467.
(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :62.
(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :459.
(4)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :513.
(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :309.
(6)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :245.
(7)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :127.

وهل طلعت، شُعث النواصي عوابسا رعال ترامى خلفهن رعـــال؟ (1)

ويقول:

فيا برق! ليس الكرخ داري، وإنّما رماني إليه الدهر منذ ليـــال

فهل فيك، من ماء المعرة قطـــرة تغيث بها ضمآن ليس بسـال؟ (2)

وقد استعمل الشاعر أداة الاستفهام (هل) والغرض منها هو النفي الإنكاري، فالشاعر مثلا في البيتين الأخيرين أراد أن يستفهم بعدما ذكّره البرق بوطنه المعرة عن ماء بلاده الذي في نظره لن يضاهيه أي ماء وفي أي بلاد.

ويقول مستفهما ومتعجبا من المرأة التي كرهته لمشيبه بالرغم من أنه لا ذنب له في هذا المشيب:

خبّريني! ماذا كرهت من الشيـــــب، فلا علم لي بذنب المشيب

أضياء النهار ، أم وضوح اللــــؤلؤ، أم كونه كثغر الحبيـــب؟ (3)

والآن يمكن تسطير ملاحظة مضمونها أنّ أساليب الاستفهام جاءت في أغلبها معبرة عن نزعة تشاؤمية قلقة من هذا الواقع الذي كان يعيشه المعري ومرد ذلك إلى غربته ومعاناته وحالة القلق التي كان يعيشها دائما، وقد لعب الحرفان "أ" و "هل" الدور الرئيسي في التعبير عن تلك المعاناة.

كما نجد اضافة الى هذه الخصائص خاصية أخرى تميّز معجم الاغتراب عند المعري وهو المزج بين هذا الموضوع وموضوعات أخرى؛ أي المزج بين الاغتراب والطبيعة والاغتراب والغـزل، والاغتـراب والرثاء وغيرها.

فمن جميل شعره الذي زاوج فيه بين الاغتراب والطبيعة قوله:

سرى برق المعرة بعـد وهـن فبات برامـــة يصف كـــلالا

شجا ركبا وأفـراسا وإبـــلا وزاد، فكان أن يشجو الرحـــالا

بها كانت جيادهـم مهـــارا وهم مُرْدا، وبزلهـم فصـــالا (4)

---

(1)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :215.

(2)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:240.

(3)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :412.

(4)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :28.

لقد أولى عناية فائقة للألفاظ إذ اتجه إلى الطبيعة وحرص على انتقاء كلمات قادرة على التعبير عن شوقه وحنينه في رقة وعذوبة، فلم يجد أكثر من البرق، والأفراس والإبل وهي ألفاظ سهلة ومتداولة ويقول دائما في هذا السياق:

وأبغضت فيك النخل، والنخل يانع وأعجبني من حبك الطلح والضال[1]

إلى أن قال:

إذا جُنّ ليـــلي جُنّ لبي، وزائـــــد خفوق فوائدي كلما حقـــق الآل
وماء بلادي كان أنجـــع مشربــــــا ولو أنّ ماء الكرخ صهباء جريـــال[2]

من يقرأ هذه الأبيات يحس بذلك التفاعل بين الشاعر والطبيعة والتي أثارت في نفسه كوامن الشوق والحنين إلى وطنه فنجده يوظف في هذه الأبيات مظاهر من الطبيعة كالنخل والطلح والليل والماء، وهي كلها مظاهر تعكس حنين الشاعر وشوقه إليها، فهي بمثابة معادلات موضوعية تذكر الشاعر بموطنه وبماء بلاده وبكل شيء فيها فهو جميل في نظره، والخاصية الأخرى التي سوف نتوقف عندها الآن هي المزج بين الاغتراب والغزل، وهذا الاتجاه قليل جدا في ديوانيه ، ذلك لأن المعري كان صادا عن النساء غير ميال إليهنّ بعيدا عن الحب والغزل.

ولكن وبرغم قلته في ديوانيه " سقط الزند و اللزوميات " إلا أنّنا سوف نورد مقطوعة مازج فيها بين الغزل وموضوع الغربة يقول:

سنح الغُراب لنا، فبتّ أعيفــــه خبرا، أمـــض من الحمام لطيفـــــــه
زعمت غوادي الطير أن لقاءهـــا بسْل، تنكّر، عنـــــدنا، معروفـــــته
ولقد ذكرتك يا أمامة بعدمـــــا نـــزل الدليـــل الى التـــراب، يسوفــه
والعيس تعلـــن بالحنين، إليكـــم ولغامـــــها، كالبرس طـــار نديفـــــه
فنسيـــت ما كلفتنيـــه وطالمـــا كلفتـــني مــــــا ضـــرني تكليفـــــه
وهواك عندي كالغنـــاء، لأنـــه حســـن لـــــدي ثقيلـــه وخفيفـــــه[3]

و الآن يمكن تسجيل بعض الخصائص والملامح التي ميّزت معجم الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، التي من بينها أنه يستمد مادته الشعرية وطاقاته التعبيرية من التراث الشعري المتمثل في القرآن الكريم

(1)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :243.
(2)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :247.
(3)- أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص :226- 227.

والحديث النبوي الشريف و شعر العرب وكلامهم إضافة الى الأمثال والتاريخ الإسلامي والعام، ولكن وبالرغم من أنه يقتبس منهم بعض الألفاظ والمعاني،والتي قد توحي -كما أسلفنا- إلى النقص في القدرة على التعبير إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينفي عنه الخيال الواسع والقدرة العجيبة على خلق وتوليد الألفاظ والصياغة الجيدة، والتنوع في الأساليب من خبري إلى إنشائي وهذا للتعبير عن غربته وحنينه.

وأسلوبه يمتاز بالغموض نوعا ما، كما طغى على شعره الصبغة التشاؤمية، وقد كان للواقع الذي عاشه المعري وحياته بمختلف مؤثراتها الدور البارز في إذكاء نار التشاؤم عنده مما انعكس على الألفاظ والعبارات التي كان يستعملها في شعره.

ب- الصورة الفنية:

لقد اعتبرت الصورة الفنية ثاني عنصر من عناصر التشكيل الفني، اعتمدها المعري للتعبير عن غربته وحنينه.

وهي «في اللّغة إحدى ظواهر الطبيعة»[1]، كما أنها « ثمرة الخيال ومقياسها أن تكون سريعة الانطباع شديدة الرسوخ في نفس السامع أو القارئ تنقله من مجرد الحقيقة إلى جوّ جديد ينفعل فيه مع صاحبها فتحرك خياله وتشرك مشاعره» [2].

فالصورة وثيقة الصلة بالخيال الذي يعمل على التأليف بين الأجزاء المختلفة التي تكونها وعن طريقه : « تنفذ الصورة إلى مخيلة المتلقي فتنطبع فيها بشكل معين وهيأة مخصوصة ناقلة إحساس الشاعر اتجاه الأشياء، وانفعاله بها وتفاعله معها»[3].

فالخيال له الدور الرئيسي في بناء الصورة الشعرية فهو إضافة إلى دوره في توحيد العناصر والأجزاء التي تكونها فإنه وسيلة يتم عن طريقه استحضار المدركات السابقة بعد أن غابت عن متناول الحس، ونظرا لأهميته حاولت التطرق إليه وشرحه ولو باختصار.

يقوم الخيال وفق التصور القديم على مقومين أساسيين هما العقلانية والحسية، أما المقوم الأول فيتعلق بالعقل الذي يتحكم في المخيلة ويوجهها وقت تكوين الصورة الشعرية حتى يجنبها مغبة الزلل والانحراف، وأما المقوم الثاني فيتعلق بأشكال وصور المدركات المحفوظة في الذاكرة بعد غيابها عن مجال

---

(1)- عبد الحميد هيمة : الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري ، إتحاد كتاب الجزائريين، ، الجزائر، ط1، 2003، ص: 22.

(2)- محمد الطيب محمد النادي :تاريخ الأدب والنصوص الأدبية ، مكتبة الوحدة العربية ، الجزائر (د، ط، د ، ت) ، ص : 336- 337.

(3)- الأخضر عيكوس : الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية ، مجلة الآداب، ع1، 1415 هـ / 1994م ، جامعة قسنطينة، ص: 77.

الإدراك المباشر [1]، وهذا ما يوضحه "باوند" بقوله: « هي تلك الحقائق التي تمثل مركبا من العقل والعاطفة في لحظة من لحظات الزمان»[2].

ويبدو أنّ الخيال وعلاقته بالصورة كان محل اهتمام الكثير من النقاد العرب وغير العرب، فمن النقاد العرب نجد جابر عصفور الذي يقول بأنه « القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك، فتعيد تشكيل المدركات، وتبني منها عالم متميز في جدته وتركيبه، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة، تذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة »[3].

أما الغربيون فقد حاولوا الوقوف عنده وتبيين أهميته من بينهم "وردز ورث" الذي يرى بأنه: « تلك القدرة الكيمياوية التي تمتزج مع العناصر المتباعة في أصلها والمختلفة كل الاختلاف، كي تصير مجموعا متآلفا منسجما »[4] ، وهو أنواع منها « الخيال الحسي وهو الذي ينتزع مادته من المحسوس والخيال التأملي الذي ينطلق من المحسوس إلى اللامحسوس. والخيال التحليلي الذي يذهب في العمق أكثر مما يذهب في الطول» [5].

إذن وبعد هذه الإطلالة السريعة حول الصورة والخيال التي تناولها النقاد على اختلاف المذاهب الأدبية، نجد أن تعريف " غنيمي هلال" لها هو أشمل تعريف؛ فهو يقول: « الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة في معناها الجزئي والكلي، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم من الصور الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحية والقصة »[6].

والآن بعد هذه الوقفة القصيرة والسريعة التي كانت حول الصورة الشعرية بصفة عامة سوف نحاول بعدها تتبعها في ديواني المعري ضمن موضوع الاغتراب على وجه التحديد لتقصي تجلياتها، ومعرفة الوسائل المستخدمة في تشكيلها والإحاطة بكيفية توظيفها في هذا المجال.

---

(1)- ينظر جابر عصفور:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص: 85.

(2)- عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، (د، ط، د، ت)، ص: 71.

(3)- جابر عصفور:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص: 13.

(4)- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص: 389.

(5)- السعيد الورقي:لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان (د، ظ) ، 1984، ص: 152.

(6)- محمد غنيمي هلال:النقد الأدبي الحديث، ص: 417.

والصورة الشعرية لها أوجه عديدة تعبر عنها وتوضحها كالتشبيه والاستعارة والكناية والطباق والجناس وغيرها من الأنواع التي تجسدها لنا،فهي تجمع بين الصّورة البيانية والصّورة البديعية.

فأوّل صورة نبيّنها هي الصورة التشبيهية التي إذا ما أسقطناها على موضوع الاغتراب لدى الشاعر نجدها كثيرة نوعا ما وهي تأتلف في مجملها وتعكس لنا معاناته النفسية وغربته الزمانية، فنجده تارة يشبه الليل وتارة أخرى الزمان والدنيا والأصدقاء والناس، وهي كلها ألفاظ دالة على الغربة وتصلح أن تكون صورا.

فقد شبه الزمان أو الدهر على نحو قوله:

الدّهر كالشاعر المقوي ونحن بـــــه مثل الفواصل مخفوض ومرفـــــوع[(1)]

فقد شبه الشاعر الدهر الذي كان فيما سبق من أهم الألفاظ الدالة على الاغتراب الزماني الذي استحوذ على عدد كبير من التكرارات في ديوانيه شبهه بشاعر استعمل الإقواء فيرفع روي هذا البيت تارة ويخفضه تارة أخرى، مثل الدهر والإنسان فيه لا يستقر على حال، ويقول عنه أيضا:

كــأنّ الــدهر بحــر نحن فيــه على خطر كركــاب السفيــن[(2)]

ويقول:

كأنّ خطوب الدهر بحر فمن يمت بفرط صداه فهو في اللج يسبــح[(3)]

ويقول:

وما العمر إلا كالبناء فــإن يــرد على حده فهو الرقيع المشيـــــد[(4)]

ولأن الشاعر تعمق في هاته الحياة ففهم خباياها وأسرارها استطاع أن يشبه لنا هاته الحياة بالنار وهي صورة تعكس مدى تمكن الشاعر وقدرته على التأليف بين الأجزاء فهو يقول:

وكالنار الحيـــاة فمن رمـــــاد أواخــرها وأولهــا دخـــــان[(5)]

فالحياة عنده لا ينتفع بأولها ولا بآخرها مثل النار التي لا ينتفع بدخانها في البداية ولا برمادها وإنما بوسطها، وهو هنا يشير إلى مرحلة الشباب فهي أحسن مرحلة يمر بها الإنسان بعكس الصبا والشيخوخة

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 526.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 822.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 189.

(4)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 208.

(5)- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 47.

ومثلما استعمل الشاعر أداة التشبيه (الكاف)أو (كأنّ) نجده يستعمل الأداة (مثل) في تشبيهه للدنيا ونعتها بمختلف النعوت يقول:

إن كانت الدنيا عروسا ترى فلتنصرف عنـــك بتعنيســـها
كالغول غالتـــك بتلوينهـــا بين نقديهـــا وتبنيسهــــا[1]

ويقول:

ودنياك مثل الإنـــاء الخبث وصاحبهـــا مثل كلب ولـــغ[2]

كما شبهها بالسراب بقوله:

دنياك مثل سراب إن ضننت بهـــا مـــاء فخدع وإن عضبا فتهويـــل[3]

ولأنه فهم حقيقة هذه الدنيا التي يعيش فيها أراد أن يبتعد وينأى عن الناس خاصة وأن احتكاكه بأهل زمانه جلب له المعاناة والأسى فقد شبه لنا الفتى المغترب مثل الشرارة بقوله:

مثل الفتى عند التغرب والنـــوى مثل الشرارة إن تفـــارق نارهـــا[4]

ويقول:

والخلّ كالمـــاء يبدي لي ضمائـــره مع الصفاء ويخفيهـــا مع الكـــدر[5]

فمعاشرته للناس في زمانه جعله يتأكد من أن الناس لا يؤتمن جانبهم لأنهم لا يظهرون ما يخفون، فهم مثلما قال:

والناس كالنار كانوا في نشاءتهـــم يستضوأ السقط منهما ثم ينتشـــر
والدهـــر كالربع لم يعلـــم بحالتـــه هل عند ذي الدار مـــن سكانها خبر[6]

كما نلاحظ أن المعري قد استعمل نوعا آخر من التشبيهات وهو التشبيه البليغ وذلك في قوله:

ظن الدجى فضة الأظفار كاســـرة والصبح نسرافما ينفـــك مـــزؤودا[7]

فقد شبه الظلام الحالك بالعقاب الكاسر بدون ذكر الأداة وشبّه الصبح بالنسر لإشتراكهما في اللون.

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 485.
(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 539.
(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 620.
(4)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 347.
(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 39.
(6)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص : 288.
(7)- أبو العلاء المعري: سقط الزند ، ص: 224.

ويقول أيضا:

أصاح هي الدنيـــا تشابـــه ميتـــة نحن حواليها الكـــلاب النوابـــح[1]

واعتماده على هذا النوع من التشبيه له ما يبرره، لأنّ : « حذف وجه الشبه والأداة يوهم بإتحاد الطرفين وعدم تفاضلهما، فبعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه المبالغة في قوة التشبيه إنما أن تذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه، وإلحاقه بالمشبه به، كما ذكر الوجه يفيد تقيد التشبيه وحصره في جهة واحدة»[2].

لقد توسع المعري في التشبيه وبرع فيه إلّا أنّ الاستعارة كانت أكثر استعمالا لأنّها في نظره أقدر على استيعاب حالته النفسية والتعبير عنها في كلام مختصر ومفهوم لذلك حازت على النصيب الأوفر .

والاستعارة هي :« تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه فهي من المجاز اللغوي »[3]، وقد تفطن النقاد القدماء لأهميتها البلاغية ووظيفتها في إيصال المعنى المراد تبليغه، فها هو القاضي الجرجاني يوحي بأن يعوّل عليها في « التوسع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر »[4] . أما النقاد اليونان فقد اعتبروا « أنّ امتلاك ناصية الاستعارة كان ولا يزال من أعظم الأشياء، لأنها الشيء الوحيد الذي لا يلقن، وهي أيضا سمة العبقرية الأصيلة »[5] .

فإذن الاستعارة ذات أهمية كبيرة تساعد في إيصال المعنى، وهي تعنى بنقل دلالة الألفاظ إلى غير ما وضعت له في الأصل، عن طريق تجريد المحسوسات، وتشخيص المجردات في كائنات حية تحس وتتحرك، وهي كلها توضح وتفصح عن المعنى المنشود وتصل إلى أعماق السامع وتؤثر فيه وهذا ما يفسره قول "أبي هلال العسكري" مبينا غرضها : « إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسن المعرض الذي يبرز فيه»[6] .

واستعارات المعري التي تصب في موضوع الاغتراب كلها تنصب حول الزمان والليل والدهر، والمنايا والأيام وغيرها من المواضيع والصور الاستعارية.

لننظر إليه و هو يتحدث عن المشيب :

---

(1)- أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج1، ص: 189.

(2)- عبد الحفيظ بولخراص :الغربة والحنين في شعر ابن حمديس الصّقلي ،رسالة ماجستير ،جامعة فرحات عبّاس، سطيف ،2005 ،ص :148.

(3)- مصطفى أمين وعلي الجازم: البلاغة الواضحة، دار المعرف، ط16، (د،ت)، ص: 77.

(4)- الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح أبو الفضل إبراهيم، علي البيجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بـيروت، (د، ط،د،ت)، ص : 428.

(5)- محمد مصطفى أبو الشوارب: جماليات النص الشعري، (قراءة في أمالي القالي) ، ص : 122.

(6)- أبو هلال العسكري: الصناعتين، الكتابة والشعر، حققه وضبط لغته: مقيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1989، ص: 295.

يكاد المشيب ينادي الغــوي و يحـــك أتعبتني بالمقـــص[1]

ويقول واصفا المنايا و سرعتها مصورا إيّاها وكأنها شخص يركض ركضا سريعا من أجل إحراز الهدف و الفوز :

و فــات ركـــض المنايـــــا ركــب القطيــب و بـــدوره[2]

أما الحجى عنده فهو بمنزلة إنسان يستطيع التكلم فيقول:

يقول الحجى هل لي إذا متّ راحـــة فإنّ عذابي في الحياة أليـــم[3]

فهو يصور لنا في هذا البيت مستعيرا صفة القول من الإنسان مطلقا إياها على العقل الذي كان يتساءل حول إذا ما كان سيستريح بعد الموت خاصة و انه يحس بالعذاب و المعاناة في هذه الحياة.

هذا و قد يبين الشاعر صورا جزئية و لكنها متكاملة فيما بينها و متآلفة تبرز لنا صورة كلية و شاملة عن الموضوع و يظهر هذا الشكل في قوله:

كأنّ الليل حاربها ففيهـــا هلال مثل ما إنعطفه السنـــان

ومن أم النجوم عليــه درع يحاذر أن يمزقــها الطعـــان[4]

هذا المشهد قائم على صور جزئية عند ضمها إلى بعضها البعض يتبدى لنا الليل وكأنه خشي من خيل الممدوح فأعد عدة لمحاربتها، فأشرع سنانا من الهلال، ولبس درعا من النجوم ، وهي كلها متكاملة فصورة الليل وهو خائف، وصورة السنان الذي صنعه من الهلال وصورة الدرع الذي لبسه من النجوم، تأتلف فيما بينها لتعطي لنا هذا المشهد الرائع لليل.

وللشاعر كلف كبير بتجسيم وتشخيص المعنى المجرد في صورة ملموسة تدرك الحواس، ولنتأمل معا هذه الصور يقول :

صاح الزمان فعاد الجمع مفترقــا كالضأن لما أحسست صوت رئيــال[5]

ويقول :

ركب الزمان إلى الحمام برغمـــه ورأى المنية ليس فيهـــا مزعـــم[6]

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 501.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 267.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 706.

(4)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :52.

(5)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :666.

(6)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :716.

كما يشخّص هذا الزمان فيجعله في هيأة إنسان وله يدان يقول :

وكأن في كـــف الزمـــان بنـــوره   قطرا نعم بنشـــره الأقطــــار[1]

ويقول أيضا :

ومـــا كتبتـــه يـــــد للزمـــــان   فعـــن يـــده مــــرة يمتحــــي [2]

وهو يتمثله أعجميا ليس من العرب ولا يتقن لغتهم فيقول:

ووجدت الزمان أعجـــم فظـــــاج   وجبـــار في حكمـــها العجمـــاء[3]

لكن وبالرغم من العجمة الموجودة في هذا الزمان إلّا أنّه أحسن وعاظ ، يعظ الناس ويرشدهم بحوادثه وأيامه وتجارب الإنسان فيه يقول :

وعظ الزمـــان فما فهمت عظايـــة   وكأنـــه في صمتـــه يتكلــــــم [4]

كما نلتمس هاته الصور الاستعارية في حديثه عن الدهر والليل والأيام فهو يقول :

ولا أشرب الدهـــر سبـــل الشـــراب   ونفســـي بإعمالـــها مسيلـــــة [5]

فالدهر بمترلة ماء يحاول الإنسان شربه، فهنا الشاعر حاول أن يثبت المشبه وهو الدهر وحذف المشبه به وهو الماء ولكنه ترك دلالة عليه وهو الشرب فالاستعارة تصريحية .

ويقول عن الليل :

فحرقن ثوب الليل حتى كأنـــني   أصرت بها في جانبـــه شـــــرار [6]

ويقول :

لو نطق الدهـــر في تصـــرفـــه   لعـــــدنا كلـــنا من التفـــــث[7]

ويقول عنه:

يؤدبك الدهـــر بالحادثـــات   إذا كان شيخاك ما أدبــــا[8]

[1]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :305.

[2]- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص :201.

[3]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 46.

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :716.

[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :651.

[6]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:123.

[7]- أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص: 168.

[8]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 99.

ويقول:

كم ينظم الدهر من مقد وينشــــر وليس عقد ثرياه بمنثــــــر [1]

فإذن كان الدهر بمنزلة إنسان ينطق ويؤدب وينظم الشعر وينثر وهي كلها سلوكات يقوم بها الإنسان الذي حذف ولكنه صرح بدلالات تنوب عنه وهو ما زاد المعنى رونقا وجمالا وأكسبه دقة ووضوحا وبالإضافة إلى هذا النوع من الاستعارات عمد الشاعر إلى توظيف نوع آخر من هذه الصور الاستعارية بحيث حذف المشبه به وترك المشبه وهي كثيرة في شعر المعري، والتي سوف نعمد إلى ذكر بعض منها كقوله:

وقد أغتدى والليل يبكي تأسفــا على نفسه والنجم في الغرب مائــل [2]

فقد استعار هنا الشاعر صفة البكاء التي هي سمة من سمات الطفل أو الإنسان عموما وألصقه بالليل، فيكون بذلك قد ذكر المشبه وهو الليل وحذف المشبه به وهو الطفل ولكنه ترك دلالة عليه وهو البكاء، فهذه الصورة الاستعارية زادت البيت جمالا لشدة اتساق أسلوبها وجودة سبكه فجعل كل من يقرأ يتأمل في الطريقة التي كتب بها هذا البيت.

ويتكلم عن الأيام التي لطالما أرقته بسبب حوادثها فيقول عنها:

ألم تسمعي الأيام نادت صروفهـــــا حذوا مقـــرا مما تفيء الجـــوارس[3]

فالأيام شخص تنادي مثلما ينادي الإنسان.

كما يجعل من الدهر شخصا يصمت ويخطب فيقول :

الدّهر يصمت وهو أبلغ ناطـــــق من موجز ندس ومن ثرثـــــار[4]

ويقول عنه :

والدّهر يخطب أهل اللب مذ عقلــوا ما خاف عيا ولا أزري به العصر[5]

فهذه الصور تعتمد بالدرجة الأولى على التشخيص المعنوي فصورة الدهر في هيئة إنسان يصمت وهو باستطاعته التكلم، ويخطب في أهل العقول والحكمة.

---

[1]- أبو العلاء المعري:اللزوميات ، ج1، ص :364.

[2]- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 108.

[3]- أبو العلاء المعري:اللزوميات ، ج2، ص: 452.

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص :398.

[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص: 289.

ونستنتج مما سبق أنّ المعري في تعويله على الاستعارة للتعبير بها عن غربته يستجيب لطبيعة شخصيته لأنه شخص يميل إلى الاستغراق في حالاته النفسية ووصفها وتشخيصها كما ينبغي حتى تترائ للناس مثلما يريد .

كما التفت الشاعر إضافة إلى التشبيه والاستعارة إلى الكناية وهي قليلة عنده وتظهر في قوله كناية عن الموت والزوال :

والحي لابد راكــب سفــــــرا وتارك من ورائــه ثقلـــــــه

لا يسلم الغادر المخدم في النيـــق ولا أم غفـــرة الوقلـــــة[1]

ويقول مكنيا على الفراق:

إذا هبت النكبـــاء بينـــي وبينكـــم فأهون شيئا ما تقـــول العـــوازل[2]

كما نجده يقول:

مرحت كالفـــرس الذبـــال آونـــــة ثم اعتراك أبو سعد فقد شكلك[3]

فقد كنّ عن الهرم والكبر بلفظه أبو السعد:

ويقول كناية على الليل وطوله:

قـــد ركضـــنا فيه إلى اللهو ولمـــا وقـــف النجـــم وقفة الحـــيران[4]

ويقول أيضا :

قدماه ورائه وهـــو في العجـــــــ ـز كساع ليست له قدمــــــان[5]

فقد كنّى عن طول الليل،فجعل نجومه لطوله وكأنها لا تسير من مكانها.

وهناك نمط تصويري آخر اعتمد عليه المعري والذي سوف نقف عنده وهو الصورة البديعية والتي كان لها دورا بارزا في بناء قصائده وهي : «وسيلة من وسائل التصوير الشعري لا تقف عند تجانس لفظتين أو تقارب عبارتين أو ترديد كلمتين ، بل تتعدى ذلك إلى إثارة مخيلة المتلقي ، ومخاطبة سمعه ، وبث الاندهاش في نفسه،وحمل ذهنه على التحليل والتركيب لكي يظفر بالمتعة الفنية»[6].

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص : 647.

(2)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص : 106.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص : 606.

(4)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 90.

(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :91.

(6)- عبد الحفيظ بولخراص : الغربة والحنين في شعر ابن حمديس الصّقلي،ص :154.

والطباق هو أول ظاهرة تصادفنا في شعر المعري فمنه مثلا:

الحمد والكبر ضـــدان إتفاقهمـــا مثل إنفاق فتاء الســـن والكـــبر

يجني تزايد هـــذا من تناقـــص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصـــر[1]

فهذان البيتان يحتويان على العديد من الطباقات من مثل (الحمد والكبر) و (تزايد، تناقص) و (طال، قصر).

ويقول:

يمسي ويصبح كوزنـــا من فضـــة ملأت فم الصادي كسور دراهم[2]

ويقول عن الدنيا:

ويبدي لدنياه الفتى وجه ضاحـــك وما فتئت تبدي له وجه عابـــس [3]

ويقول:

إذا كنت في دار الشتـــاء مصليـــا فإنك في دار السعـــــادة سابـــق[4]

وتحضر صور الطباق بقوة في هذا البيت:

بعدي من الناس برء من سقامهـــم وقربهـــم للحجـــى والديـــن أدواء[5]

فقد تأكد الشاعر أنّ الناس لا يجنى منهم سوى الهم والبأس لذلك قرر البعد عنهم والانعزال.

كما نلمح بعض المقابلات في الكلام وهي تمتاز بالدقة والوضوح ، هذا ما يتأكد ونلمحه في قوله:

فليت شباب قوم كـــان شيبـــا وليت صباهم كـــان إكتهـــــالا[6]

فعن طريق هذا البيت يتبين أنّ الشاعر عقد مقارنة بين مرحلتين مرحلة الشباب ومرحلة الشيب والاكتهال، فوجد مرحلة الشيخوخة أحسن لذلك ظل يتمنى قدومها بفارغ الصبر، ويقول:

وقدما وجدنا مبطل القوم يغتـــدي فينصروالغادي مع الحق يخـــــذل[7]

(1)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 45.
(2)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 282.
(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 471.
(4)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 561.
(5)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 40.
(6)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 29.
(7)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 614.

فقد قارن بين الذي كان لا يسير مع قومه وعاداتهم وبين من كان مع الحق وهذا في الماضي، فوجدت بذلك عبارة (مبطل القوم)، في مقابل عبارة (والغادي مع الحق)، كما تقابل الفعل (يغتدي) مع (يخذل).

فنلاحظ من الأبيات السابقة إتيان العناصر المتقابلة مرتبة كما أن الصور كلها تبنى على المقابلة.

والمتمعن في ديواني أبي العلاء المعري يجد لونا بديعيا آخر اتخذه الشاعر واحدا من وسائله الفنية ألا وهو التجنيس(*) وهو في شعره قليل ويظهر في مثل قوله:

زكن المنايا إن زكون فنعمـــة   من الله دامت للزواكي الزواكـــن[1]

وقوله:

قضـــاء الله يبتعث المـــنايـــا   فيهلكـــن الأســــاود والأســـود[2]

فالتجنيس انطلاقا من هذين البيتين في قوله: (الزواكي، الزواكن) و (الأساود والأسود).

ومن الجناس الذي نعثر عليه بين طيّات قصائد ديوانيه في مثل قوله:

كلاب تغاوت، أو تعاوت لجيفـــة   وأحسبني أصبحت آلامها كلـــبا[3]

ويقول:

خبر الحياة شرورها وسرورهـــــا   من عـــاش غـــدة أوّل المتقــــارب[4]

فالجناس بين (تغاوت وتعاوت) وبين (شرورها ، سرورها).

وهكذا بعد الحديث عن الصورة الشعرية عند المعري يظهر لنا أنّه استعمل كل طاقاته من أجل الإبـــداع كما لا أنسى الصورالبديعيةكالطباق والمقابلة والتجنيس، فكل واحدة من هذه الصور كان لها دور معين تلعبه وهذا ما زاد المعاني رونقا وأكسبها بريقا ولمعانا.

وقد لاحظت وأنا بصدد التحدث عن هذه النقطة من البحث بأنّ المعري وهو بصدد الحديث عن غربته كان ميالا إلى التطرق إلى غربته الزمانية وما تحتويه من مواضيع وفروع مثلما تقدمنا فكان يذكر الزمان والدهر كثيرا كما لا ينسى الدنيا والأيام والليالي وما فعلت به.

ج- البنية الإيقاعية:

(*)- التجنيس : أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي في كتاب الأجناس، أبي الهلال العسكري الصناعتين ، ص 353.

(1)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 809.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 240.

(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 81.

(4)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 119.

يعدّ الإيقاع الموسيقي من أهم العناصر التي يرتكز عليها الشعر لارتباطه بالغناء ارتباطا وثيقا ويخضع خضوعا مباشرا لحالته النفسية التي يصدر عنها ونستطيع تعريف الإيقاع لغة واصطلاحا، فجاء لغة في لسان العرب لابن منظور في مادة وقع قوله: «التوقيع أي رمي قريب لا تباعده وكأنك تريد أن توقعه على شيء يعني الإصابة مثل إصابة المطر بعض الأرض وإخطاؤه بعض، والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبنيها»[1].

كما ورد تعريفه لغة في المنجد في اللغة المعاصرة بأنه: « يعني تتابع أصوات أو حركات بانتظام وتوازن»[2] .

أما اصطلاحا فنجد تعاريفه تتعدّد عند الكثير من النقاد منهم ابن طباطبا العلوي فهو أول من استعمله في كتابه "عيار الشعر" يقول عنه: « والشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر وصحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعة ومعقولة من الكدر ثم قبوله، واشتماله عليه، وإن نقص جزء من أجزاءه التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن وصواب المعنى، وحسن الألفاظ وكان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه»[3].

وإذا اتجهنا إلى المحدثين والمعاصرين نجدهم يتعرضون لمسألة الإيقاع فمثلا الدكتورة "خالدة سعيدة" يتجاوز عندها الإيقاع مجرد الوزن والقافية وتكرار الأصوات والمقاطع الصوتية فالإيقاع أعم منهم فهو يشملهم ويضمّهم [4] .

أما مفهومه عند "صلاح فضل" فينطلق فيه من المستوى الخارجي للأصوات فيقول:« أما البنية الإيقاعية فهي أوّل المظاهر المادية المحسوسة للنسج الشعري الصوتي، وتعلقاته الدلالية»[5].

ومنهم من تعرض له ولكن بصيغة مغايرة تماما مثلما فعل "إبراهيم أنيس" و"شكري عياد" حينما استعملا في مكان الإيقاع موسيقى الشعر [6].

---

(1)- ابن منظور: لسان العرب، مادة (وقع).

(2)- صبحي حموي: المنجد في اللغة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000، ص: 1151.

(3)- عبد الرحمن تبرماسين: العروض وإيقاع الشعر العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص: 80، 84.

(4)- ينظر عبد الرحمن تبرماسين: العروض وإيقاع الشعر العربي، ص: 84- 85.

(5)- صلاح فضل: الأساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع ،(د،ط) ، 1998، ص: 28.

(6)- ينظر عدنان قاسم:الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر – دراسة نقدية في أصالة الشعر – منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1980، ص: 135.

وهناك من يستعمل مصطلح الموسيقى العروضية والموسيقى الداخلية، فالمصطلحات متنوعة وهي كثيرة ولكن المضمون – تقريبا – واحد.

وللإيقاع عناصر داخلية وخارجية فالعناصر الداخلية لها دور في إحداث الإيقاع « وهي كل ما يتعلق بالنغم الداخلي المنبعث من القصيدة»[1] .

وقد عنى بها "رجاء عيد" : « قدرة الفنان الشاعر على إقامة بناء موسيقى يتكون من نفسية تعلوأو تهبط، تقسو أو ترف أو تتخذ لتكون في مجموعها لحنا منسقا أقرب إلى الإطار السمفوني»[2] .

كما يطلق عليها السعيد الورقي اسم الموسيقى التعبيرية ويرى بأنها :« ناتجة من كيفية التعبير ومرتبطة بالانفعالات السائدة ومهيأة لها في كثير من الأحيان، بما تعطيه من إيحاءات انفعالية لنموالتجربة الفنية»[3] .

وتتمثل هذه العناصر الداخلية فيما يلي: أسلوب التكرار سواء كان تكرار الحرف أو الكلمة أو العبارة أو حتى المقطع إن وجد، وطبيعة الكلمات المستعملة، وعلامات الوقف والترقيم بالإضافة إلى الأصوات وهو ما سنأتي على شرحه فيما بعد.

أمّا العناصر الخارجية للإيقاع فتتمثل في الوزن الذي يقول عنه ابن رشيق القيرواني: « الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة»[4]. وثاني عنصر خارجي هو القافية بنوعيها المطلقة والمقيدة.

إذن بعد هذه النقلة في مجال الإيقاع والتي سوف نتبعها بالتفصيل لاكتشافها ومدى توفيقها في التعبير عن اغتراب المعري وذلك بالنظر إلى هاته العناصر الداخلية والخارجية.

تصادفنا أوّل ظاهرة ايقاعيّة وهو" الطباق" فهوبارز في شعر أبي العلاء المعري له الدور في تعميق المعنى وتقويته وتوضيحه و يساعد على إضفاء إيقاع خاص على القصيدة ،وقد اتكأ عليه المعري في تشكيلاته الموسيقية فيقول:

الحمد والكبر ضدان اتفاقهمـــا مثل اتفاق فتاء الســـن والكبـــــر
يجني تزايد هذا من تناقـــــص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصـــر[5]

---

[1]- خليل مرسي: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهور، دمشق، ط4، (د، ت)، ص: 93.

[2]- رجاء عيد : التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص: 10.

[3]- السعيد الورقي : لغة الشعر العربي، ص 160.

[4]- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001، ج1، ص: 121.

[5]- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 45.

فعلاوة عن الإيقاع الخفي الناتج عن تقابل الأضداد الواردة في البيت الأول والبيت الثاني، تتضافر معه عناصر موسيقية أخرى تكاملت فيما بينها لتساهم في تكوين بنية موسيقية، من بين هذه العناصر الوزن والقافية، ففيما يخص الوزن نلاحظ أنّ هذه الطباقات جاءت على إتفاق فيه وذلك من مثل (الحمد والكبر) على وزن فعْل و (تزايد وتناقص) جاءا على وزن تفاعل و (طال وقصر) على وزن فعْل أيضا.وتفعيلة هذين البيتين هي تفعيلة بحر البسيط وهي كالتالي:

الحمد ولكبر ضدان اتفاقيهمـــا يجني تزايد هذا من تناقـــــص ذا

/ 0 / 0 / / 0 /0/ / 0/ 0/ 0 / / 0 ///0 / 0 / 0 / / 0 / / / 0 / 0 / 0 // 0 // 0 ///0

مستفعلـــن فاعلن مستفعلـــن فعلن مستفعلـــن فعلـــن مستفعلتن فعلن

وبحر البسيط هو من حيث الانتشار أقل من البحر الطويل والكامل الذي وجد بكثرة وتفعيلاته هي مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، وعندما تقسم هذا الوزن إلى مقاطع نجده يتكون من ثمانية وعشرون مقطعا طويلا وقصيرا في البيت الواحد، وموزعة بالتساوي بين الصدر والعجز، بحيث يحتوي كل واحد منهما على عشرة مقاطع طويلة وأربع مقاطع قصيرة، وذلك إذا اعتبرنا أن المقطع القصير يتكون من حركة [/]، والمقطع الطويل يتكون من حركة وسكون [/ 0]، وانطلاقا من هذا التقسيم يتبين بأنّ البحر يمتاز بالثقل والبطء على اعتبار غلبة المقاطع الطويلة على المقاطع القصيرة.

وقد ترددت نغمة موسيقية مع القافية التي كانت في الحقيقة تنتهي بسكونين تفصل بينهما حركتين وهي القافية المتداركة ولكن وللضرورة الشعرية تحولت تفعيلة (فاعلن)، في البحر البسيط إلى (فعلن)، أي هي تفعيلة عبارة عن مقطعين قصيرين ومقطع طويل ولذلك، ونتيجة هذا التغير أصبحت القافية متراكبة وهي القافية المنتهية بسكونين مفصولين بثلاث حركات. [/ / / 0]، كما نلمح نوعا أخر من الطباق وهو الذي يقول فيه:

يمسي ويصبح كوزنا من فضــــة ملأت فم الصادي كسور دراهـــم[1]

نلاحظ أن وجهي التطابق وهما (يمسي، يصبح)، جاءتا على وزن واحد وهو يُفْعِل، والقافية هي (راهم)، والروي هو حرف (الميم)، وما قبله يعدّ دخيلا [*] وهو (هـــ)، أما (الألف) فهي ألف التأسيس ويقول أيضا:

تعب ما نحن فيـــه وهـــــل يجلب الإيحاش إيناســـــــا

[1]-أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 282.

[*] – الدخيل: حرف واقع بين التأسيس وحرف الروي، عبد الرحمن تبرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص :39، 41.

يتبين أنّ لفظتي (إيحاش، وإيناسا) لهما وزن واحد فهما على وزن إفعال والروي هو (السين) وقبل الروي يوجد الردف المتمثل في (الألف) وقد يكون (واواً)أو (ياءاً).
وللمقابلة أيضا قيمة موسيقية إلى جانب الطباق هذا ما نشاهده لما نقرأ ما يلي:

فليت شباب قوم كان شيبـــــا وليت صباهم كان إكتهـــــالا

فيبدو واضحا توافق وتساوي الكلمة منها مع ضدها في الإيقاع والترتيب وهذا ما يظهر في (شباب شيبا) و (صباهم ، إكتهالا).
ويقول:

فأوصيكم أما قبيحا فجانبـــــوا وأما جميلا من فعال فلا تقلـــــوا

وصاحب نكر بات يغدر بيننـــا وفاعل المعروف بلام ويعـــــــذل

نلاحظ هنا انسجام وتوافق في الأوزان بين (قبيحا، جميلا) و(جانبوا،تقلوا)، (صاحب نكر وفاعل معروف) و(يعذر ويعذل) فهذا التوافق في الأوزان أضفى إيقاعا مميزا على البيت مما أكسبه رونقا وجمالا.

ومن الظواهر الصوتية البارزة في شعر أبي العلاء المعري " التكرار" فهو ظاهرة إيقاعية تعمل على تقوية النغم وتأكيده و قد يكون تكرارا للحروف أو الكلمات أو العبارات .

ومن الشواهد التي يمكن تقديمها كمثال على التكرار لبعض الحروف والأصوات والذي ينعكس جرسها على النص الشعري فتؤدي وظيفة إيقاعية تتناسب مع المعنى قوله:

أناس كقوم ذاهبين وجوههـــــم ولكنهم في باطن الأمر نسنـــاس

جزى الله عني مؤنسي بصـــدوده جميلا ففي الإيحاش ما هو إينـــاس

تخافين شيطانا مـــن الجن مـــاردا وعندك شيطان من الإنس خنـــاس

فنلاحظ في هذه المقطوعة تكرار حرف السين ،سواء الذي يتكرر عن طريق حرف الروي،أو الذي يتخلل الأبيات بتكراره مرة فما فوق في كل بيت مما أدى إلى تجاوب الأحرف المكررة داخل الأبيات – ممثلة في حرف السين مع حرف الروي، فشكلت بناءا هندسيا منظما هيمن على موسيقى هذا المقطع ،وانطلاقا من هذا القول يتبين أنّ حرف السين تكرر(7) مرات في هذه المقطوعة،ففي البيت الأول نجد إضافة إلى حرف السين كروي حرفين آخرين أما في البيت الثاني فتكرر فيه حرف السين مرتين وكذا بنفس الدرجة في البيت الثالث- أي تكرّر مرتين-.

كما لفت انتباهنا ظاهرة إيقاعية أخرى وهي التنوين بالضمة في(أناس) والتنوين بالفتحة في كل من (جميلا،شيطانا،ماردا) والتنوين بالكسرة في (قوم)، فقد أضفى بدوره نغما وجرسا خاصا على الأبيات.

ولا تكتمل الأهمية الإيقاعية للتكرار الصوتي إلا إذا ربطناه بالإيقاع الناتج عن الوزن ،لذلك سوف نرى إلى أي مدى وفق الشاعر في اختيار الوزن ومدى ملائمة هذا الأخير لموضوعه وتجاربه عموما.

وهذه الأبيات تنتمي إلى بحر الطويل وهو الأول من حيث التنوع في ديواني المعري وتفعيلات الطويل الأصلية هي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ولكي نتبين حركاته يتم تقطيعه كالآتي:

أناسن كقومن ذاهبـــين وجوههـــم	**ولاكننهـــم في باطن الأمـــر نسنـــاسو**
// 0 / 0 / / 0 / 0 / 0 / / 0 / / /0 / / 0	// 0 / 0 / / 0 / 0 / 0 / / 0 /0 / / 0 /0/0
فعولـــن مفاعيلـــن فعـــول مفاعلن	فعولـــن مفاعيلـــن فعـــولن مفاعيلن

وعندما نقسم هذا الوزن إلى مقاطع نجده يتكون من (28) مقطعا طويلا وقصيرا، فالمقاطع الطويلة أكثر من المقاطع القصيرة لأنها تستحوذ على عشرين مقطعا طويلا، والثمانية المتبقية هي مقاطع قصيرة ونلاحظ أن القافية هنا في هاته الأبيات هي قافية مطلقة [*] حركتها الضمة ورويها حرف السين وقبلها الردف المتمثل في الألف، وكرّر حرف (العين)في قوله أيضا:

كم بلـــدة فارقتهـــا ومعاشـــــر	**يذرون، من أسف عليّ دمـــوعا**
وإذا أضاعتني الخطوب، فلن أرى	**لوداد إخوان الصفاء مضيعـــــا**
خاللت توديع الأصـــادق للنـــوى	**فمتى أودع خلـــي التوديعـــــا؟!** [1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن حرف العين مكرر ثماني مرات، ففي الشطر الأول تكرر (3) مرات وتظهر في كل من (معاشر، علي، دموعا) وفي الشطر الثاني تظهر مرتين في حرف الروي (مضيعا) وأيضا في الشطر الأول من البيت الثالث وهي (أضاعتني).

---

[*]- مطلقة وهي متحركة الروي: عبد الرحمان تيرماسين، العرض وإيقاع الشعر العربي ،ص :39، 41.

[1]- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 309.

كما نلحظ في البيت الثالث تكرار حرف العين (3)مرّات في كل من (توديع،أودّع ،أضاعتني)إضافة الى كثرة الشدة والتي تظهر في الحروف التالية (نّ، دّ، لّ، تّ) فهي تنسجم انسجاما كبيرا مع غربته عن أهله وأصدقائه فتزيد بذلك المعنى تركيزا وتأكيدا.

ومن الأبيات التي اعتمد فيها على تكرار بعض الحروف قوله:

طربن لضوء البارق المتعـــالي ببغدادا، وهنا ما لهن ومـــا لي

سمت نحوه الأبصار حتى كأنهـــا بناريه من هنا وثم وصــــــالي

إذا طال عنها سرها لو رؤوسها تمد إليـــه في رؤوس عــــوال[1]

ما نلاحظه في هذه الأبيات هو تميز كل بيت بخصيصة إيقاعية بارزة تتماشى والمعنى ، فالبيت الأول على سبيل المثال يشكل فيه تكرار حرف (الباء) ميزة خاصة إذ أنه تكرر (أربع مرات) عندما ننتقل إلى البيت الثاني نجد حرف (الهاء) مكرر (أربع مرات) وهو حرف هوائي، فهو بالرغم من انتشاره في كامل المقطوعة إلا أنه انتشر أكثر في هذا البيت وقد اعتمد فيه على المد (ها) الذي ساعده في تأوهه وتوجعه لفقد وطنه والبعد عنه.

والشطر الثالث نلحظ تكرار (حرف السين) ثلاث مرات وهو حرف مهموس.

والبحر الذي ارتضاه الشاعر لهذا الموقف الحزين هو البحر الطويل:

طرين لضوء لبارق لمتعالــــي ببغداد وهنا ما لهنن وما لـــــي[2]

0/0///0/ /0/ 0 /0// /0// 0/0// /0// 0/ 0/ 0/ / 0/0//

فعول مفاعيلن فعول مفاعل فعولن مفاعيلن فعول مفاعل

كما نجد مقطوعة أخرى يظهر فيها الشاعر حنينه إلى وطنه متلهفا إلى العودة للقاء أهله ووطنه يقول:

تمنيت أن الخمــر حلت لنشــوة تجهلني كيف اطمـــأنت بي لحـــال

فأذهل أني بالعراق على شفـــــى رذي الأمـــاني، لا أنسى ولا مـــال

مقل من الأهلين سير وسيـــــرة كفى حـــزنا بين مشت وإقـــــلال[3]

(1)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

(2)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

(3)- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 247- 248.

ففي البيت الأول تكرار حرف (التاء) ست مرات، والبيت الثاني (الألف) تكررت أربع مرات والبيت الثالث تكرر حرف (اللام) أربع مرات كذلك، والبيت الرابع تكررت (الياء) أربع مرات.
كما نلاحظ كثرة الحروف المهموسة وهي الأبيات كالتالي(أ،ت،س،ش،ق،ك، ه،ط،ح،خ) والمهموسات تصلح للتعبير عمّا لا يرى بالعين المجردة،والبحر المستعمل هو الطويل وتقطيعه كالآتي:

تمنيــت أنــن لخمر حللت لنشوتهن	**تجهلني كيف طمأننت بي لحالو**
/ /0/0 / /0/ 0/0 // 0/0 // 0//0	//0/ //0/0/0 //0/0/ /0/0/0
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ويقول في قصيدة أخرى منوعا فيها للأصوات:

ألا إنما الدنيــا نحــوس لأهلهــا — فما في زمان أنت فيــه سعــود
يوصي الفتى عنــد الحمام كأنــه — يمر فيقضــي حاجــة ويعــود
وما يئست من رجعة نفس ظاعن — مضت ولها عند القضاء وعــود
تسير بنــا الأيــام وهي حثيثــة — ونحــن قيــام فوقهــا وقعــود(1)

فمن خلال هذه المقطوعة يتبيّن أنّ الحروف كانت فيها متنوعة وكل حرف تكرر أربع أو خمس مرات في البيت، ومن هذه الحروف نجد أن حرف (النون) في البيت الأول تكرر (5) مرات، وفي البيت الثاني تكرر حرف (الياء) (4) مرات، أمّا في البيت الثالث فتكرر حرف (العين) كذلك (4) مرات، والبيت الأخير تكرر فيه حرف (القاف)، (3) مرات.

وجاءت الأبيات بحرف الروي (الدال) والردف هو الواو والمجرى هو الضمة التي هي فوق حرف الروي، والواو وصل.

أما البحر المستعمل فهو بحر الطويل وقد وردت فيه بعض الزحافات كالحذف والقص غيرها.

إذن هذا عن بعض أنواع التكرارات للحروف التي وجدت في شعر أبي العلاء المعري إذ شكلت نغما موسيقيا رنانا في القصيدة.

ومن أصناف الإيقاع أيضا التي يستند إليها الشاعر في التعبير عن غربته ما يسمى بالتصدير الذي يقول عنه السكاكي: « ومن جهات الحسن رد العجز عن الصدر، وهو أن يكون إحدى الكلمتين المكررتين، أو المتجانستين، أو الملحقين بالجناس في آخر البيت، والأخرى قبلها في أحد المواقع الخمسة من البيت،

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 211- 212.

وهي: صدر المصراع الأول، وحشوه، وآخره، وصدر المصراع الثاني، وحشوه»[1]، والتصدير هو من الحلل اللفظية التي تزيد المعنى حسنا وجمالا.

وانطلاقا من قول السكاكي يظهر لنا التصدير الذي جاءت كلمته في صدر المصراع الأول في:

بشاشة أيام مضت وشبيبـــــة   بشاشة خانت أهلها وبشـــاش[2]

ويقول:

أنوار مهلا كم ثوى من ربرب   نور ولاحت في الدجـــى أنـــوار[3]

فالتصدير في البيتين هو (بشاشة وبشاش) في البيت الأول أما في البيت الثاني فيكمن في (أنور وأنوار).

ومن النوع الثاني؛أي ما جاءت كلمته الأولى في حشو المصراع الأول نجد:

إذا إشتاقت الخيل المناهل أعرضت   عن الماء فاشتاقت إليها المناهل[4]

ويقول أيضا في هذا النوع:

لقد زار بي طيف الخيـــال فهاجني   فهل زار هذي الإبل طيف خيال؟

إن كان إبليس ذا جند يصول بهم   فالنفس أكبر من يدعوه إبليس [5]

فالتصدير في البيت الأول بين (المناهل والمناهل)، أمّا في الأبيات الأخرى فنجده ماثلا في عبارة (طيف الخيال وطيف الخيال) هذا عن البيت الأول، أمّا البيت الثاني فنجده في (إبليس وإبليس).

أما النّوع الرابع فيظهر في قوله:

عداوة الحمق أعفى من صداقتهـــم   فابعد من الناس تأمن شره الناس[6]

فالتصدير يكمن في (الناس والناس).

كما استعمل الشاعر التدوير في قصائده وهو كثير، فأغلب قصائده تحتوي على هذا النوع، و«البيت المدور في تعريف العروضيين هو ذلك الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن يكون بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الثاني»[1]، ويظهر ذلك في قول المعري:

---

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1987، ص: 430- 431.

(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 491.

(3)- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص:310.

(4)- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 109.

(5)- أبو العلاء المعري: اللزوميات ج2، ص: 459.

(6)- أبو العلاء المعري:اللزوميات ج2، ص: 475.

ثم شاب الدجى، وضاق من الهجـــ ـــر، فغطى المشيب بالزعفـــران
ونضا فجـــره، على نســـره الـــــ ـــواقع، بين المهـــاة والسرحان[2]

إلى أن يقول:

وعلى الدهر من دماء الشهيد يـــ ـــن علي ونجلـــه شاهـــدان
فما في أواخر الليــــــل فجــــرا ن وفي أولياتـــه شفقـــــــان
ثبتا، في قميصه، ليجيئ الحشـــــ ـــر، مستدعيا إلى الرحمـــــن

إلى أخر القصيدة ، فهي كلها تقريبا مبنية بهذا الشكل.

ويقول المعري في موضع آخر يشكو من الحياة:

تعب كلهـــا الحيـــاة، فمـــا أعـــ ـــجب إلا من راغب في إزديـــاد
إنّ حزنا، في ســـاعة الموت أضعـــا ـــف سرور، في ساعـــة الميـــلاد
إنمـــا ينقلـــون من دار أعــــــما ل إلى دار شقـــوة، أو رشـــــاد[3]

والشيء الملاحظ أنّ التدوير أكسب البيت غنائية عذبة وانسيابا للألحان وليونة وذلك لأنه يمده ويطيل نغماته.

ومن بين أصناف الإيقاع التي اعتمد عليها الشاعرأيضا التصريع والذي يظهر في قوله:

بقيت وما أدري بمـــا هـــو غـــائب لعل الذي يمضي إلى الله أقـــرب
تود البقاء النفس من خيفة الـــردى وطول بقاء المرء ســـم مجـــرب
على الموت يجتاز المعاشـــر كلهـــم مقيـــــم بأهليـــه ومن يتغرب[4]

ويقول:

أولو الفضل في أوطانهم غربـــــاء تشطّ وتنـــأى عنهـــم القربـــــاء
فما سبئوا الراح الكميت للـــذة ولا كان منهـــم للخـــراد سبـــاء

---

[1]- رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، ص: 232- 233.

[2]- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 92.

[3]- أبو العلاء المعري: سقط الزند ، ص: 197.

[4]- أبو العلاء المعري: اللزوميات ج1، ص: 65.

وحسب الفتى من ذلة العيش أنــه يروح بأدنى القــوت وهو حبــاء[1]

ويقول أيضا في هذا المقام:

إن كسرتــني يـــد المنايـــــا فمـــا الأطــباء جــابريـــــا
أمــرت بالغـــدر أم دفـــــر ولم أطـــع فيــك آمـــريـــــا[2]
لعمــري لقــد طال هــذا السفـــر علي وأصبحت أحـــد والنــفـــر
أأخـــرج من تحت هــذي السمـــاء فكيف الإباق وأيـــن المفـــــر
وكم عشــت مــن سنــة في الزمــان وجــاوزت من رجــب أو صفــر[3]

وهكذا يبدو التصريع في الأبيات الأولى من هذه المقاطع فنجده في المقطوعة الأولى متمثلا في حرف (الباء) المتواجد في نهاية الشطر الأول وكذا نهاية الشطر الثاني، أما في الأبيات الأخرى من المقاطع فهو موجود مثلا في حرف (الهمزة) و (الياء) و (الراء). وهي كلها تصريعات منحت هذه الأبيات حسنا ورونقا وأعطتها إيقاعا منتظما ومتوازنا يستهوي السمع وترتاح له الأذن.

وخلاصة القول أنّ أبا العلاء المعري كان يحاول دائما تفجير طاقته في مجال اللغة من أجل التعبير وذلك بتوظيف ألفاظ جيدة وقوية وصور منمقة وإيقاع متوازن، وهدفه من ذلك هو نقل تجربته الحياتية وشعوره وحالته النفسية، فجاءت معانيه بذلك عميقة وصوره ثرية وموسيقاه موحية.

---

(1)- أبو العلاء المعري: اللزوميات ج2، ص: 35.
(2)- أبو العلاء المعري: اللزوميات ج2، ص: 872.
(3)- أبو العلاء المعري: اللزوميات ج1، ص: 414.

خاتمـــــة :

لقد رأيت - في هذا البحث - كيف أنّ الاغتراب كموضوع ومصطلح تعـــرّض لكـــثير مـــن الدراسات و التعريفات من طرف العلماء والأدباء والنقاد فلمسنا بذلك تعريفات له في المعجمات العربية وغير العربية وهذا ما يعكس مدى أهمية هذا الموضوع.

فهو موضوع قديم ظهر في الشعر العربي ومنذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي؛ العـــصر الذي ظهر فيه شاعرنا وقد عانى منه نتيجة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة الـــتي دفعت به؛أي المعري وغيره الى الهجرة و الابتعاد والاغتراب عن هذا الواقع بكل ما فيه .

والاغتراب أنواع كثيرة منها الاغتراب الاجتماعي والاغتراب السياسي والاغتراب المكـــاني و الرماني و الاقتصادي والروحي وحتى الإغتراب الذاتي وغيرها من الأنواع التي لحقت بالإنسان ،والمعري واحد من الذين أحسوا ببعض أنواع الإغتراب وعانوا منها وهذا ما حاولت تبيينه في هذا البحث عن طريق تلك الأشعار التي تعدّ المادة الخام والمادة الأولية لموضوعي هذا ، مستوحاة - بطبيعة الحال - من ديوانيه سقط الزند واللزوميات.

ولكن المعري لم يقف مكتوف الأيدي، يتفرج ويلمح معاناته من هذا الاغتراب فقط بل تعدى إلى البحث عن وسائل وطرق للقضاء أو على الأقل الحد من هذه الظاهرة منها مثلا العزلة عن النـــاس والمجتمع و ذلك بالبقاء في بيته ملتزما إياه بعيدا عن المشاكل مكبّا على الدّرس والتّأليف ، ولكن بقاءه في بيته لم يمنع الناس من زيارته في عقر داره للاستفادة من علمه ، أو الفصل في بعض القضايا الـــشائكة - مثلما لاحظنا - فصله في قضية أسد الدولة - صالح بن مرداس - حين طالبه قومه بالخروج ليشفع لدى هذا الأخير.

كما استعان إضافة إلى العزلة بالزهد ، فقد وجده طريقة ناجحة للتخلص من الاغتراب، فهـــو ربما حتى يوجه فكره إلى الله سبحانه وتعالى و التفكير في موجوداته ومخلوقاته وقدراته و يكون بذلك قد حول فكره وعقله إلى مجال آخر بعيد عن مجال الاغتراب والسجن و القيد .

فاغترابه وانعزاله كان سببا في زهده وورعه وخوفه من الله ومن حقيقة الموت بعد هذه الرحلـــة الشاقة في حياته و هذا ما شجّعه على طلبها ــ مثلما رأينا ــ وتمنّيها بعد ماكره وملّ الحياة والدنيا بمـــا فيها لأنها في نظره لا تبعث إلّا على الشر ، فهي دار شرور مثلما قال المعري وعبّر على ذلك بأبيـــات كثيرة تشرح وتبين هذه الحقيقة الكامنة في نفسه وتفكيره.

وقد تشكّل شعر الاغتراب عند المعري من عناصر فنّيةكالمعجم الشعري ،إذ استمد فيه مادتـــه اللغوية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هذا ما يعكس لنا ثقافته الدينية وكذلك استند على الشعر العربي القديم ؛فهو أحسن ديوان جامع لأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم ،كما استند على التاريخ سواء الإسلامي والعام.

إضافة إلى المعجم الشعري نجد عنصر للصور الفنّية التي أولاها عناية خاصة ،ونوّع فيهاكالتشبيه والاستعارة والكناية كما أنّ للصورة البديعية أهمية ودورا كبيرا في التعبير عن غربته فهي ليست زخارف لفظية بل تعد عنصرا بنائيا هامّا في القصيدة فإضافة إلى تقوية المعني تقوم بإثراء الشعر إيقاعيا، وتظهـــر هذه الصورة في الطباقات المختلفة والمقابلات إضافة إلى الجناس.

كما لا ننسى الموسيقى الشعرية فهي من أهم العناصر التي ارتكز عليها شعره ، وقـــد امتـــازت موسيقاه بالتنوّع والثراء فنلمح الطباق والمقابلة والتّكرار إضافة الى التصديربأنواعه والتدوير والترصـــيع والوزن والقافية والرويّ وهي كلها عناصر تتظافر فيما بينها لتكون في الأخير بنية إيقاعية متميزة.

فهذه مقتطفات أو ملخّص يحمل أهم ما قدمته في موضوع الإغتراب في شعر أبي العلاء المعري، والذي أفرز جملة من النتائج أُوجزها في النقاط التالية:

1- على الرغم من وجود بعض المؤلفات والكتب التي تتحدّث عن الشاعر وثقافته ومختلف محطات حياته، إلا أنه يصعب علينا إيجاد هذا الموضوع الذي طالما تحدثنا عنه عند هذا الشاعر ألا وهو الاغتراب الذي عرف به عن طريق شعره ومن مخلفاته وآثاره.

2- من يبن الأنواع التي شهدنا أثرها على المعري هو اغترابه الزماني فالنوائب التي مر بها الـــشاعر والأحداث التي عايشها في وقته وعصره جعلته يسخط على هذا الزمان وينعته بمختلف النعوت، والأدهى من ذلك سخطه على أهل زمانه، وهذا ما جعله يغترب عنه — الزمان- وينفصل، وقد ترددت بعـــض المفردات التي تدور في فضاء موضوع الاغتراب الزماني من مثل الزمان والزمن، الدهر، الليالي، الخطوب، الأيام وغيرها من الألفاظ التي تدلنا على هذا النوع من الإغتراب، والتي يمكن عدّها مظهراً يتناسب مـــع نزعته التشاؤمية وميله إلى الشكوى.

3- كما عانى الشاعر من الاغتراب الاجتماعي إذ لعبت فيه القيم الفاســـدة وانقـــلاب المـــوازين وتفشي الآفات والعادات السيئة دورا كبيرا في إذكاء لهيب الاغتراب والانفصال عن المجتمع، وقد شمـــل الاغتراب عن المجتمع مواضيع عديدة منها الاغتراب عن الناس الذين هم في نظره سبب المشاكل والآفات الاجتماعية لذا وجب مقاطعتهم والابتعاد عنهم قدر المستطاع، إضافة إلى الاغتراب عن القيم الظاهرة في المجتمع والتي تعكس فساده وانحلال أخلاق أهله وناسه.

4- وقد تعرض أبو العلاء المعري إضافة الى قيم المجتمع إلى بعض القضايا السياسية، فجاهر بآرائه تّجاه السياسيين فأمر بالعدل وعدم الظلم الذي تفشى كثيرا في المجتمع من طرف الحكام، فهو يتمنى مجيء إمام عادل يحكم عقله ليميز بين الخير والشر وبين الظلم والعدل وغيرها من القيم

5- وقد لقي الاغتراب المكاني حظه الوافر في شعر المعري، حيث هجر بلده المعرة إلى بغداد ليقيم فيها سنين وقد كانت للظروف المعيشة في ذلك الوقت دورا كبيرا في رحيله عن بلده ولكن - وهذا الملاحظ- مهما كانت الأسباب والدواعي التي جعلته ينأى عن بلده، إلا أنّه كان يكره في حقيقة الأمر الابتعاد عن وطنه الأم وهذا ما لمسناه في قصيدته التي عاتب فيها خاله حين هاجر بلاده إلى المغرب، هذا ما يعكس حبه الشديد لوطنه بالرغم مما عاناه منه ومن ناسه، وقد اكتسب الاغتراب المكاني عنده وما ينتمي إلى عائلته اللغوية أبعادا عميقة من حيث إطرادها حيث تردّدت في ديوانيه سقط الزند واللزوميات (35) مرة ، إضافة إلى بعض الكلمات التي لها نفس المعنى مع الاغتراب كالانعزال والبقاء والهجران والتروح والارتحال وهي كثيرة في ديوانيه ممّا يوحي لنا باستحواذ هذه الألفاظ على فكره.

6- لقد تجلى في شعره الحنين والشوق سواء إلى الوطن وأهله في هذا الوطن أو الى بغداد بعدما رجع منها إلى المعرة.

7- مخالطته للناس فيما مضى و معرفة سلوكا تهم ، والتعرف على هذا الزمان جعله يبدو غريبا وهو في عقر داره بين ناسه وأهل زمانه مما ترك له مخلفات كثيرة كانفصاله عن هذا المجتمع والتفكير في عدم مخالطة أهله وناسه بل والأكثر من ذلك حين إقتنع بعدم الزواج والإنجاب لكي لاتمتلئ الدنيا بأولاد يعانون مثله ويعاني الناس من شرورهم،لذلك فكّر في طرق تخفف من حدة هذا الاغتراب و لم يجد حلا إلا في الزهد والعزلة والانكباب على الدّرس والتّأليف والعبادة.

8- وقد تميز معجمه الشعري بخصائص إضافة إلى تنوع مادته التي إستقاها من القرآن الكريم والتاريخ والشعر العربي القديم وقد إمتاز بالثراء وتعدد أساليبه من مثل التكرار وتوظيفه لأدوات الاستفهام الذي أخذ أشكالا متعددة ومعاني مختلفة:كالنفي والتمني و التحسر وغيرها،وكذا مزجه بين هذا الموضوع؛أي الاغتراب وموضوعات أخرى كالطبيعة والغزل.

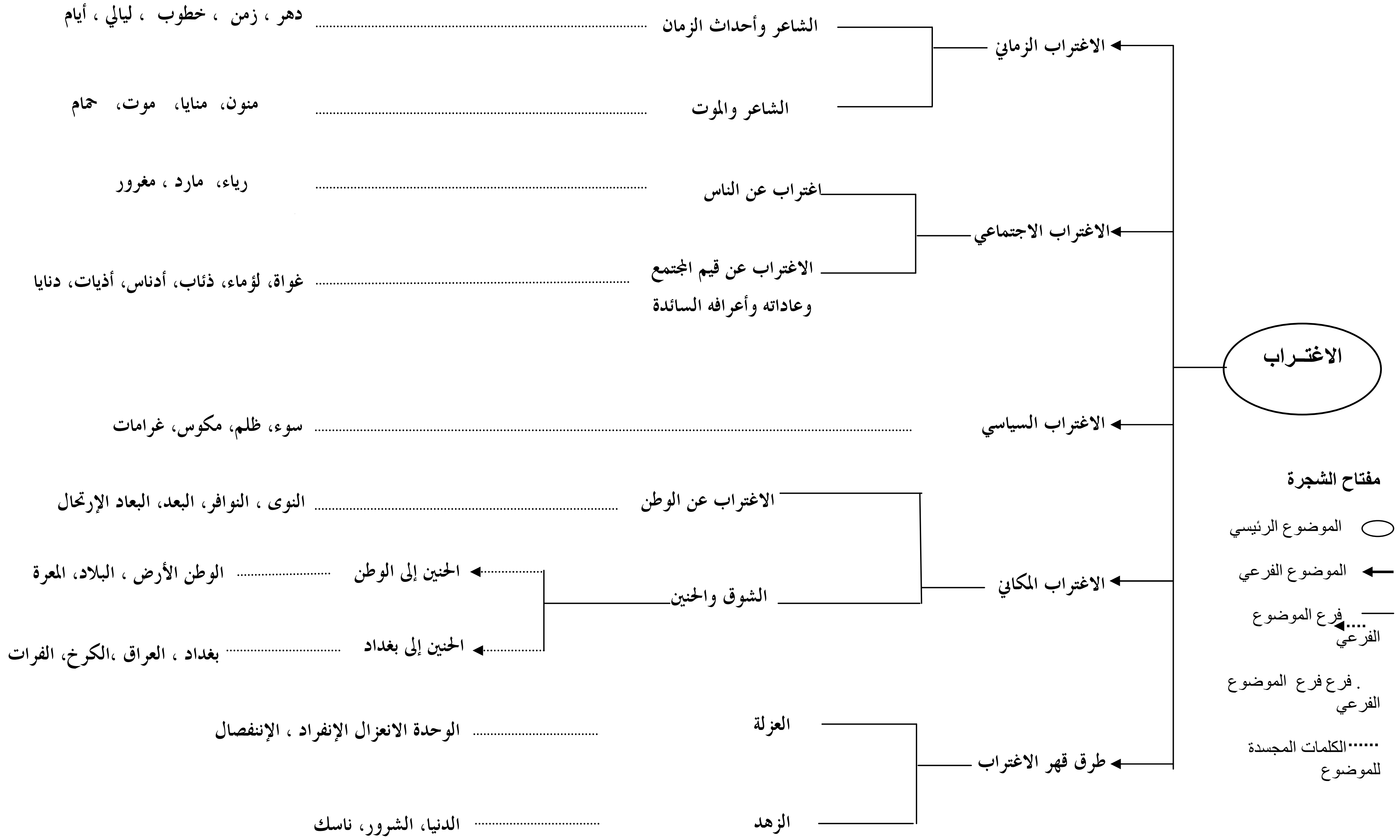
9- كما نجد إضافة إلى المعجم الشعري والصورة الشعرية التي كان لها الدور البارز في التعبير عن غربته الموسيقى الشعرية التي امتازت هي الأخرى بالتنوع و الثراء؛ فنجد مثلا الوزن الذي استعمله الشاعر غالبا ما يكون بحره الطويل و الكامل والبسيط، وقد أدخل فيها بعض التعديلات وذلك للضرورة الشعرية.

كما أنّ هناك خصيصة إيقاعية تظهر في شعر الإغتراب ألا وهي التكرار الذي يشمل بعض الحروف في قصيدة واحدة، أو تكرار حرف واحد في أبيات عديدة ، فهذه التكرارات ساهمت في بناء الإيقاع الداخلي .

ولعلي في الأخير بهذا البحث المتواضع ، أكون قد أسهمت في تجلية وتبيين- قدر المستطاع- لهذا الجانب الخفي لدى شاعر يعدّ من بين الشعراء المهمين الذي يليق بنا وبغيرنا بالاهتمام به وبأشعاره التي كانت خير ترجمان على كوامن نفسه وخبايا عقله ،فأرجو أن أكون قد وفقت في رسم صورة واضحة عن موضوع الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري ، هذا الشاعر الذي عجز كثير من الناس عن فهمه لطبيعته الحساسة وسلوكه المميز وحسّه المرهف وحدسه الدقيق ، والله الموفق وهو الهادي الى طريق الرشاد.

والحمد للّه رب العالمين.

التشجير الموضوعـــاتي



قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2-ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر وآدابه - ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001.

3- ابن العديم: أبو العلاء المعري، دار سعد للطباعة والنشر، مصر، (د،ط)، 1945.

4- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ،بيروت ،طبعة جديدة.

5- أبو العلاء المعري: اللزوميات، حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2001.

6- ديوان سقط الزند، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1990.

7- شرح ديوان سقط الزند، شرح وتعليق ، ن ، رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1987.

8- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب ، (د، ط، د ، ت).

9-أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

10- أبو هلال العسكري:الصناعتين، الكتابة والشعر، حققه وضبط لغته: مفيد قميحة،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1989.

11- إحسان عباس، إتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1988.

12- أحمد محمد عبد الخالق، قلق الموت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998.

14- امرؤ القيس، الديوان ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (د، ط، د، ت).

15- إلياس خوري، الذاكرة المفقودة، دراسات نقدية، شؤون فلسطينية، بيروت، ط1، 1982.

16- إيليا الحاوي: شرح ديوان أبي تمّام، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1981.

17- // // ،في النقد والأدب ، مقدمات جماعية عامة مقطوعات من العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط5.

18- بدر ضيف: شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، دار الوفاء، ط1، 2004.

19- البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الميرية ببولاق، ط1،(د،ت).

20- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.

21- جاك شورون: الموت في الفكر العربي، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح، الكويت ،سلسلة عالم المعرفة، يناير 1978.

22- الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح أبو الفضل إبراهيم، علي البيضاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط).

23- جعفر خريباني: أبو العلاء المعري رهين المحبسين، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط1، 1990.

24- حاتم الطائي: الديوان، شرحه وقدم له أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

25- حسن جعفر نور الدّين:لبيد بن ربيعة العامري _ حياته وشعره _ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990.

26- حنا الفاخوري : منتخبات الأدب العربي ، منشورات المكتبة البوليسية ، بيروت ، لبنان ، ط5، 1970.

27- الخطيب التبريزي: ديوان أبي تمام ، دار المعارف، مصر، ط2، (د، ت).

28- خليل شرف الدين: في سبيل موسوعة فلسفية، أبو العلاء المعري ، دار مكتبة الهلال ، 1995.

29-خليل مرسي:الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهور، دمشق، ط4، (د، ت).

30- دانييل برجيز: مدخل الى مناهج النّقد الأدبي ،ترجمة رضوان ظاظا،مراجعة المنصف الشنّوفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1997.

31 -الرازي: مختار الصحاح، تحقيق وشرح وضبط سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، (د، ط)، 2002.

32- رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

33- رمضان الصبّاغ : في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، (د، ت، د، ط).

34- ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب مع دراسة المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت أبو العلا ، منشأة المعارف، (د، ط،د، ت).

35- الزمخشري : أساس البلاغة،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1 ،1998 .

36- زهيربن أبي سلمى: الديوان شرحه وقدم له علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

37- الزوزني : شرح المعلقات العشر، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط1، 2005.

38- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، 1984.

39- السكاكي: مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1987.

40- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع، دمشق ط1، 2000.

41 – سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، (د، ت).

42 -شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، (د، ط، د، ت).

43- // // ، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، ط8،(د، ت).

44- // // ،فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، الطبعة الثالثة، (د،ت) .

45- صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.

46- صبحي حموي: المنجد في اللغة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000.

47-صلاح فضل: الأساليب الشعرية في اللّغة المعاصرة،بيروت،ط1،2000.

48- // // ،مناهج النّقد المعاصر ،دار الآفاق العربية ،(د،ط ،د ت).

49- طه حسين: أبو العلاء المعري ،حياته وشعره، دار النفس للنشر (د، ت، د ، ط).

50- // // ، تعريف القدماء بأبي العلاء ،الدار القومية للطباعة والنّشر ،القاهرة ،1965.

51- // // ،المجموعة الكاملة، أبو العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط2، 1983.

52 –عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1972.

53–عبد الحفيظ بولخراص :الغربة والحنين في شعر ابن حمديس الصقلي ،رسالة ماجستير ،جامعة فرحات عباس سطيف ،2005.

54– عبد الحميد جيدة: الإتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل ، بيروت، ط1، 1980.

55- عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري ، إتحاد كتاب الجزائريين، ديدوش مراد، الجزائر، ط1، 2003.

56- عبد الرحمن تبرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

57– عبد الرزاق قسوم، مفهوم الزمان في فلسفة بن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1986.

58– عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، دار الوفاء، ط1، 2004.

59 – عبد القادر عبد الحميد زيدان ، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، ط1، 2003.

60– عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1996.

61– عبد الله التطاوي، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، (د، ت، د،ط).

62- عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هومة ، (د، ت)، 2005.

63– عبده بدوي: الغربة والاغتراب والشعر، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998

64 – عدنان قاسم: الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر – دراسة نقدية في أصالة الشعر منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1980.

65– عز الدين إسماعيل:قضايا الشعر العربي المعاصر، دراسات وشهادات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1988.

66– عزّت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1985.

67-عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضى، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

68- علي شلق: أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1981.

69- علي فاعور: ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

70- ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (د، ط، د، ت)، .

71- عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945- 1962)، منشورات جامعة باتنة ، (د، ط ، د ، ت).

72- عمر الفروخ : حكيم المعرة :دار لبنان ،بيروت ،لبنان ،(د،ط،د،ت).

73- عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، (د، ط، د، ت).

74- فاضلي إدريس : الوجيز في المنهجية والبحث العلمي ،جامعة الجزائر ،2003/2002.

75- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997.

76- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 2005.

77- كريم زكي حسام الدين : الزمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه، في الثقافة العربية، دار غريب ، القاهرة، (د،ت)، ط2.

78- مجموعة من المفكرين المتخصصين: فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، يناير 1978 .

79- محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعرفة الجامعية (د، ط) ، 1998.

80- محمد الطيب محمد النادي: تاريخ الأدب والنصوص الأدبية ، مكتبة الوحدة العربية ، الجزائر (د، ط، د ، ت) .

81- محمد علي بيضون : شرح ديوان عنترة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3، 2002.

82- محمد مصطفى أبو شوارب: جماليات النص الشعري قراءة في أمالي القالي ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2005.

83- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة، (د، ط)، 2001.

84- مصطفى أمين وعلي الجازم: البلاغة الواضحة، دار المعرف، ط16 .

85- مصطفى البشير قط: قراءات في النقد والأدب، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2008.

86-مصطفى صالح كشاف: مصادر دراسة أبي العلاء المعري، مطبعة العلم، دمشق، 1978.

87- موريس أنجرس : منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية،ترجمة بوزيد صحراوي،كمال بوشرف ،سعيد سبعون ،دار القصبة للنّشر ،(د،ط)،2004.

88- مي يوسف خليف: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د،ط،د، ت).

89- وهب رومية : شعرنا القديم والنقد الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، مارس 1996.

90- يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 2005.

91- يوسف الخال: الحداثة في الشعر ، دار الطليعة، بيروت، (د، ط، د، ت).

92- يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط3، (د، ت).

93- // // ،في الشعر العباسي نحو منهج جديد، مكتبة غريب دار قبى للطباعة (د، ط، د ، ت).

94- يوسف الشيخ محمد، ديوان البحتري، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

95- يوسف فرحات: كتاب الموسوعة الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط1، 1986.

96- يوسف وغليسي:محاضرات النّقد الأدبي المعاصر ،منشورات جامعة قسنطينة 2004-2005

المجلات والدّوريات:

97- الأخضرعيكوس: الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية ،مجلة الآداب ،جامعة قسنطينة، ع1،1994،

98- حسن محمد حسن حماد :الإغتراب عند أبي حيان التوحيدي ،دراسة فلسفية من خلال االفكر الوجودي ،مجلة فصول،القاهرة ، ع3،خريف 1995.

99- الطاهر رواينية :القراءة الموضوعاتية للنّص الأدبي ،مجلة اللغة والأدب ،جامعة الجزائر، ع11، 1997.

100- فاروق شوشة: لزوميات المعري، صوت إحتجاج وإدانة، مجلة العربي، الكويت، ع534، مايو ، 2003 .

101- قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع1، 1979.

المواقع الإلكترونية:

102- صبار نورالدين: الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي ، إتحاد كتاب العرب، دمشق، ع 355، 23 سبتمبر 2003،. www. a w u. dam. org

103- غسّان السيد: الاغتراب في أدب زكريا تامر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ع 352، 23 سبتمبر 2003. www.awu.dam.org

104- القاموس المحيط والقابوس الوسيط. www.al-emon.com

105- محمّد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، gwww.awu.dam.or

106 - ياقوت الحموي،معجم البلدان. www.al-mostafa.com

فهرس المحتويات

الصفحة

شكروعرفان:

إهــداء

مقدمــــة.. أ

تمهيد.. 05

الفصل الأول:مفهوم الاغتراب وأنواعه وجذوره في الشعر العربي القديم

1- مفهوم الاغتراب.. 10

2- أنواع الاغتراب.. 18

3- جذور الاغتراب في الشعر العربي القديم................ 21

الفصل الثاني: الاغتراب الزماني في شعر المعري

تـوطئة... 39

1- الشاعر وأحداث الزمان................................ 41

2- الشاعر والموت.. 47

الفصل الثالث: الاغتراب الاجتماعي والسياسي في شعر المعري

1- الاغتراب عن الناس................................... 58

2- الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة.... 68

3- الاغتراب السياسي.................................... 74

الفصل الرابع:الاغتراب المكاني في شعر المعري

1- الاغتراب عن الوطن عند أبي العلاء ودواعيه........... 80

2- تجليات الشوق والحنين في شعر المعري................. 86

أ-الحنين إلى الوطن (المعرة)............................ 87

ب- الحنين إلى بغداد.................................... 91

3- طرق قهر الاغتراب عند المعري......................... 97

أ- العزلة... 97

ب-الزهد.. 98

التشجيرالموضوعاتي.. 103
الفصل الخامس: العناصر الفنية في شعر الاغتراب عند المعري
توطئـــة.. 107
أ- المعجم الشعري.. 108
ب- الصورة الفنية... 124
ج- البنية الإيقاعية... 134
خاتمة.. 145
قائمة المصادر والمراجع.. 150
فهرس المحتويات... 157